مفهوم الزمن في القرآن الكريم

تأليف
محمد بن موسى بابا عمي



مفهوم الزمن

في

القرآن الكريم

مفهوم الزمن في القرآن الكريم

تأليف
محمد بن موسى باباعمي



الطبعة الأولى

دار الغرب الإسلامي
ص. ب. 5787-113 بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أمّي الحنون التي حنّكتني أوّل آية من القرآن الكريم، وهي ترضعني صبياً.

إلى أبي العزيز الذي لقّنني أوّل درس في احترام الوقت، وهو يرعاني طفلا ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾.

إلى زوجي التي غمرتني بالسكينة، فكانت لي في المَبرات سندا.

إلى بني الذي ملأ الله به قلبي حباً، فكان لي في المسَّرات سببا.

إلى إخوتي وإخواني الذين شدَّ الله بهم أزري، فكانوا لي في الملمات مددا.

وإلى المفكّر المسلم علي عزَّت بيجوفيتش، الذي استطاع أن يجمع بين العلم والعمل؛ بين الفكر والحركة؛ بين أصالة الماضي، وواقعية الحاضر، وإشراقة المستقبل.

إلى هؤلاء جميعاً وإلى كلّ مسلم غيور أهدي هذه الثمرة.

أبو الربيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وكرَّمه: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] وخلق الزمن - من نعمه - ليُشْغَل بالبر والخير، ويملأ بإسعاد البلاد والعباد؛ ثمَّ أنزل القرآنَ الكريم ليوجِّه مسيرة هذا الإنسان في زمنه، ويعتبر بزمن غيره.

فأيما إنسان وعى زمنه وتناغم معه فهو إنسان متحضِّرٌ راقٍ، وأيـُّما إنسان أوقع نفسه في خلل مع زمنه فهو إنسان متخلِّف دان؛ وكذلك الأمر للأمم والمجتمعات.

من هذا المنطلق نلاحظ ملاحظات - بالتأمُّل في القرآن الكريم، وبالنظر في الزمن، وبالاستفادة من الدراسات والبحوث المتقدِّمة - منها:

الملاحظات

1 - إنَّ الدراسات والبحوث الزمنية لا يمكن الاستغناء عنها، ذلك أنَّ موضوع الزمن يستمدُّ أهميته من أهمية الزمن نفسه.

2 - إنَّ في القرآن الكريم مادَّة زمنية غزيرة، تستلزم من الباحثين - من مختلف الاختصاصات - دراستها والبحث فيها، لتوضيح معالم الزمن القرآني، وتحديد قواعده وأسسه، وذلك بتوظيف المنهج القرآني العقلي البرهاني اليقيني

---

(1) سورة الإسراء: 70

في تفهُّمه، فأساس هذا المنهج هو «التدبُّر والتبصُّر، وقوامه إعمال الفكر والنظر، ومن مستلزماته ترك الجمود والتقليد والتزمُّتِ الذي لا برهان يدعمه»[1].

وهذا ما قصده الدكتور أبو ريدة بقوله: «وهذا كلُّه [الألفاظ والمقادير الزمنية] مِمَّا يوجد في القرآن، **يحتاج إلى دراسة قائمة بذاتها**، وخصوصا إذا انضمَّ لذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف من هذه الكلمات. . .» [2].

3- إنَّ المسلم المعاصر غائب في زمنه، لا يدرك كنهَه، ولا يتفاعل مع مقاديره وفق منهج واضح مستمدٍّ من القرآن الكريم؛ ومن خلال بعض الإحصائيات يمكننا أن نتبيَّن مدى تبذير الشعوب الإسلاميَّة لزمنها، وهذا ما يفسِّر تخلُّفها رغم وجود القرآن تتلوه وتحفظه[3].

4 - إنَّ الفكر الغربيَّ أنتج دراسات وأبحاثا لا تحصى في موضوع الزمن، وأسَّس نظريات وتقنيات عالية، وابتكر مصطلحات ومفاهيم متداولة في شتى العلوم، مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع. . .

5 - رغم أهمية الزمن وبعده العميق في الفكر الإسلامي، وتبذير المسلم المعاصر له جهلا وغفلة، ووعي الغرب لأسسه، واستثمار عامَّتِه للزمن استثمارا يصل إلى حدّ الإسراف أحيانا. . . غير أنَّ الدراسات حوله تبقى نادرة - إن لم نقل منعدمة - في الجامعات الإسلامية، وخاصَّة منها ما ينفذ من منظور قرآني.

بناء على هذه الملاحظات وغيرها، حاولنا أن نعدَّ بحثا تكون مادته الأولى القرآن الكريم، مفترضين - بعد عدَّة «قراءات زمنية في المصحف الشريف»، وبعد مطالعة عدد من التفاسير والدراسات الزمنية والفكرية، ما يلي:

---

(1) قسوم عبد الرزاق: **مفهوم الزمان في فلسفة ابن رشد**، ص39-45.
(2) دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، مادَّة زمن.
(3) تشير بعض الإحصائيات إلى أنَّ معدَّل زمن العمل في العالم العربي لا يتعدَّى الساعة في اليوم للفرد الواحد، بينما يتعدَّى العشر ساعات في دول أخرى.

المســلَّمات

قبل أن نصوغ الفروض التي ينبغي علينا أن نختبرها، يلزمنا أن نضع مسلَّمات نعتقدها، ولا نشكّ فيها طرفة عين، منها:

1 - إنَّ الله تعالى هو الخالق للزمان وللمكان، فهو أعلم بهما من البشر مهما ادَّعوا وتبجحوا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

2 - إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يتزمَّن، وأيّ محاولة لدراسته من منظور زمني تعتبر محاولة فاشلة، لا فائدة تجنى من جرَّائها.

3 - إنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأوَّل والوحيد للمفهوم الحقيقي للزمن[2]، وبالتالي يجب علينا - نحن أهل القرآن - أن نحاول تدبُّر معانيه، والغوصَ في مبانيه، بغية الوصول إلى تحديد أوليّ لمفهوم الزمن في القرآن الكريم.

4 - إنَّ للزمن عند الله قدرا عظيما، لأنَّه عزَّ وجلَّ أقسم به مرارا في القرآن الكريم، وفي الأحاديث القدسية ولا يقسم الله إلاَّ بعظيم؛ وبالتالي ينبغي علينا أن ندرسه دراسة ترضي ربَّنا سبحانه، ونستفيد منه في معاشنا ومعادنا.

5 - إنَّ كلَّ ما سوى الله يدخل تحت سلطان سَنن الكون، ومن هذه السَّنن: الزمنُ. وبالتالي فإنَّ دراسته تعتبر جزءا من دراسة المخلوقات، والمعرفة به خطوة أساسية في التعرُّف عليه.

أمَّا الفروض المقترحة لتفسير الملاحظات السابقة، بناء على هذه المسلَّمات، فهي:

الفــروض

لا يمكن حصر كلِّ الفروض في بحث بكر وواسع الأطراف، وإنَّما نذكر بعضا منها، تاركين الفروض الجزئية إلى مداخل الفصول، ومن بينها:

---

(1) سورة الملك: 14.

(2) باعتبار حديث رسول الله ﷺ تبيينا لـمَا في القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل: 44).

1 - يمكن الوصول إلى تحديد مفهوم أو مفاهيم للزمن في القرآن الكريم، وذلك بالبحث في آياته وألفاظه، وبدراسة معانيه ومبانيه، وبتتبُّع حروفه وحركاته. . .

2 - القرآن الكريم يحتوي على مفهوم شامل للزمن، يصعب الفصل بين أجزائه وجزئياته.

3 - في القرآن الكريم مفاهيم متعدِّدة للزمن يمكن تصنيفها وتحليلها، وبالتالي تحديد أهمِّ خصائص الزمن القرآني بالجمع بينها.

4 - يمكن حصر واستقراء مادَّة الزمن في القرآن الكريم، من خلال البحث في مجمل ألفاظه، والتحليل لأساليبه ومناهجه.

5 - لا يمكن حصر جميع مادَّة الزمن في القرآن الكريم، وبالتالي ينبغي أن يهتمَّ في بحث أولي كهذا بأهمِّها.

6 - في القرآن الكريم إجابات عن كثير من الأسئلة التقليدية - في التراث الإنساني-حول موضوع التقويم، مثل: ما هو منشأ التقويم عند الإنسان؟ وما هو أثر الطبيعة في استحداث التقويم؟ وما هي العلاقة بين حركة الأفلاك وحساب الزمن؟ ما هي معاني - أو معنى - اليوم، وأجزائه وتضاعيفه. . . مثل السنة، والفصل؟

7 - مسألة وعي الزمن مطروحة في القرآن الكريم، ومنهج التعامل مع الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل واضح ودقيق، وهو مختلف عن المناهج التراثية العديدة.

8 - تناول القرآن الكريم مواضيع دقيقة في فلسفة الزمن، منها: الحركة في الزمن، والنسبية والزمن. . .

هذه بعض الافتراضات التي صغناها، وهي لا تعني الحصر بل التمثيل، ويجمل بنا أن نختبرها لنصل إلى تحديد الخصائص العامَّة للزمن القرآني.

اختبـــار الفـروض

يقضي المنهج العلمي أن تختبر الفروض في البحوث العلميّة المؤسَّسة، وقد حاولنا أن نتتبَّع في اختبار فروض هذا البحث المناهج التالية:

1 - **الاستقراء**: لِـمَا أمكننا من مادَّة الزمن في القرآن الكريم، وذلك بالاستعانة بالوسائل المتطوِّرة.

2 - **الوصف**: ويبدو هذا المنهج جليا في الفصول الأولى، وهو ضروري لتحديد المصطلحات، وبناء التصوُّر قبل الحكم، امتثالا للقاعدة المنطقية: **الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره**.

3 - **التحليل**: ويتم من خلاله إيجاد علاقات منطقية تربط بين مختلف عناصر المادَّة المنسَّقة والتي تَمَّ وصفها، حتَّى يتوصَّل إلى آراء مدعَّمة بأدلَّة، من شأنها أن تسهم في بناء الخصائص العامّة للزمن في القرآن الكريم، ويغلب هذا المنهج على الفصول الثلاثة الأخيرة.

غير أنَّ هذه المناهج لا تنفصل عن بعضها انفصالا كُـلِّـيًّا، فكثيرا ما اجتمعت في مجال واحد، ويصعب بالتالي التفريق بينها، إذ هي تتكامل ولا تتنافر.

المصـادر والمراجـع

اعتاد الباحثون أن ينقدوا مصادرهم الأساسية في مقدمّة بحوثهم، غير أنَّ **المصدر الوحيد - في اعتقادنا - لهذا البحث هو القرآن الكريم**، وكلُّ ما سواه وسيلة إليه؛ ولذا فإنّنا لا نجد مصادر مباشرة في موضوع البحث، ولعلَّ أبرز أنواعها ما يلي:

1 - التفاسير والدراسات القرآنية.

2 - الدراسات المختلفة في موضوع الزمن، بأنواعه الفلسفية، والفلكية...

3 - مراجع لتخريج النصوص المعتمدة من حديث وشعر، ونثر...

4 - مراجع فكرية عامّة.

والملاحظة الأساسية هي أنّه:

توجد دراسات معمّقة في القرآن الكريم، وتوجد دراسات دقيقة في موضوع الزمن، وتكاد تنعدم الدراسات التي تهتمُّ بالقرآن من مدخله الزمني، أو تدخل إلى الزمن من نافذته القرآنية[1].

العقبات والصعوبات

لم تعترض هذا البحث - بحمد الله - عقبات تذكر، وإنّما صادفته صعوبات سببها جدّة الموضوع، منها:

1- الصعوبة في إيجاد المراجع للبحث.

2 - الصعوبة في تحديد الفصول والمباحث، وتقسيم البحث إلى مداخل معيّنة.

3 - الصعوبة في تناول نصٍّ هو أقدس النصوص على الإطلاق، وأيُّ خطأ فيه - ولا مفرَّ منه في أيِّ عمل بشري - قد يولِّد انتقادات، ولكن حسبي أنّي اجتهدت، فالحمد لله الذي جعل في الأمور كلّها سعة، وجعل الأجر منوطا بالسعي لا بالنتائج.

---

(1) أذكر في هذا الصدد أنّني ـ بعد البحث في بعض مكتبات الجزائر سافرت إلى سورية خصيصا، واستقصيت فهارس مكتبات دمشق الكبرى، ولم أجد أي بحث مباشر في الزمن القرآني. وقد بحث صديق لي في المعرض الدولي للكتاب بسورية في هذه السنة (1417هـ/ 1996م) عن عنوان في هذا المجال ولم يجد. وكذا بحث صديق آخر في فهرس البحوث الأكاديمية بجامعتي عمّان والمفرق بالأردن، فلم يجد. وأجريت بحثين في شبكة الأنترنات: الأوّل في موضوع الدراسات القرآنية، والثاني في موضوع الدراسات الزمنية، غير أنّني لم أحصل على أيِّ بحث يمتُّ إلى موضوع الزمن القرآني بصلة.
ولعلّه توجد بحوث في هذا المجال، ولكن وسائل الاتّصال في مجال البحث العلمي ـ في الجزائر وفي العالم العربي ـ قاصرة عن تقريبها، فحتى في احتمال إيجاد بحث أو أكثر فإنَّ الموضوع يبقى في حاجة إلى دراسات ودراسات.

4 - الصعوبة في تناول موضوع شائك مثل موضوع الزمن، إذ لا يدركه إحساس، ولا تراه عين، ولا يقيِّده لفظ ولا عبارة.

شكر وتقدير

وأخيرا ينبغي أن أتقدَّم بالشكر لِكُلٍّ من ساهم في إبراز هذا العمل من العدم إلى الوجود، ومن عالم الغيب إلى عالم الشهود؛ وأخصُّ بالذكر أستاذي الدكتور أحمد موساوي، الذي أشرف على هذا البحث، ولم يأل جهدا في التوجيه، فكثيرا ما ردَّ الأفكار إلى نصابها بعد أن كادت تزيغ، وما ذلك إلاَّ لِما يمتاز به من فكر منظَّم، وعقليَّة منطقية حباه الله تعالى بها.

وكذا أشكر جميع من مدَّ لي يد العون لإتمام هذا العمل. ولا أنسى كلَّ من دعا لي بالخير في جوف الليل، أو في وضح النهار.

والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده

أبـو الربيع ، محمد بن موسى بابا عمي
2 شعبان 1417هـ/ 13 ديسمبر 1996م

الفصــل الأوَّل

مادَّة الزمن في القرآن الكريم من خلال الألفاظ، والمنهج والأسلوب

مدخل في المنهج

تسري مادة الزمن في القرآن الكريم، سريانَ الزمن في الوجود العظيم، ولا يختلف في هذا الحكم اثنان؛ ولكن الذي يستعصي على الأفهام هو تحديد حجم ونوعية تلك الكثرة والسعة ، تماماً كما يصعب على أرقى العقول تحديد مفهوم الزمن في الوجود، رغم سهولة الشعور به وإدراك أثره.

وقد وقعت بين خيارين لا ثالث لهما، في محاولة لتحديد مفهوم مادة الزمن في القرآن الكريم:

الخيار الأوَّل: أن أتبنَّى منهجاً من مناهج الدراسات الزمنية السابقة ، فأوظِّف بالتالي مصطلحاته، ومنطقه، وأسلوبه. . . وفي هذه الحال يلاحظ كثرة المناهج والمدارس وتنوُّعها واختلافها، مـمَّا يصعِّب الانفراد بإحداها، وأصعب من ذلك وأخطر الجمع بينها والتوفيق بين اختلافاتها. ومن هذه المناهج نذكر:

1- منهج علم الكلام(1)، بما يحمله من إشكالات محدَّدة ومسطَّرة .

---

(1) وانظر مثلا:

القاضي عبد الجبار: **المغني في أبواب التوحيد والعدل**؛ تحقيق محمود محمَّد الخضري؛ سلسلة تراثنا؛ الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة؛ 1958م.

أبو حامد الغزالي: **تهافت الفلاسفة**؛ تحقيق الدكتور سليمان دنيا؛ دار المعارف، القاهرة، مصر؛ 1957م.

أبو عمَّار عبد الكافي: **شرح الجهالات**؛ مخطوط: نسخ سليمان بن يوسف المصعبي، ذو الحجَّة 1241هـ/ 1825م؛ مكـ آل يدَّر؛ 186ق. =

2 - منهج الفلسفة [1]، بشقّيها الكلاسيكية والمعاصرة .

3 - منهج علم الفلك[2]، ويلحق به علم التنجيم، وكذا علم المواقيت.

4 - منهج علم النفس[3]، بنظرياته المعاصرة ، وتقنياته المعقّدة .

ولعلَّ الذي يبعد هذا الخيار هو الخوف من الوقوع في مغبّة إخضاع القرآن الكريم لنصوص أقلَّ قيمة ، وإمكانيةُ ليِّ أعناق معاني آياته لتوافق أو تخالف هذا المنهج أو ذاك؛ ولا شكَّ أنَّ هذا السبيل لا يسمح لنا بالتأكّد من وجود أو عدم وجود منهج قرآني قائم بذاته، وبالتالي نظلم القرآن من حيث نريد خدمته[4].

= حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**؛ تقديم آية الله المرعشي؛ نشر مكتبة المثنى؛ د.ت.

(1) وانظر مثلا:

عبد الرزاق قسوم (الدكتور): **مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد**، المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ 1986م؛ فهرس المصادر، ص229.

حسام الدين الآلوسي (الدكتور): **الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم**، المؤسَّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان؛ 1400هـ/ 1980م؛ فهرس المصادر، ص181.

(2) حسن علي موسى: **التوقيت والتقويم**؛ دار الفكر العربي، بيروت، لبنان؛ 1990م؛ فهرس المراجع العربيّة، ص198.

(3) انظر- دراسات PIAJET في علم النفس التربوي منها:

PIAJET. J: **La psychologie de l'intelligence**; col. U prisme; ed. Armand Colin, Paris, France, 1981.

(4) يلاحظ - مثلا - أنَّ الدكتور حسام الدين الآلوسي في كتابه **الزمان في الفكر الديني**، انساق وراء هذا الخطأ، فأخضع التصوّر الديني للزمان إلى التصور الفلسفي، وبالتالي أجحف النصّ الديني حقَّه، ممَّا دفعه إلى القول: «إنَّ المشاكل اللاهوتية احتلَّت المكانة الأولى» في المفهوم الديني للزمان. إلى أن يصل إلى الحكم عن الزمن القرآن بقوله: «وكما قلنا عن اليهودية والمسيحية، يمكن أن نقول هنا إنَّ نصوص القرآن. . . تبدو غير معنية أو مهتمَّة بمشكلة الزمن. . .إنَّ القرآن لا يتعامل مع مشكلة أصل العالم والزمان بطريقة فلسفية» ص 19، 38.

فالدليل إذن على أنَّ القرآن لا يهتمّ بمشكلة الزمن ليس هو القرآن نفسه، وإنَّما كونه=

الثاني: وأمّا الخيار الثاني فيفرض نفسه عقلا ومنطقا، ويتمثل في دراسة موضوع الزمن ومنهجه من خلال القرآن نفسه، مع الإستعانة بمصطلحات ومناهج السابقين في شتيّ العلوم والفنون.

وهذا لا يتمُّ إلاّ بتصوُّرٍ واضح لحجم المادة ، قبل الوصول إلى تحديد الحكم، إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره؛ ولكي يتمَّ التصوُّر يتعيَّن إجراء استقراء شامل - أو أقرب ما يكون إلى الشامل - من خلال دراسة واعية للنصِّ القرآني، مع الاهتمام البالغ بفهم معاني الآيات ودلالة ألفاظها.

وقد أفرزتْ هذه القراءة التي تمتَّعت بها، نتيجة مفادها أنَّ من أحسن الطرق للوصول إلى حصر أكبر حجم ممكن من الآيات في موضوع الدراسة ، الدخولُ إليها من خلال الألفاظ والمصطلحات أوّلاً، ومن جهة الأسلوب والتراكيب ثانيا. وهذا ما سنحاوله في المبحثين التاليين:

= لا يعالجها معالجة فلسفية، والملاحظ أنَّ جلَّ فصول الكتاب وقعت في هذا الخلط والإجحاف.

المبحث الأول: من خلال الألفاظ

تمهيــد

ما هي فلسفة الزمن في الفكر القرآني؟

سؤال طرحه الدكتور عبد الرزّاق قسّوم في بحثه القيِّم: مفهوم الزمان عند ابن رشد ، وأجاب عنه بقوله: «إنّه للإجابة على هذا السؤال يجدر بنا حصر معظم الآيات التي تعالج مسألة الزمن، كي يمكن على ضوء عرضها إدراك الروح التي عولجت بها، والزاوية التي تنظر إليها من خلالها، والمنهج الذي سلك في علاجها»[1].

ثمَّ بادر إلى الإقرار بأنّها: «كثيرة هي الآيات التي عالجت موضوع الزمن بكيفية مباشرة وغير مباشرة »[1].

غير أنّنا – ونحن بصدد بحث يخصُّ مادَّة الزمن في القرآن – يجدر بنا أن نحدِّد هذه الكثرة ، ونحاول إحصاءها، وبيان نسبتها إلى مواضيع القرآن الأخرى. . .

فما هي الألفاظ الدالَّة على الزمن دلالة مباشرة في القرآن الكريم؟

وهل يمكن حصرها، أم يستحيل ذلك؟

وهل توجد ألفاظ دالَّة على معاني زمنية دلالة غير مباشرة ؟

---

(1) مفهوم الزمان، ص 40-41.

وما هو الأسلوب الذي عرضت فيه مادَّة الزمن في القرآن الكريم؟ فهل هو أسلوب أدبي، أم هو أسلوب علميٌّ؟ . . .

هذه الأسئلة وغيرها نحاول الإجابة عنها في المبحثين التاليين - إن شاء اللّه -.

الحصر والإحصاء:

بعد قراءات عديدة في المصحف الشريف، لاحظنا أنَّ الذي يستحيل عدُّه وحصره من ألفاظ الزمن، هو الألفاظ غير المباشرة ، إذ إنَّه - تقريبا - كلّ كلمة وكلّ آية في القرآن تحمل دلالة زمنية : إمَّا قريبة وإمَّا بعيدة ؛ فالقريبة مثل الفعل الذي يتقلَّب ويتحوَّل بالضرورة بين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل(1) . وأمَّا البعيدة فتتمثَّل في الأسماء والحروف التي لا تحمل في ذاتها دلالة زمنية ، إلاَّ أن تكون ممَّا وضع للزمن مباشرة مثل: الساعة ، والوقت، وثمَّ، وفاء التعقيب. . .

والألفاظ المباشرة في الإمكان حصرها وإحصاؤها، غير أنَّ هذه الألفاظ لها «معانٍ ظاهرة ، وأخرى باطنة ، أي دقيقة لا تُعرف إلاَّ بالبحث. ويشترك جميع الناس في معرفة المعاني الظاهرة ، ولكنَّهم يتفاوتون في فهم المعاني الدقيقة غير الظاهرة ، على حسب غزارة علمهم وصفاء قلوبهم»(2).

ولضمان حصر أكبر قدر ممكن من الألفاظ - وهو عدد ليس باليسير -

---

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**؛ تحقيق محمَّد علي النجَّار؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ 1371هـ/ 1952م؛ ج2/ ص33-34.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن: **الأشباه والنظائر في النحو**؛ راجعه وقدَّم له الدكتور فايز ترحيني؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ ط1: 1404هـ/ 1984م؛ ج2/ 15-16.

ابن حمودة بوعلام: **مفاتيح اللغة العربية**؛ دار المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ 1992م؛ ص6-14.

(2) حنفي أحمد: **التفسير العلمي للآيات الكونية**؛ دار المعارف، القاهرة، مصر؛ د.ت؛ ص31.

ينبغي على الباحث أن يقوم «بدراسة قائمة بذاتها»[1]، ويتّبع فيها منهجاً علميا دقيقا، يكون أقرب إلى الدراسات التطبيقية والفلسفية منه إلى الدراسات الوصفية الأدبية ، ويسلك فيه الاستقراء[2] - الذي «يعني ملاحظة جميع مفردات الظاهرة موضوع البحث، أي حصر جميع الحالات الجزئية التي تقع في إطار ظاهرة أو فئة »[3] فهو بالتالي «يسير وفق دراسة منظَّمة ، تعتمد على الملاحظة . . . حيث عن طريق التعميم يتمُّ التوصُّل إلى حكم عامٍّ يفضي إلى الكشف عن القانون العلميّ»[4] الذي يميِّز الظاهرة موضوع البحث، ويحدِّد معالمها وأطرها، بعيدا عن الاستقراء الفطري الساذج الذي يبادر إلى أنواع التعميمات التي تستحوذ عليها السرعة والخطأ.

ولا شكَّ أنَّ الإحصاء هو السبيل الأمثل إلى أيِّ استقراء، ولذا حاولت أن أؤسِّس هذا البحث على «الطريقة المتَّبعة في البحوث العلمية ، فقد بدأت أوَّلا بحصر وجمع الألفاظ المختلفة ، والمنبثَّة في السور المختلفة من الكتاب العزيز»[5]، مستعينا بعدَّة مراجع أهمُّها:

---

(1) أبو ريدة محمَّد عبد الهادي: دائرة المعارف الإسلامية، مادة زمان ج 10/ ص 390.

(2) يقول الدكتور أبو سليمان: أصبح استقراء الآيات الكريمة، والأحاديث النبويّة الشريفة أمرا ميسورا في الوقت الحاضر، حيث تَمَّ تخزينها في الحاسب الآلي (الكمبيوتر)، والتمكن من استرجاعها واستعراضها كاملة حسب الموضوع المطلوب. أبو سليمان، عبد الوهَّاب إبراهيم (الدكتور): منهج البحث في الفقه الإسلامي - خصائصه ونقائصه-؛ المكتبة المكية - دار ابن حزم، مكَّة - بيروت؛ ط1: 1416هـ/ 1996م؛ ص16

ونحن بدورنا قد استعنَّا في استقرائنا بالحاسب الآلي، فأعاننا كثيرا.

(3) محمد عمر زيان (الدكتور): البحث العلمي مناهجه وتقنياته؛ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ ط4: 1403هـ/ 1983م؛ ص41.

غازي عناية (الدكتور): منهجية البحث عند المسلمين؛ دار البعث، قسنطينة، الجزائر؛ 1405هـ/ 1985م؛ص97-98.

(4) حسن ملحم (الدكتور): التفكير العلمي والمنهجية؛ مطبعة دحلب، الجزائر؛ 1993م؛ ص246-247.

(5) حنفي: التفسير العلمي، ص 9 (بتصرُّف).

1- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمَّد فؤاد عبد الباقي[1].

2- تفصيل آيات القرآن الكريم، لجول لابوم (Jules Labeaume) ومستدركه لإدوار مونتييه (Edward Montet)[2].

3- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، لمحمَّد بسَّام رشدي الزين[3].

4- برنامج الكمبيوتر لألفاظ القرآن الكريم[4].

5- قواميس اللغة ، وقد اخترت لسان العرب لابن منظور [5] ، ومختار الصحاح للرازي[6]

---

(1) عبد الباقي، محمَّد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ ط1: 1406هـ/ 1986م.

(2) بقدر ما هو شامل لبعض المواضيع، فهو مخلٌّ في مادة الزمن، إذ إنِّي حصرت في المتن والمستدرك المواضيع التي لها علاقة بالزمن، فوجدتها نادرة، وهي: الأشهر الحرم، التقويم، رمضان، الساعة، علم الفلك، ليلة القدر، اليوم الآخر، يوم الحساب.

وحتَّى تحت هذه المواضيع تنقصه آيات كثيرة غفل عن إدخالها ضمنها، وهذ ممَّا يدلُّ على أنَّ القرآن لم يكن يعتبر عند المستشرقين مصدرا من مصادر الدراسة الزمنية.

(Jules Labeaume) و (Edward Montet): تفصيل آيات القرآن ومستدركه؛ ترجمة محمَّد فؤاد عبد الباقي؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ 1969م.

(3) هو عمل جادٌّ، وهو أشمل الأعمال المذكورة، وقد ساعدني كثيرا رغم أنِّي اقتنيته بعد تحرير الفصل الأول في المسوَّدة. غير أنّه - كذلك - أحيانا لا يفرِّق بين المعنى واللفظ، فيكرّر - مثلا - كلَّ الآيات التي ورد فيها لفظ "الوقت" مرّة تحت عنوان الزمن (ج1/ ص533)، ومرّة أخرى تحت عنوان الوقت (ج2/ ص1317). رغم أنَّنا مع معجم للمعاني وليس للألفاظ.

محمَّد بسَّام رشدي الزين: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم؛ إشراف محمَّد عدنان سالم؛ دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان؛ ط1 : 1416هـ/ 1995م.

(4) شركة صخر لبرامج الحاسب: برنامج القرآن الكريم؛ القاهرة، مصر؛ الإصدار الخامس 1.5 : 1995م. يسير هذا البرنامج تحت نظام PC العالمي.

(5) ابن منظور : لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأوَّل من الكلمة: يوسف الخياط؛ دار الجيل، بيروت، لبنان؛ 1408هـ/ 1988م.

(6) الرازي زين الدين محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح؛ ترتيب: =

ولكثرة الألفاظ ودقَّتها حاولت أن أستخرج الأسماء والأفعال التي تدلُّ على الزمن دلالة مباشرة واضحة ، وأبيِّن معناها اللغويّ، ومواطن هذه الألفاظ من الآيات الكريمة ، ثمَّ أضع في خانةِ المواضيعَ الرئيسة التي تناولتها هذه الآيات؛ حتَّى يتسنَّى - بعد هذا الحصر - تقسيم الأبواب والفصول والمباحث انطلاقا من هذه المواضيع، مع المحافظة ما أمكن على مصطلحات القرآن.

وقد رتَّبت ذلك كلَّه في جدول ترتيباً معجميا، ليسهل التعامل معه، وبعد الجدول حاولت وضع بعض الرسوم البيانية - عن طريق الكمبيوتر - التي تقرِّب الفهم في معرفة حجم ورود اللفظ، وعلاقة ذلك كلِّه بالموضوع.

ثمَّ أنهيت المبحث بقراءة تحليلية للجدول والرسوم.

وبما أنـَّني اتَّبعت الطريقة الإحصائية ، فإنَّ هذه الطريقة تتمثَّل في تحليل النتائج تحليلا عدديا لتؤدِّي إلى تنبّؤات، وبواسطتها يستطيع الباحث أن ينظِّم ويبوِّب ويصنِّف مادته، مستعينا بـ«الخطوط البيانية التي تبلور توزيعها، وتبيِّن متوسّطاتها، ومقدار تشتّت عناصرها، ومبلغ الترابط القائم بين أجزائها»[1].

وغني عن الذكر أنَّ اتِّباع المنهج الاستقرائي في بناء تصوّر هذا البحث، لا يعني الاستغناء عن الملاحظة والاستنباط والتحليل، إذ الإحصاء «لا يقلّل من أهمية استخدام الإدراك السليم في تفسير النتائج، وهي مسألة ينساها البعض أحيانا»[2].

= محمود خاطر، تحقيق وضبط: حمزة فتح الله؛ دار البصائر - مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان؛ ط: 1407هـ/ 1987م.

(1) علي إدريس (الدكتور): **مدخل إلى مناهج البحث لكتابة الرسائل الجامعية**؛ الدار العربيَّة للكتاب، ليبيا-تونس؛ 1985م؛ ص51.

(2) بقردج و أ ب: **فنّ البحث العلمي**؛ ترجمة زكرياء فهمي؛ مراجعة الدكتور أحمد مصطفى أحمد؛ دار إقرأ، بيروت، لبنان؛ ط4: 1403هـ/ 1983م؛ ص41-46.

جدول ألفاظ الزمن في القرآن الكريم

اللفظ ومعناه اللغوي[1]	السور والآيات الوارد فيها[2]
المرجع[3]	العدد الإجمالي لورود اللفظ بجميع صيغه[4]

أبد: الأبد ج. آباد وأبود، الدهر، القديم، الأزليُّ، الدائم. أبداً: ظرف زمان للتأكيد في المستقبل نفياً وإثباتاً، لا أفعله أبداً، وأفعله أبداً.	* أبداً [12]: ﴿خالدين فيهآ أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (البيّنة: 8). * أبداً: ظرف زمان [16]: ﴿ولن يتمنّوه أبداً بما قدّمت أيديهم﴾ (البقرة: 95)
(لسان: 1/3) (مختار: 2)	[28]

(1) هو تعريف مبسّط وأوّلي، باعتماد أوثق المعاجم اللغوية وأكثرها شمولا، وبدهي أنّي سأرجع - إن شاء الله - إلى أغلب هذه الألفاظ في مواطنها من البحث، وأحاول استقصاء معانيها، وتتبّع دقائقها، حسب الموضوع.
ولعلَّ هذا التعريف الأوّلي ضروري، كما يبيّن ذلك دوركايم في كتابه "قواعد المنهج" إذ يقول: «يجب أن يبدأ حينئذ بتعريف الظواهر التي يدرسها [الباحث] لكي يعلم الناس، ويعلم هو الآخر - نوع المسائل - التي سيدرسها» ويصف هذا التعريف بأنّه مبدئيّ، وغير مطابق تماما لواقع ولحقيقة الموضوع المدروس، وإلاّ فلمَ الدراسة إذا. ويجب أن يستعان في هذا التعريف بالخواص الذاتية، لا بوجهة نظر فلسفية، فيقول: «وليس من المستطاع أن يقف المرء منذ بدء البحث - أي قبل تصنيف الظواهر تصنيفا علميا - إلاّ على الخواص الأكثر ظهورا، ونعني بها تلك الخواص التي يمكن ملاحظتها بطريقة مباشرة»
إميل دوركايم: **قواعد المنهج في علم الاجتماع**؛ سلسلة الأنيس؛ موفم للنشر، الجزائر؛ ط: 1990؛ ص92-93.
وفي بحثنا هذا يمكن معرفة الخواص بتعريف لغويّ مباشر.

(2) الصيغة الواردة في القرآن، مع ذكر عدد مرّات ورودها، والتمثيل لكلّ صيغة بآية واحدة.
وقد وضعت قبل هذا جدولا أوليا، رقمته آية آية، وأمام كلِّ آية الموضوع الذي تتناوله، ولكنَّ حجم هذا الجدول تعدّى المائة صفحة، ولذلك فضّلت أن يرجع من يريد التفصيل إلى المراجع التي ذكرتها. ولعله يتسنى لنا طبع هذا الجدول مستقبلاً إن شاء الله.

(3) المراجع اللغويّة المعتمدة. مع ملاحظة أنّي لا أشير إلى برنامج الكمبوتر، لأنّه يتمّ البحث فيه حسب اللفظ، أو جزء من اللفظ.
وانظر- ابن منظور : **لسان العرب المحيط**، أعاد بناءه على الحرف الأوّل من الكلمة: يوسف الخياط؛ دار الجيل، بيروت، لبنان؛ 1408هـ/ 1988م. والرازي: **مختار الصحاح**.

(4) هذا الرقم يمكّن من وضع عدد تقريبيّ لألفاظ الزمن في القرآن الكريم، ويفيد في الإحصاء والتحليل.

أجل: الأجل: ج آجال: غاية الوقت، وقت الموت. أجل أجْلاً تأخّر، وأجّل الشيء ضرب له أجلاً، أخّره. تأجّل تأخّر، والتأجيل: التأخير. الآجِل والآجلة: ضدُّ العاجل والعاجلة، الآخرة.	* أجّلتَ [1]: ﴿ربَّنا استمتع بعضُنا ببعض وبلغنآ أجلَنا الذي أجّلتَ لنا﴾ (الأنعام: 128) أجِّلتْ [1]: ﴿لأيّ يوم أُجِّلت ليوم الفصل﴾: (المرسلات: 12) * أجلٌ، [31]: ﴿ولكلِّ أمّة أجلٌ فإذا جآء ـ أجلهم لا يستاخرون ساعة﴾ (الأعراف: 34) * أجلاً، [3]: ﴿ومنكم من يتوفّى من قبلُ ولتبلغوا أجلاً مُسمًّى﴾ (غافر: 67) * أجلنا[1]: ﴿ربَّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنآ أجلنا﴾ (الأنعام: 128) أجله [2]: ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلىٰ أجله﴾ (البقرة: 282) أجلها [3]: ﴿ما تسبق مِنْ أمّة أجلها﴾(الحجر: 5) أجلهم [6]: ﴿وأن عسىٰ أن يكون قد اقترب أجلهم﴾(آل عمران: 185). أجلهنَّ [2]: ﴿فإذا بلغن أجلَهنَّ فأمسكوهنَّ بمعروف أو فارقوهنَّ بمعروف﴾ (الطلاق: 2) *الأجلين [1]: ﴿أيّما الأجلين قضيتُ فلا عدوان عليَّ﴾ (القصص: 28) * مؤجَّلاً [1]: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلاَّ بإذن الله كتاباً مؤجّلاً﴾ (آل عمران: 145)
(لسان: 1/25) (مختار: 7)	[55]
أخر: الآخر في أسماء الله الحسنى هو الباقي بعد فناء خلقه كله؛ والتأخُّر ضدُّ التقدُّم.	* أخَّر، أخّرت، أخّرتنا، أخّرتني، أخّرنا، نؤخّره، يؤخّر، يؤخّركم، يؤخّرهم، أُخّرنا، يؤخَّر، تأخّر، يتأخّر، تستأخرون، يستأخرون [24]: ﴿وإذا القبور بُعثرت علمت نفس ما قدّمت وأخّرت﴾: (الانفطار: 5) * المستأخرين [1]: ﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين﴾: (الحجر: 24) * أخراكم، أخراهم [3]: ﴿قالتْ أخراهم لأولاهم ربَّنا هؤلآء أضلُّونا﴾ (الأعراف: 38) * الآخر [28]: ﴿لمن كان يرجو الله واليومَ الآخر﴾: (الممتحنة: 6) * الآخر[1]: ﴿هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن﴾ (الحديد: 3) * آخرنا، آخره [2]: ﴿ءامِنوا بالذي أنزل على الذين ءامَنوا وجه النّهار واكفروا ءاخره﴾: (آل عمران: 76) * الآخرين [10]: ﴿وتركنا عليه في الآخِرين﴾ (الصافات: 129) الآخرة [115]: ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾ (التوبة: 38)
(لسان: 1/29) (مختار: 9)	[184]

أشد: يقال بلغ أشدَّه أي قوته، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين.	أشدَّه [5]: ﴿وَلَمَّا بلغ أَشُدَّه واستوىٰ ءاتيناه حكماً وعلماً﴾ (القصص: 14) أشدّهما [1]: ﴿فأراد ربُّك أن يبلغآ أَشُدَّهما ويستخرجا كنزَهما﴾ (الكهف: 82)
(لسان: 282) (مختار: 332)	[6]
أصل: الأصيل: ج آصال وأصائل وأُصل، وأُصلان: الوقت بين العصر والمغرب أو العشي.	* أصيلا [4]: ﴿وتسبِّحوه بكرة وأصيلا﴾ (الفتح: 9) * الآصال [3]: ﴿طوعاً وكرهاً وظِلالهُم بالغدوِّ والآصال﴾: (الرعد: 15)
(لسان: 1/ 68) (مختار: 18)	[7]
أمد: الأمد: ج آماد، الغاية ومنتهى الشيء، يقال: طال عليهم الأمد، أي الأجل. ومنذ أمد غير بعيد، أي منذ وقت غير بعيد.	* أمد [1]: ﴿فطال عليهم الأَمد فقست قلوبهم﴾ (الحديد: 16) * أمدا [3]: ﴿ثمَّ بعثناهم لنعلم أيُّ الحزبينِ أحصىٰ لما لبثوا أمدا﴾ (الكهف: 12)
(لسان: 1/ 95) (مختار: 24)	[4]
أمه: أمة: الحين، والجيل من الناس.	* أمة [2]: ﴿ولئنَ اَخَّرنا عنهم العذاب إلىٰ أمَّة مَّعدودة﴾ (هود: 8)
(لسان: 1/ 105) (مختار: 27)	[2]
أنف: آنف من وقت قريب، أي منذ ساعة، أي من أوّل وقت يقرب منّا. وهو منصوب على الظرفية.	* آنفاً [1]: ﴿قالوا للذين أوتوا العلم: ماذا قال ءانفاً﴾ (محمد: 16)
(لسان: 1/ 115) (مختار: 28)	[1]

أنن: أنّى: ظرف زمان بمعنى متى.	* أنّى [16]: ﴿قلِ اللهُ يَبدأ الخلقَ ثُمَّ يعيده فأنّى توفكون﴾ (يونس: 34)
(لسان: 1/ 122) (مختار: 29)	[16]
يأن: من أخَّر واستبطأ، وأن الشيء وآن لك أن تفعل كذا: حان. وإناه: وقته، مصدر من آن.	يان: [1]: ﴿ألم يانِ للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ (الحديد: 16) إناه: [1]: ﴿إلاَّ أن يوذن لكمُ، إلىٰ طعام غير ناظرين إناه﴾ (الحديد: 16)
(لسان: 1/ 132)	[1]
أين: الآن: ج. آونة الوقت والحين، الآن: ظرف للوقت الذي أنت فيه. آناء الليل: ساعاته.	* الآن [8]: ﴿قالتِ اِمرأة العزيز الآن حصحص الحقُّ﴾: (يوسف: 51) * آناء [3]: ﴿ومنَ ـ آنآء اللَّيل فسبِّح وأطراف النهار لعلّك ترضىٰ﴾ (طه: 130)
(لسان: 1/ 146) (مختار: 36)	[11]
أين: أيان: اسم شرط للزمان، واسم استفهام عن الزمان، وتكون بمعنى متى، ولا تكون إلاَّ استفهاماً عن الوقت الذي لم يجيء.	* أيان [6]: ﴿يسأل أيَّان يوم القيامة﴾ (القيامة: 6)
(لسان: 1/ 148) (مختار: 36)	[6]
أول: الأوَّل ضدّ الآخر. والأوَّل الله. والأولى الدنيا كما أنَّ الآخرة هي يوم القيامة.	* أوَّل [22]: ﴿أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوَّل الحشر﴾ (الحشر: 2) * الأوَّل [1]: ﴿هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن﴾ (الحديد: 3) * لأوَّلنا [1]: ﴿تكون لنا عيداً لأوَّلنا وءاخِرنا﴾: (المائدة: 114) * الأولون؛ الأولين [42]: ﴿والسابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار﴾ (التوبة: 100) * الأولى [17]: ﴿قال فما بال القرون الأُولىٰ﴾: (طه: 51) * أولاهم، أولاهما [3]: (الإسراء: 5)
(لسان: 1/ 130 ـ 132)	[82]

بـرج: البرج والبروج: دائـرة ترسمها الشمس في سيرها في السماء في سنة واحدة، وتقسّم الدائرة إلى 12 كلٌّ منها 30 درجة أسماها المعاصرون. حاجة: الدائرة الكسوفية.	* بروجاً [2]: ﴿تبارك الذي جعل في السمآء بروجاً﴾ (الفرقان: 61) * البروج [1]: ﴿والسمآء ذات البروج﴾ (البروج: 1)
(لسان: 1/ 184 ـ 185)(مختار: 46)	[3]
بطأ: البطء والإبطاء: نقيض الإسراع، وليبطّئنّ: أي يتأخّر.	* ليبطّئنّ [1]: ﴿وإنّ منكم لَمَن لَيُبطّئنّ﴾ (النساء: 72)
(لسان: 1/ 224) (مختار: 55)	[1]
بعد: ظرف زمان ضدّ قبل.	* بعيد، بعيداً [7]: ﴿إنّهم يرونهُ، بعيداً ونراه قريباً﴾ (المعارج: 6) * بعد [148]: ﴿والأرض بعد ذٰلك دحاها﴾ (النازعات: 30) * بعدك؛ بعدكم؛ بعده؛ بعدها، بعدهم، بعدهنّ، بعدي [52] ﴿ومبشّرًا برسول يأتي من بعديَ اسمهُ, أحمد﴾ (الصف: 6)
(لسان: 1/ 232) (مختار: 57)	[225]
بغـت: بغتـة: فجـأة، وبغتـه الأمر: فجأة.	* بغتة [13]: ﴿فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتة﴾: (محمد: 18)
(لسان: 1/ 237) (مختار: 58)	[13]
بقـي: دام، والبـاقـي هـو الله تعالى، والبقاء: ضدّ الفناء.	* يبقي؛ تبقي [1]: ﴿ومآ أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر﴾ (المدثر: 28) * أبقى [8]: ﴿والله خير وأبقىٰ﴾ (طه: 73) * باق [1]: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ (النحل: 96) * الباقين [2]: ﴿وجعلنا ذرّيّته هم الباقين﴾ (الصافات: 77) * باقية [2]: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ (الزخرف: 28)

	الباقيات [2]: ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك﴾ (الكهف: 46) بقية [2]: ﴿بقية الله خير لكمُ، إن كنتم مُؤمنين﴾ (هود: 86)
(لسان: 1/ 247)	[18]
بكر: بُكرة: غدوة، والإبكار: الدخول في وقت البكر. والبِكر: جمع أبكار، العذراء. والبقرة البِكر: الفتية.	* بكر [1]: ﴿لا فارضٌ ولا بكر﴾ (البقرة: 68) * أبكارا [2]: ﴿فجعلناهنّ أبكاراً عربا أترابا﴾ (الواقعة: 36) * بكرة [7]: ﴿وسبِّحوه بكرة وأصيلا﴾: (الأحزاب: 42) * الإبكار [2]: ﴿وسبّح بحمد ربك بالعشيّ والإبكار﴾ (غافر: 55)
(لسان: 1/ 348) (مختار: 61)	[12]
بيت: بات: أقام الليل، بيَّت الشيء دبَّره بالليل، والرأي فكَّر فيه.	* يبيتون [1]: ﴿يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً﴾ (الفرقان: 64) * يبيِّتون؛ لنبيِّتنَّه [3]: ﴿قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنَّه، وأهله﴾ (النمل: 49) * بياتا [3]: ﴿قل أرأيتمُ، إن أتاكم عذابهُ، بياتاً أو نهاراً﴾ (يونس: 50)
(لسان: 1/ 292) (مختار: 70)	[7]
بيد: باد يبيد بيدا: هلك وفني.	* تبيد [1]: ﴿قال مآ أظنُّ أن تبيد هذه أبداً﴾ (الكهف: 35)
(لسان: 1/ 293) (مختار: 70)	[1]
جدد: الجديد من جدَّ يجدُّ: ضدَّ القديم، ونقيض البلى.	* جديد، جديداً [8]: ﴿إن يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد﴾ (فاطر: 16)
(لسان: 1/ 415) (مختار: 95)	[8]
حقب: الأحقاب ثمانون سنة، الدهر، السنون، السنة.	* حقبا [1]: ﴿لآ أبرح حتّى أبلغ مجمع البحرين أوَ امضي حقبا﴾ (الكهف: 60) * أحقابا [1]: ﴿للطاغين مئابا لابثين فيهآ أحقابا﴾ (النساء: 23)
(لسان: 1/ 678) (مختار: 146)	[2]

حول: السنة لأنها تحول أي تمضي	* الحول [1]: ﴿متاعا إلى الحول غير إخراج﴾ (البقرة: 42) * حولين: [1]: ﴿والوالدات يرضعن أولادهنّ حولين كاملين﴾ (البقرة: 233)
(لسان: 1/ 758) (مختار: 163)	[2]
حين: ج. أحيان وأحايين: الوقت عموماً والمدّة، والحين الدهر، وقيل وقت من الدهر مبهم يصلح لجميع الأزمان.	* حين [34]: ﴿هلَ أتى على الإنسان حين مِّنَ الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾: (الإنسان: 1)
(لسان: 1/ 771) (مختار: 166)	[34]
خلد من خلَد يخلد خلوداً: بقي وأقام، والخلد دوام البقاء في دار لا يخرج منها، والخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها.	* تخلدون، يخلدون، أخلد، أخلده [4]: ﴿وتتخذون مصانع لعلّكم تخلدون﴾ (الشعراء: 129) * الخلد، الخلود [7]: ﴿يحسب أنَّ مالهُ، أخلده﴾ (الهمزة: 3) * خالد، خالداً، خالديْن، خالدون، خالدين [74]: ﴿فكان عاقبتهماَ أنَّهما في النار خالديْن فيها﴾ (الحشر: 17) * مخلّدون [2]: ﴿يطوف عليهم وِلدان مخلّدون﴾ (الواقعة: 17)
(لسان: 2/ 876) (مختار: 184)	[87]
دلوك الشمس: غروبها وقيل اصفرارها وميولها للغروب.	* دلوك [1]: ﴿أقمِ الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق اللّيْل﴾ (الإسراء: 18)
(لسان: 2/ 1005) (مختار: 209)	[1]
دهر: الدهر النازلة، الأمد المحدود، الزمان الطويل، وهو مرادف للعصر، وقيل ألف سنة.	الدهر [2]: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدَّهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾ (الإنسان: 1)
(لسان: 2/ 1024) (مختار: 212)	[2]

دوم: دام الشيء ثبت وامتدّ واستمرّ، الدائم الله تعالى، يقال يزورنا دائماً أي في كلّ وقت.	دامت؛ داموا؛ دمت؛ دمتم [7]: ﴿قالوا يا موسى إنّا لن نّدخلهآ أبدا ما داموا فيها﴾ (المائدة: 24) دائم؛ دائمون [2]: ﴿الذين هم على صلاتهم دآئمون﴾ (المعارج: 23)
(لسان: 265) (مختار:)	[9]
رمضان: لما نقلوا أسماء الأشهر عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي هي فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحرّ وشدّته، فسميّ به، وهو مأخوذ من رمض الصائم إذا حرّ جوفه من شدّة العطش.	* رمضان [1]: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان﴾ (البقرة: 185)
(لسان: 2/ 1225) (مختار: 257)	[1]
سبت: السبت الراحة، وسبت يسبت سبوتاً: استراح وسكن. والسبات النوم الخفي كالغشية.	* يسبتون [1]: ﴿ويوم يَسْبِتُون لا تأتيهم﴾ (الأعراف: 163) * السبت [5]: ﴿إِنَّمَا جُعل السبتُ على الذين اختلفوا فيه﴾ (النحل: 124) * سبتهم [1]: ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعا﴾ (الأعراف: 163) * سباتا [2]: ﴿هو الذي جعل لكم اللَّيْل لباسا والنوم سباتا﴾ (الفرقان: 47)
(لسان: 3/ 80) (مختار: 281)	[9]
سحر: السحر آخر الليل قبيل الصبح، طرف كلّ شيء، وقيل من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الفجر.	* سحر [1]: ﴿إنّآ أرسلنا عليهم حاصباً إلآّ ءال لوط نجّيناهم بسَحَر﴾ (القمر: 34) * الأسحار [2]: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ (الذرايات: 18)
(لسان: 3/ 106) (مختار: 288)	[3]

سرمد: السرمد الدائم، ليل سرمد أي طويل.	* سرمدا [2]: قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم بضياء﴾ (القصص: 71)
(لسان: 3/ 138)	[2]
سري: سار ليلاً، والاسم السُّرية والسُّرى.	* أسرى؛ يسر؛ اسر [7]: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً مِّن المسجد الحرام إلى المَسجد الأقصى﴾ (الإسراء: 1)
(لسان: 3/ 141) (مختار: 297)	[7]
سنة: السنَة ج. سنين، العام، والسنة مطلقة السنة المجدبة، والسنة الأزمة، ولم يتسنّه: لم تغيّره السنون.	* يتسنّه [1]: ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه﴾ (البقرة: 259) * سنة، [7]: ﴿يودُّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة﴾ (البقرة: 96) * السنين [12]: ﴿وهم منم بعدِ غَلَبهم سيغلِبون في بضع سنين﴾ (الروم: 4)
(لسان: 3/ 224) (مختار: 317)	[20]
سوع: الساعة جزء من أجزاء الليل والنهار، والوقت الحاضر، والقيامة، وتأتي بمعنى جزء من أربع وعشرين جزءا من اليوم.	* الساعة [48]: ﴿والساعة أدهى وأمرُّ﴾ (القمر: 46)
(لسان: 3/ 240) (مختار: 321)	[48]
شتا: الشتاء، الفصل البارد من فصول السنَة الأربعة.	* الشتاء [1]: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتآء والصيف﴾ (قريش: 2)
(لسان: 3/ 269) (مختار: 329)	[1]

شرق: الإشراق طلوع الشمس.	* الإشراق [1]: ﴿إنّا سخّرنا الجبال معه، يسبّحن بالعشيّ والإشراق﴾ (ص: 18) * مشرقين [2]: ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ (الحجر: 73)
(لسان: 3/ 303) (مختار: 336)	[3]
شفق: الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أوّل الليل، والشفق النهار أيضاً.	* الشفق [1]: ﴿فلآ أقسِم بالشفق والليل وما وَسَق﴾ (الانشقاق: 16)
(لسان: 3/ 336) (مختار: 342)	[3]
شهر: الشهر جمعه شهور وأشهر، والشهر القمر سمي بذلك لظهوره، والشهر العدد المعروف من الأيام.	* الشهر؛ الشهور[11]: ﴿ولسليمان الريحَ غدوُّها شهر﴾ (سبأ: 12) * شهرا؛ شهرين؛ أشهرا [10]: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ (الأحقاف: 15)
(لسان: 3/ 376) (مختار: 349)	[21]
شيب: الشيب بياض الشعر، من شاب يشيب شيْبا.	* شِيبا؛ شيْبا [2]: ﴿قال ربِّ إنّي وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيبا﴾ (مريم: 4) * شيبة [1]: ﴿ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبة﴾ (الروم: 54)
(لسان: 3/ 389)(مختار: 352)	[3]
شيخ: الشيخ الذي استبانت فيه السنّ وظهر عليه الشيب، وقيل هو شيخ من خمسين إلى آخره، وقيل من الخمسين إلى الثمانين.	* شيخ؛ شيخاً؛ شيوخاً [4]: ﴿ثمّ لتبلغوا أشدّكم ثمّ لتكونوا شيوخا﴾ (غافر 67)
(لسان: 3/ 391)(مختار: 352)	[4]

صبح: الصباح والصبح: أوّل النهار وكذا الفجرُ، وهو نقيض المساء. وأصبح: دخل في الصبح؛ استيقظ في جوف الليل. والجمع الإصباح.	* صبّحهم؛ أصبح، أصبحت؛ أصبحتم؛ أصبحوا؛ تصبح؛ تصبحوا؛ تصبحون؛ يصبح؛ ليصبحنّ؛ يصبحوا [29]: ﴿ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقرٌّ﴾(القمر: 38) * الصبح؛ الإصباح [5]: ﴿أليس الصبح بقريب﴾ (هود: 81) * صبحا؛ صباح [2]: ﴿فالمغيرات صبحا﴾ (العاديات: 3) * مصبحين [5]: ﴿إذ أقسموا ليصرمُنَّها مصبحين﴾ (القلم: 17)
(لسان: 3/ 401) (مختار: 354)	[41]
صيف: الصيف واحد من فصول السنة، وهو بعد الربيع الأوّل وقبل القيظ.	* الصيف [1]: ﴿رحلة الشتآء والصيف﴾ (قريش: 2)
(لسان: 3/ 501) (مختار: 375)	[1]
ضحا: الضحى ارتفاع النهار، إذا امتدّ النهار وكرَب أن ينتصف.	* الضحى [3]: ﴿والضحىٰ والليل إذا سجىٰ﴾ (الضحى: 1) * ضحاها [3]: ﴿وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾ (النازعات: 29) * تضحى [1]: ﴿وإنَّك لا تظمأ فيها ولا تضحىٰ﴾ (طه: 119)
(لسان: 3/ 515) (مختار: 377)	[7]
طفل: الطفل المولود، وجمعه أطفال، والطفل والطفلة الصغيران.	* الطفل؛ الأطفال [2]: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا﴾ (النور: 59) * طفلاً [2]: ﴿ثمّ يخرجكم طفلاً﴾ (غافر: 67)
(لسان: 4/ 599) (مختار: 394)	[4]
طور: الطور التارة، تقول طوراً بعد طور أي تارة بعد تارة.	* أطواراً [1]: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكمُ، أطوارا﴾ (نوح: 14)
(لسان: 4/ 633) (مختار: 399)	[1]

طول: طال الشيء يطول طولاً امتدَّ.	* طال؛ تطاول [4]: ﴿فطال عليهمُ الأَمَد فقست قلوبهم﴾ (الحديد: 16) * طويلاً [2]: ﴿ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلا﴾ (الإنسان: 26)
(لسان: 4/ 628) (مختار: 401)	[6]
عجز: المرأة الكبيرة ولا يقال عجوزة، والجمع عجائز وعجز.	عجوز، عجوزاً [4]: ﴿قالت يا ويلتا ءالد وأنا عجوز﴾ (هود: 72)
(مختار: 414)	[4]
عجل: العجل ضدَّ البطء، واستعجل الشيء طلب عجلته.	* عجلتُ؛ أعجِلتم؛ تعجل؛ عجّلَ؛ عجّلنا؛ يعجّل؛ عجِّلْ؛ أعجلك؛ تعجّل؛ استعجلتم؛ تستعجل؛ تستعجلونَ؛ تستعجلونِ؛ تستعجلوه؛ يستعجل؛ يستعجلون؛ يستعجلونِ؛ يستعجلونك [32]: ﴿فلا تعجل عليهمُ، إنَّما نعدُّ لهم عدًّا﴾ (مريم: 84) * استعجالهم [1]: ﴿ولو يعجِّل الله للناس الشرَّ استعجالهم بالخير لقضي إليهمُ، أجلهم﴾ (يونس: 11) * العاجلة [3]: ﴿كلاّ بل تحبُّون العاجلة﴾ (القيامة: 20) * عجل [1]: ﴿خُلق الانسان من عجلٍ﴾ (الأنبياء: 37)
(لسان: 4/ 694) (مختار: 415)	[37]
عشا: العشاء أوَّل الظلام، وقيل من المغرب إلى العتمة، أو آخر النهار، والعشيُّ العشاءُ.	* عشاء؛ عشيا؛ عشية [7]: ﴿وجآءُوا أباهم عِشآء يبكون﴾ (يوسف: 16) * العشي [6]: ﴿واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربك بالعشيِّ والإبكار﴾ (غافر: 55)
(لسان: 4/ 788) (مختار: 435)	[13]

عصر: العصر آخر النهار إلى احمرار الشمس، والعصر الدهرُ، واليوم، والغداة، والليلة.	* العصر [1]: ﴿والعصر إنّ الإنسان لفي خسر﴾ (العصر: 1)
(لسان: 4/ 793) (مختار: 436)	[1]
علق: العلق الدم ما كان، وقيل الدم الغليظ، وقيل الجامد قبل أن ييبس، والقطعة منه علقة.	* علق؛ علقة [6]: ﴿خلق الإنسان من علق﴾ (العلق: 2)
(لسان: 4/ 865) (مختار: 450)	[6]
عمر: العمر الحياة أو ما طال منه، وعمّر الرجل عاش زمناً طويلاً؛ ولعمرك: قسم، أي لحياتك.	* عمروها؛ يعمُر؛ يعمروا؛ استعمركم [5]: ﴿إنّما يعمر مساجد الله منَ ءامن بالله واليوم الآخر﴾ (التوبة: 18) * يعمّر؛ نعمّركم؛ نعمّره [5]؛ ﴿ومن نُّعمِّره ننكسه في الخلق﴾ (يس: 68) * لعمرك [1]: ﴿لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ (الحجر: 72) * معمّر [1]: ﴿وما يعمّر من معمّر ولا يُنقص من عمره إلاّ في كتاب﴾ (فاطر: 11) * العمر [4]: ﴿ولكنّآ أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر﴾ (القصص: 45) * عمرا[1]: ﴿فقد لبثتُ فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾(يونس: 16) عمرك؛ عمره [2]: ﴿قال ألم نربّك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ (الشعراء: 18)
(لسان: 4/ 881) (مختار: 454)	[19]
عهد: العهد كلّ ما عوهد الله عليه، وكلّ ما بين العباد من المواثيق، وهو زمن الموعد.	عهد، أعهدُ، عاهد، عاهدتّ، عاهدتم، عاهدوا [14]: ﴿ألَمْ أَعهد إِليكم يابني ءادم أن لا تعبدوا الشيطان﴾ (يس: 60) عهد، عهدا، عهدكم، عهده، عهدهم، عهدي [29]: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ (المؤمنون: 8)
(لسان: 4/ 914) (مختار: 460)	[43]

عـوم: العـام الحـول يـأتي على فصوله.	عامٌ، عاماً، عامهم، عامَين [8]: ﴿فأماته الله مائة عام ثمَّ بعثه﴾ (البقرة: 259)
(لسان: 4/ 933) (مختار: 463)	[8]
عون: العوان السنّ بين السنين، والنصف بين الفارض والبكر، ومن البقر بين المسنّة والشابة، ومن النساء الثيّب.	عـوان [1]: ﴿إنّهـا بقـرة لا فـارض ولا بكـر عـوانـم بين ذلـك﴾ (البقرة: 68)
(لســان: 4/ 935) (مختــار: 463)	[1]
غـداً: الغـد والغـدوة البكـرة، والغدوة علَم للوقت، والغد اليوم الذي يأتي بعد يومك.	غدوا، غدوتَ، اغدوا [3]: ﴿وغدوا علىٰ حرد قادرين﴾ (القلم: 25) لغدٍ، غداً [5]: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا﴾ (لقمان: 34) بالغدوِّ، غدوًّا، غدوُّها، بالغداة [7] : ﴿يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال﴾ (النور: 36)
(لســان: 4/ 962) (مختــار: 469)	[15]
غـرب: الغـروب: غيـوب الشمـس، والمغـرب خـلاف المشرق.	غربت، تغرُب [2]: ﴿وإذا غربت تَّقرِضهم ذات الشمال﴾ (الكهف: 17) الغروب، غروبها، المغرب، المغربين، المغارب، مغاربها [12]: ﴿وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ (ق: 39)
(لســان: 4/ 965) (مختــار: 470)	[14]
غسـق: غسـقَ الليـلُ انصبّ وأظلم، وغسقُ الليلِ ظلمته.	غسق، وغاسق [2]: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلىٰ غسق الليل﴾ (الإسراء: 78)
(لسان: 4/ 987) (مختار: 474)	[2]

غيب: الغيب: كلّ ما غاب عنك، ومنه أمر الآخرة.	الغيب، غيبه، الغيوب، غائبة، غائبين [54]: ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ (النجم: 35)
(لسان: 4/ 1033) (مختار: 485)	[54]
فتى: الفتى: الشاب والشابة.	فتى، لفتاه، فتاها، فتيان، الفتية، لفتيانه، فتياتكم [10]: ﴿إنّهم فتية ءامنوا بربّهم وزدناهم هدى﴾ (الكهف: 13)
(لسان: 4/ 1051) (مختار: 491)	[10]
فجر: الفجر: ضوء الصباح، وهو حمرة الشمس في سواد الليل، والفجر في آخر الليل كالشفق في أوّله.	الفجر [6]: ﴿والفجر وليالٍ عشرٍ﴾ (الفجر: 1)
(لسان: 4/ 1053) (مختار: 491)	[1]
فرض: الفارض: التي بلغت سنّها أي قطعتها، ومن البقر المسنّة.	فارض [1]: ﴿إنّها بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ﴾ (البقرة: 68)
(لسان: 4/ 1078) (مختار: 498)	[1]
فلك: الفلك مدار النجوم.	فلك [2]: ﴿ولا الليلُ سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبَحون﴾ (يس: 2)
(لسان: 4/ 1129) (مختار: 511)	[2]

فنـي: الفنـاء نقيـض البقـاء، والفاني هو الزائل.	فان [1]: ﴿كلّ من عليها فانٍ﴾ (الرحمن: 48)
(لسان: 4/ 1138)(مختار: 513)	[1]
قبل: نقيض بعدَ.	قبل [242] : ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ (الرعد: 6)
(لسان: 5/ 10) (مختار: 519)	[242]
قدم: القدَم العتق مصدر القديم، والقدم نقيض الحدوث.	القديم، الأقدمون[4]: ﴿والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم﴾ (يس: 39)
(لسان: 5/ 34) (مختار: 524)	[4]
قرن: القرن الأمّة بعد الأمّة، فقيل10 سنين، وقيل100 سنة، وقيـل بين ذلـك، وهـو مقـدرا التوسّط في أعمار أهل الزمان.	قرن، قرناً، القرنين، القرون، قروناً [23]: ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ (طه: 51)
(لسان: 5/ 74) (مختار: 532)	[23]
قوم: المقيم الدائم ومستمرٌّ، ومنه يوم القيامة وهي الآخرة.	المقيم [8]: ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ (الحجر: 76) القيامة [70]: ﴿ثمّ يوم القيامة يخزيهم﴾ (النحل: 27)
(لسان: 5/ 192، 196)(مختار: 557)	[78]
قيلَ: القائل: القائلة الظهيرة والقيلـولـة، والمقيـل الاستراحـة نصف النهار، والقائل المستريح في ذلك الوقت.	قائلون [1]: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجآءها بأسنا بياتاً وهو قآئلون﴾ (الأعراف: 4) مقيلا [1]: ﴿أصحاب الجنّة يومئذٍ خير مستقرًّا وأحسن مقيلا﴾ (الفرقان: 24)
(لسان: 5/ 202) (مختار: 559)	[2]

كعب: الكواعب من كعبت الجارية إذا نهد ثديها، ويقال جارية كاعب، وجمعه كواعب.	كواعب [1]: ﴿وكواعب أترابا﴾ (النبأ: 33)
(لسان: 5/ 266) (مختار: 572)	[1]
كهل: الكهل الرجل الذي جاوز الثلاثين ووخطه الشيب.	كهلاً [2]: ﴿ويكلّم الناس في المهد وكهلا﴾ (آل عمران: 46)
(لسان: 5/ 308)(مختار: 591)	[2]
كور: تكوير الليل والنهار إلحاق أحدهما بالآخر.	يكوّر، كوّرت [2]: ﴿إذا الشمس كُوِّرت﴾ (التكوير: 1)
(لسان: 5/ 312) (مختار: 582)	[2]
لبث: اللبث المكث، والإقامة.	لبث، لبثت، لبثتم، لبثنا، لبثوا، يلبثوا، يلبثون، تلبّثوا [30]: ﴿قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ (البقرة: 259) لابثين [1]: ﴿لابثين فيهآ أحقاباً﴾ (النبأ: 23)
(لسان: 5/ 332) (مختار: 589)	[31]
ليل: الليل عقب النهار، ومبدؤه من غروب الشمس، والليل الظلام، والنهار الضياء.	الليل، ليلاً، ليلة، ليلها، ليال، ليالي [92]: ﴿ومن ـ آياته الليل والنهار﴾ (فصلت: 37)
(لسان: 5/ 423) (مختار: 611)	[92]
متى: كلمة استفهام عن وقت الأمر.	متى [9]: ﴿ويقولون متىٰ هذا الوعد﴾ (الملك: 25)
(لسان: 5/ 435) (مختار: 614)	[9]

مدد: مدَّة الغاية من الزمان، مدّة الأمّة غاية بقائها، ومدّ في عمره نسيء فيه.	مدٌّ [2]: ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مَدًّا﴾ (مريم: 75) مدّتهم [1]: ﴿فأتمّوا إليهم عهدهمُ، إلىٰ مدّتهم﴾ (التوبة: 4)
(لسان: 5/ 452) (مختار: 618)	[3]
مرر: مستمر: ماض على طريقة واحدة.	مستمرّ [2]: ﴿في يوم نحسٍ مستمرٌّ﴾ (القمر: 19)
(لسان: 5/ 664) (مختار: 621)	[2]
نجم: النجم: الكوكب، وعند الإطلاق هو الثريا.	النجم، النجوم [13]: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ (النحل: 16)
(لسان: 6/ 590) (مختار: 647)	[13]
نزل: منازل: مواطن ينزل ويسير فيها، ويستدلّ به على مضي الشهور.	منازل [2]: ﴿والقمر قدّرناه منازل﴾ (يس: 39)
(لسان: 6/ 620) (مختار: 655)	[2]
نسا: النسيء والنسيُّ: شهر كانت العرب تؤخّره في الجاهلية وهو من نسأ الشيء إذا أخّره.	النسيء [1]: ﴿إنّما النسيء زيادة في الكفر﴾ (التوبة: 37)
(لسان: 6/ 631) (مختار: 659)	[1]
نطف: النطفة: القليل من الماء، وسمي به المني لقلّته.	نطفة [12]: ﴿ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ (المؤمنون: 13)
(لسان: 6/ 662) (مختار: 666)	[12]

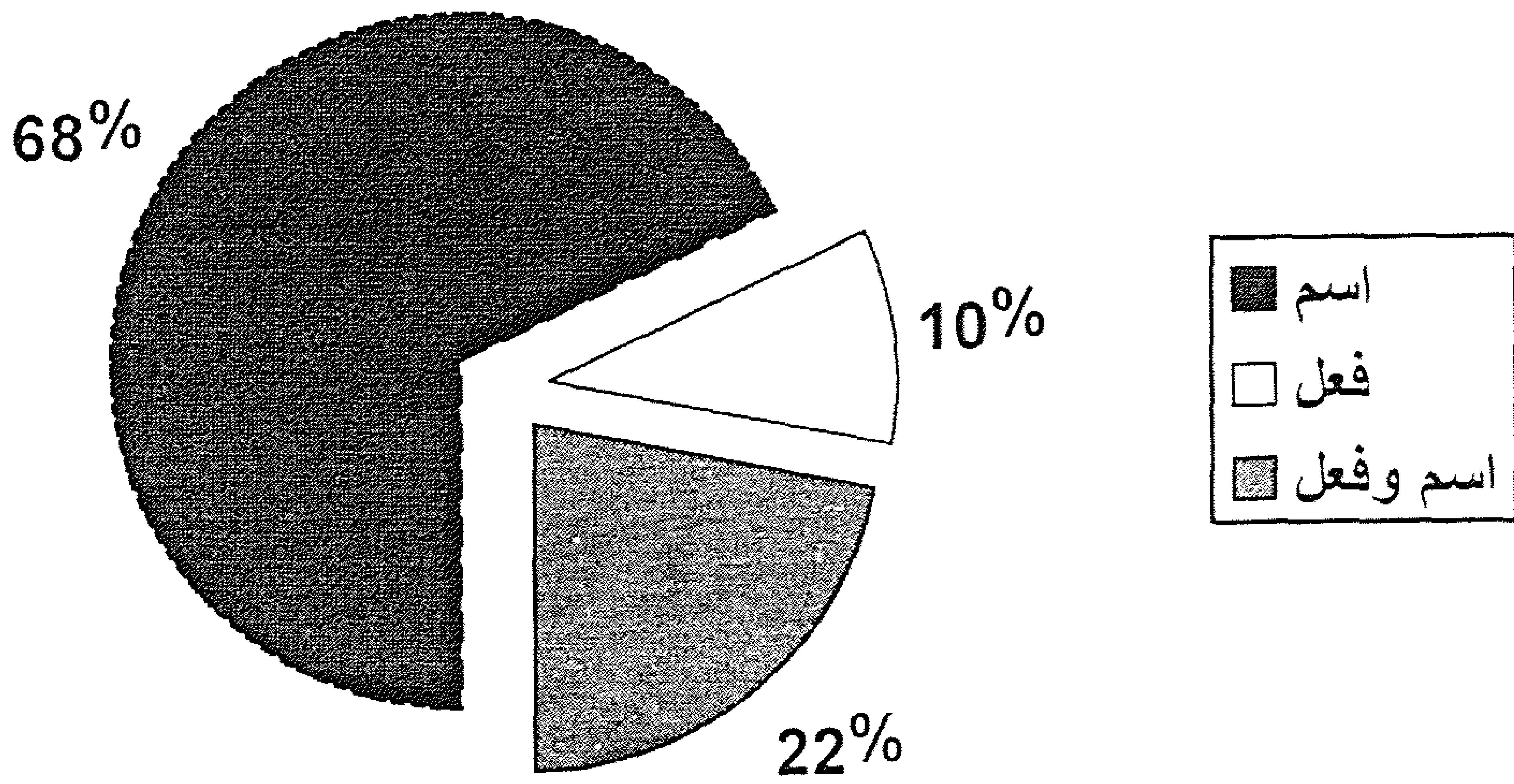
نعس: النعاس: النوم، وقيل هو مقاربته.	النعاس، نعاساً [2]: ﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾ (الأنفال: 11)
(لسان: 6/ 670) (مختار: 667)	[2]
نهر: النهار: ضدّ الليل، وهو ضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس.	النهار، نهاراً [57]: ﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ (الأنبياء: 42)
(لسان: 6/ 728) (مختار: 682)	[57]
نوم: النوم ضدّ اليقظة، وهو النعاس.	النوم، نومكم [3]: ﴿وجعلنا نومكم سُباتا﴾ (النبأ: 9) نائمون [2]: ﴿أفأمِنَ أهل القرىٰ أن ياتيهم بأسنا بياتا وهو نآئمون﴾(الأعراف: 97) المنام، منامك، منامكم، منامها [4]: ﴿ومن ـ آياته منامكم بالليل والنهار﴾ (الروم: 23)
(لسان: 6/ 747) (مختار: 686)	[9]
هجد: التهجّد: الاستيقاظ ليلاً للصلاة وغيرها.	تهجّد [1]: ﴿ومن الليل فتهجّد به نافلة لك﴾ (الإسراف: 79)
(لسان: 6/ 771) (مختار: 690)	[1]
هجع: قام بالليل خاصة.	يهجعون [1]: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ (الذاريات: 17)
(لسان: 6/ 775) (مختار: 691)	[1]
هلل: الأهلّة ج. الهلال غرّة القمر حين يهلّه الناس في غرّة الشهر.	الأهلّة [1]: ﴿يسألونك عن الأهلّة قل هي مواقيت للناس والحجّ﴾ (البقرة: 189)
(لسان: 6/ 822) (مختار: 697)	[1]

وعد: الوعد: الموعد، زمان الموعد، العهد.	وعد، وعدتّكم، وعدتنا، وعدتهم، وعدكم، وعدَنا، وعدْناه، وعدْناهم، وعدها، وعدوه، أتعدانني، تعدنا، نعدهم، يعد، يعدكم، يعدهم، عدهم، توعدون، وُعد، وُعدنا، توعدون، يوعدون، واعدنا، واعدناكم، تواعدوهنّ، تواعدتّم [76]: ﴿وواعدْنا موسىٰ ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾ (الأعراف: 142) وعْد، وعداً، وعدك، وعده، الوعيد، وعيد، موعد، موعداً، موعدك، موعدكم، موعده، موعدهم، موعدي، موعدة، الموعود، الميعاد [75]: ﴿وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾ (الزمر: 20)
(لسان: 6/ 951) (مختار: 628)	[151]
وقت: الوقت مقدار من الزمان، وكلّ شيء قدّرتَ له حيناً فهو مؤقّت، وكذلك ما قدّرتَ غايته.	أقّتت [1]: ﴿وإذا الرسل أقّتت﴾ (المرسلات: 11) الوقت، لوقتها، ميقات، ميقاتا، لميقاتنا، ميقاتهم، مواقيت، موقوتاً [12]: ﴿إنّ يوم الفصل ميقاتهمُ، أجمعين﴾ (الدخان: 40)
(لسان: 6/ 962) (مختار: 731)	[13]
يوم: اليوم، من طلوع الشمس إلى غروبها، واليوم هو الوقت مطلقا، وهو كذلك من الهاجرة إلى الهاجر.	اليوم، يوماً، يومكم، يومهم، يومين، أيام، أياماً [404]: ﴿إنّ يوم الفصل كان ميقاتاً﴾ (النبأ: 17) يومئذٍ [70]: ﴿وجيء يومئذٍ بجهنّم﴾ (الفجر: 23)
(لسان: 6/ 1021)(مختار: 745)	[474]

المواضيع المستنبطة من جدول الألفاظ

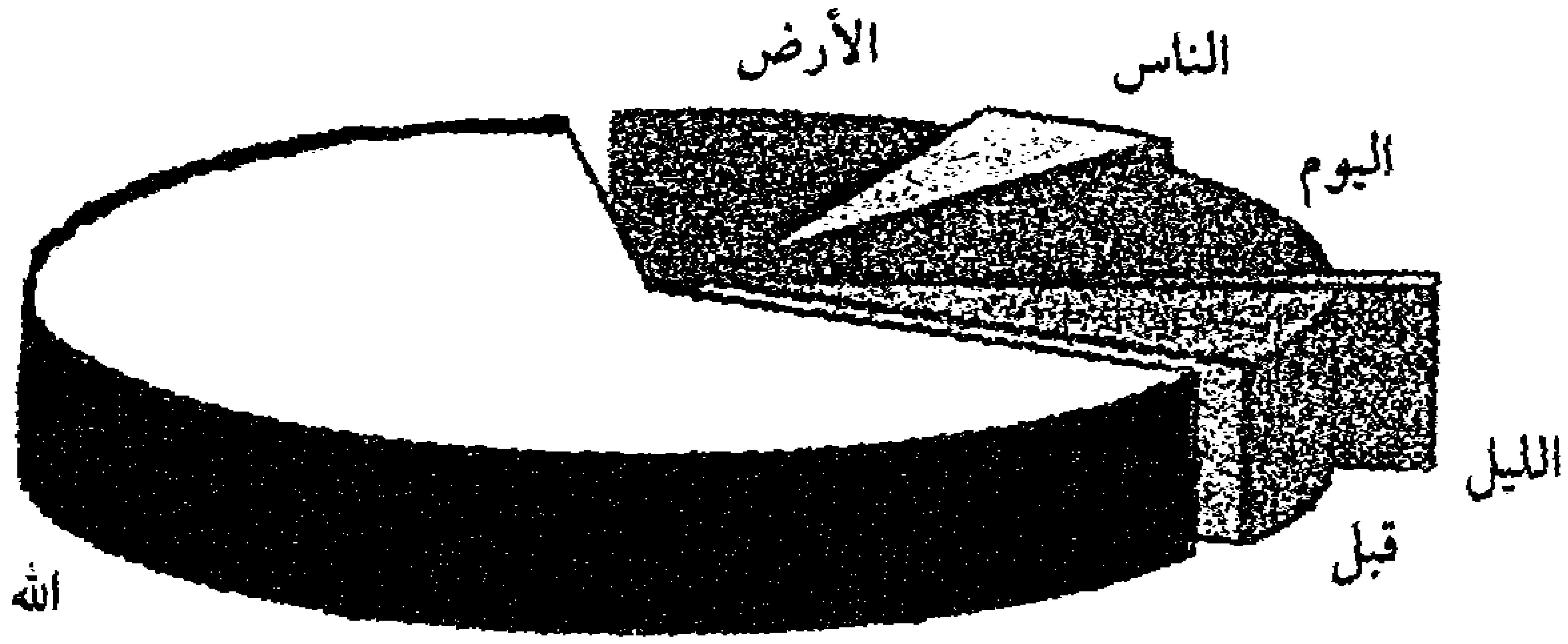
الرقم	الموضوع الجزئي	عدد مرّات إحصائه ضمن الآيات الواردة
1 .	البرمجة اليومية	32
2 .	التأريخ	12
3 .	التقويم	20
4 .	الحركة في الزمن	16
5 .	زمن الآخرة	37
6 .	زمن الأمم	36
7 .	زمن الطبيعة	14
8 .	زمن العبادات والأحكام	38
9 .	زمن الكون	12
10 .	زمن الملائكة والجن والعوالم الأخرى	9
11 .	الزمن المبارك	2
12 .	زمن المعاملات	10
13 .	زمن الموعد	16
14 .	الزمن النسبي	14
15 .	الزمن النفسي	12
16 .	القسم بالزمن	11
17 .	الله والزمن	27
18 .	مراحل العمر	36
19 .	المقادير الزمنية	25
20 .	وعي الزمن	36

الرسـم البيانـي
لنسب صيغ ألفاظ الزمن في القرآن الكريم



رسم يبيِّن نسب الألفاظ الواردة بصيغ: اسم دون الفعل، وفعل دون الاسم، والاسم والفعل معاً، وقد يستنتج منه كثير من الملاحظات حول طبيعة ألفاظ الزمن في القرآن الكريم.

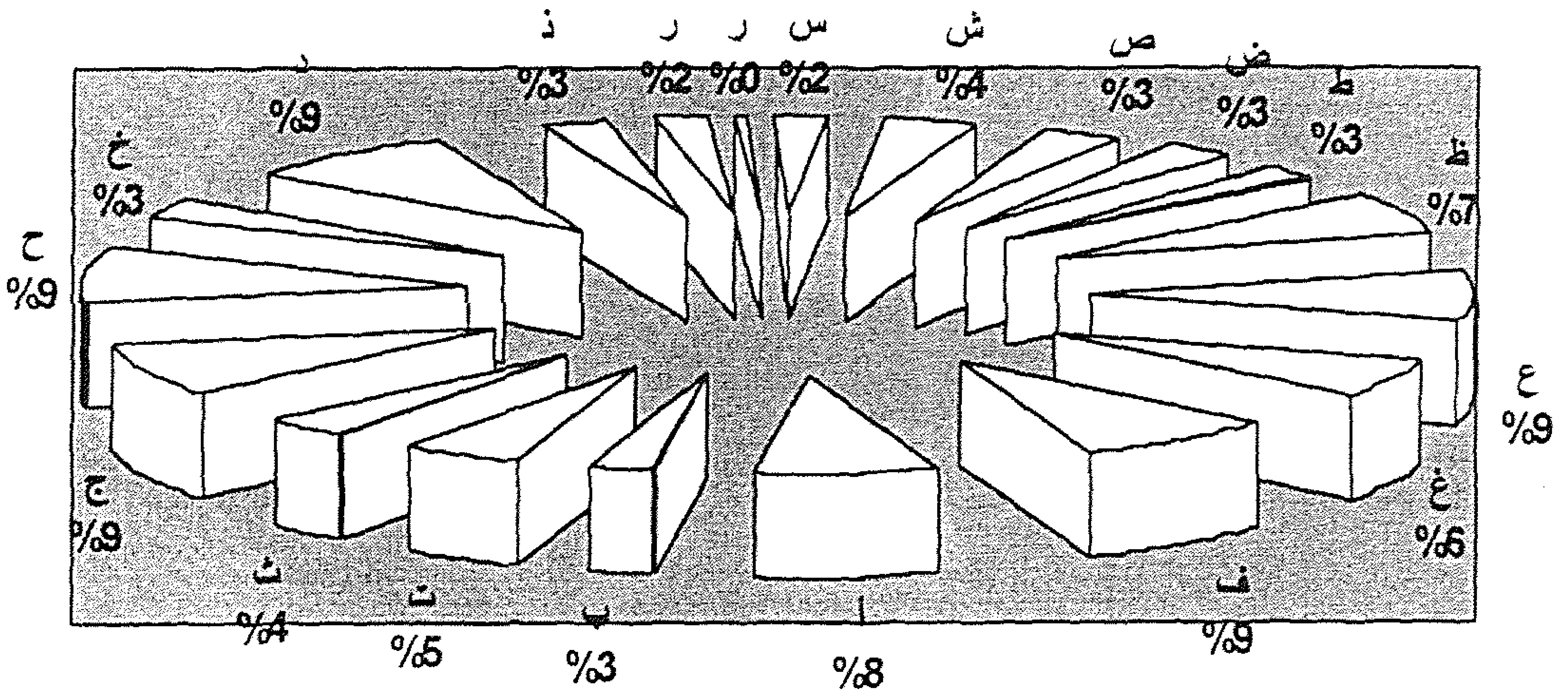
الرسم البياني
مقارنة عدد بعض ألفاظ الزمن بغيرها في القرآن الكريم



تبيِّن هذه المقارنة مدى حجم بعض ألفاظ الزمن ومكانتها في القرآن الكريم، ذلك أنَّ القاعدة هي: **الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، ولا شيء في القرآن يذكر عبثاً.**

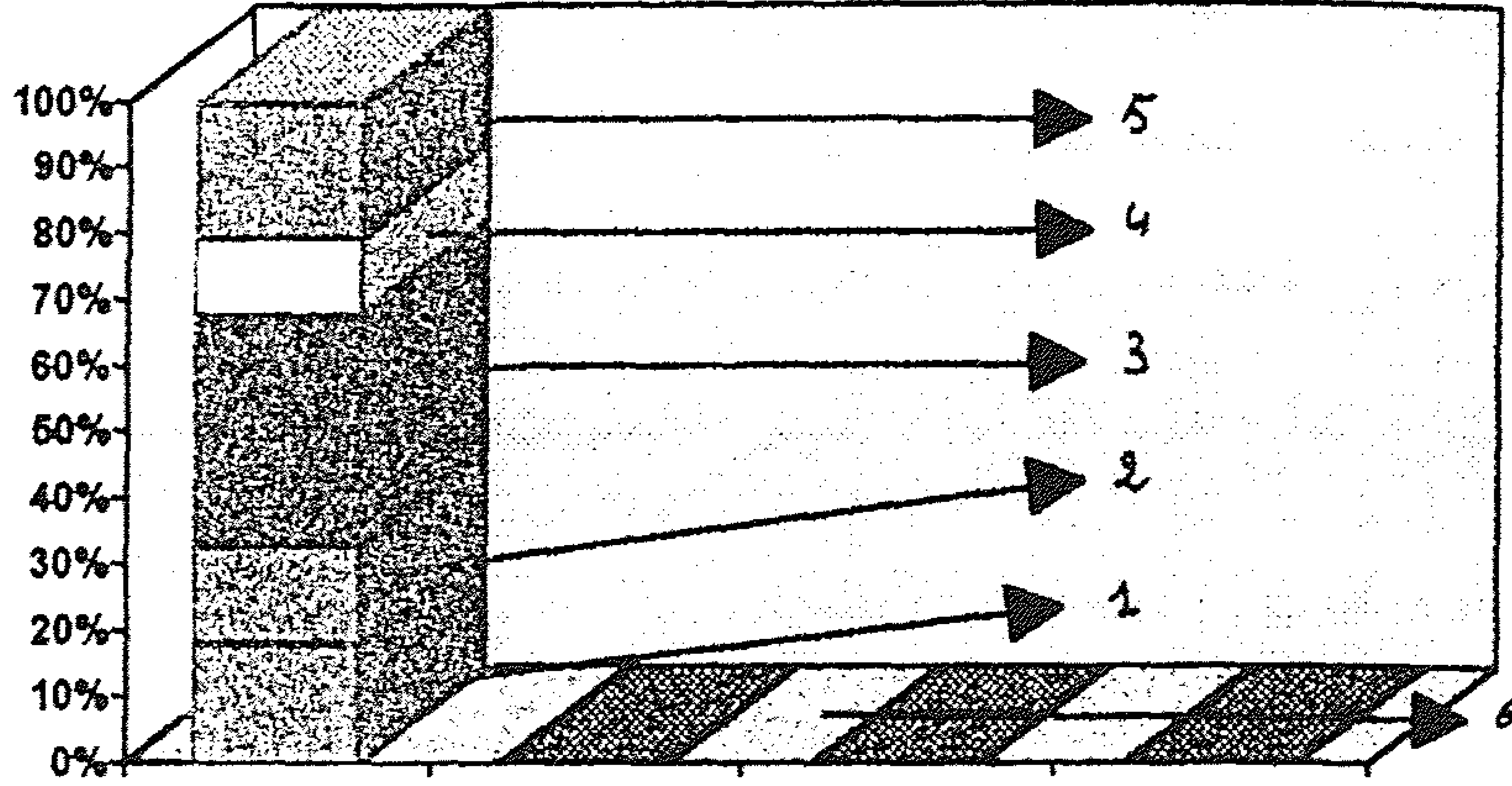
﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾

الرسـم البيانـي
لأهمِّ مواضيع الزمن المستنبطة من جدول الألفاظ الزمنية



أ) البرمجة اليومية، ب) التأريخ، ت) الحركة في الزمن، ج) زمن الآخرة، ح) زمن الأمم، خ) زمن الطبيعة، د) زمن العبادات والأحكام، ذ) زمن الكون، ر) زمن الملائكة والجن والعوالم الأخرى، ز) الزمن المبارك، س) زمن المعاملات، ش) الموعد، ص) الزمن النسبي، ض) الزمن النفسي، ط) القسم بالزمن، ظ) الله والزمن، ع) مراحل العمر، غ) المقادير الزمنية، ف) وعي الزمن.

الرســم البيانــي
أقسام البحث المستنبطة من جدول ألفاظ ومواضيع الزمن في القرآن الكريم



---

1) **القسم الأوّل** : المقادير الزمنية.

2) **القسم الثاني** : التقويم ـ وبعد القراءة المصحفية ظهر أنَّه كبير الحجم وينبغي أن يقسَّم إلى فصلين ـ.

3) **القسم الثالث** : التأريخ ووعي الزمن.

4) **القسم الرابع** : الحركة في الزمن.

2) **القسم الخامس** : الزمن النسبي والنفسي والمبارك.

6) **المجال الثاني** : وهو مجال العلاقات بين الزمن وغيره، ويحتاج إلى دراسات كثيرة كما يشير إليه الرسم. وانظر القراءة التحليلية في المواضيع ص 31.

قراءة في الجدول والرسوم:

ما هي نسبة مادة الزمن في القرآن مقارنة بالمواد الأخرى؟

إلى أيِّ مدىً استطاع جدول الألفاظ أن يحصر هذه المادَّة؟

ما هي الصيغ المختلفة لألفاظ الزمن في القرآن؟....

هذه الأسئلة وغيرها تصبُّ في تأسيس جواب على الإشكال العام، وبالتالي الوصول إلى تصوّر حقيقي لمادة الزمن في القرآن، وللإجابة عليها يتعيّن قراءة الجدول والرسوم قراءة تحليلية، وصوغ نتائج هذه القراءة لتأسيس الخطوات الأخرى للبحث تأسيساً علمياً.

وقد توصَّلنا إلى الملاحظات الآتية:

1) الألفـاظ:

1 ـ تشغل مادة الزمن حجماً معتبراً في القرآن الكريم، وهذا ما يعطيها مكانة ضمن المواضيع الرئيسة للقرآن، ويدعو إلى ضرورة دراستها.

2 ـ ما تمَّ حصره هو الألفاظ المباشرة ـ فقط ـ التي لها علاقة دقيقة بالموضوع، وتوجد ألفاظ أخرى تدلُّ على الزمن غير أنَّ دلالتها غير مباشرة، ولذا لم ندخلها في الجدول، ومن ذلك مثلاً: الحياة، الموت، الخلف، الذرية...

3 ـ لم ندخل في الجدول الحروف التي تمثّل في حقيقتها وحدة زمنية، ومقداراً من الوقت، مثل: ثمَّ، الفاء، أو غاية مثل: حتَّى... والتي لن نغفلها في البحث إن شاء الله، وسنستعين بها في موضعها[1].

والسبب هو كثرة ورودها، ولو أخذت بعين الاعتبار لكان جلُّ القرآن زمنا كما ذكرنا.

4 ـ لا نجد في القرآن كلمة "زمن" بأي صيغة من صيغها[2] سواء بمعناها

---

(1) وانظر قصار الشريف: **معاني الحروف في القرآن الكريم**؛ المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ 1984 م.

(2) أبو ريدة: **دائرة المعارف**، مادة زمن، ج10/ص390.

الآلوسي: **الزمان في الفكر الديني**، ص14 ـ 15.

اللغوي[1] أو الفلسفي، ولا نجد كلمة مشتقَّة منها، وإن في معنى آخر.

5 ـ من المعلوم أنَّ «الكلمات العربية التي لها صلة بكلمة زمن من حيث الدلالة العامة هي: دهر، أزل، أبد، خلد، سرمد، مدَّة، حين، وقت، آن»[2].

هذا ما يذكره أبو ريدة، وبعد ذلك يعدِّد ما ورد من هذه الألفاظ في القرآن، غير أنَّه لم يتمكَّن من حصرها، والسبب في رأينا هو عدم ضبطه لجدول كامل لمادة الزمن، وبالتالي عدم تمكّنه من التصوّر الشامل.

أمَّا الجدول الذي وضعناه فيمكّننا من حصر أغلب الألفاظ حصراً دقيقاً، ويوصلنا إلى نتائج مقبولة في تحديد هذه الألفاظ عدداً ونوعاً.

6 ـ يمكن أن نضيف إلى القائمة التي ذكرها أبو ريدة، الحاوية للكلمات العربية التي لها صلة بكلمة زمن من حيث الدلالة العامة في القرآن الكريم، الكلمات التالية: «الأمد، الأمة، البقاء والدوام ـ بمعنى الخلد ـ، الساعة ـ بمعنى الوقت الحاضر ـ، الفناء، القدم...».

7 ـ أمَّا الألفاظ الواردة في صيغة الفعل دون الاسم في القرآن فهي: بطَّأ، سرى، تهجَّد، هجع...

وقلَّة نسبة هذه الأفعال تعود في رأينا إلى أنَّ الفعل يحمل في ذاته دلالة الزمن: ماض، أو حاضر، أو مستقبل. ولذا لم يحتج إلى استعمال أفعال كثيرة دالة على الزمن دلالة مباشرة.

ويدلّ الفعل كذلك على التجديد وعدم الثبات، فهو بذلك يباين الخطّ العامّ لألفاظ الزمن والتي تعبّر عن الثبات والتحديد إلاَّ نادرا.

8 ـ وأمَّا الألفاظ المصوغة اسما وفعلا، فمنها: الأجل ومنه أجَّل، والآخر ومنه أخَّر، والبقاء ومنه بقي، والسبت ومنه سبت، والصبح ومنه صبَّح، العجَل ومنه عجل، والعمر ومنه عمّر، والعهد ومنه عهِد، والغد ومنه غدا، والغروب منه غرب، والمدّة ومنه مدّ، والوقت ومنه وقَّت...

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ص48/3.

(2) أبو ريدة: **دائرة المعارف**؛ مادة زمان؛ ج10/ص389.

9 ـ وأمّا باقي ألفاظ الزمن فهي أسماء لم ترد في القرآن بصيغة الفعل، فقد وردت بصيغة المصدر، أو اسم الفعل، أو الظرف. . . الخ.

واختلف ورودها بين الجمع والإفراد، والتذكير والتأنيث، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وكذلك تختلف في ميزانها الصرفي، وجرسها الموسيقي حسب السياق الذي ترد فيه؛ والملاحظ أنَّ لفظ الزمن أحياناً هو الذي يصنع السياق ويكون قلبا له، وأحيانا يدخل تحت سياق معيَّن وذلك حسب أهميّته في أداء المعنى مقارنة مع غيره.

10 ـ ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا الجدول لم يجمع كلَّ مادّة الزمن، ففي القرآن آيات كثيرة ليس فيها أيّ لفظ يدلّ على الزمن دلالة صريحة، ولكنها في عمومها تعبّر عن مفهوم زمني عميق؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: 3). ففي الآية «وصف بالقدم والأزلية»[1]، وعلاقة الآية بمبحث "الله والزمن" علاقة جلية بيِّنة.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: 106 ـ 108)، فالضالون في هذه الآية يقولون: «ربَّنا ارددنا إلى الدنيا فإن عدنا إلى ما سلف منَّا فنحن ظالمون»، أي أنَّهم يطلبون الرجوع إلى الماضي، والله سبحانه يجيبهم بما لا يدع في نفوسهم أملاً: العودة إلى الماضي أمر مستحيل، فلا تطلبوا منِّي هذا الطلب السخيف، وفي كلمة اخسؤوا دلالة على الاستمرار على حالهم في العذاب والهوان زمنا آخر جديداً ومديداً.

وهذه الآيات تدخل في صلب مبحث: "الحركة في الزمن" بين الحاضر والماضي والمستقبل، غير أنَّ المدخل باللفظ لم يسعفنا إلى معرفة هذه الآية. وفي مثل هذه الحال لا معدل عن القراءة المصحفية المتأنيَّة.

---

(1) الزمخشري محمود بن عمر: الكشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ رتَّبه وضبطه وصحَّحه مصطفى حسين أحمد؛ نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر؛ طبع مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر؛ ط2: 1373هـ/1953م؛ ج4/ص653.

وسنستثمر مثل هذه الآيات في مباحثنا، مستعينين بالقراءة المصحفية المتأنية، التي تمكّننا في كلّ مرّة من اكتشاف مثل هذه المعاني المتجدِّدة الدقيقة، الدالة في حقيقتها على غزارة مادّة الزمن في القرآن الكريم وتنوّعها وتعدّد مداخلها.

11 ـ توجد ألفاظ دالة على الزمن فقط، وأخرى مشتركة بين الزمن وغيره؛ وأحيانا يكون من الصعب تحديد مدلولها الحقيقي.

فمن النوع الأوَّل نجد مثلاً: الساعة، والسنة، والدهر.

ومن النوع الثاني نمثّل بلفظة أنَّى: التي ترد في القرآن ظرف مكان بمعنى أين، وظرف زمان بمعنى متى، واستفهامية بمعنى كيف[1].

2) المواضيـع:

1 ـ المواضيع الغالبة على هذه الآيات، بعد تتبُّعها آية آية، لا تعني بالضرورة الحصر.

2 ـ عدد المواضيع المستخرجة من جدول الألفاظ بعد المدخل اللفظي هو: 20 موضوعاً.

3 ـ ولا شكَّ أنَّ القراءة المصحفية مكَّنت من توضيح صورة بعض المواضيع توضيحا أكثر، وذلك مثل: الحركة في الزمن، أو وعي الزمن. . .

4 ـ بين هذه المواضيع تداخل، فقد تشتمل آية واحدة على أكثر من موضوع.

5 ـ بعض المواضيع تعالج مفهوم الزمن، وبعضها الآخر يدخل في تطبيق هذه المفاهيم، والفرق بينهما أنَّ المدخل في الأولى هو الزمن نفسه، وأمَّا في الثانية فالمدخل هو الموضوع المضاف إلى ذلك الزمن، ويمكن تقسيم المواضيع ـ بالنظر إلى العلاقات التي تربط بينها ـ إلى أقسام هي:

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، 1/122.

المجموعة الأولى

القسم الأوَّل	:	المقادير الزمنية.
القسم الثاني	:	التقويم.
القسم الثالث	:	التأريخ ووعي الزمن.
القسم الرابع	:	الحركة في الزمن.
القسم الخامس	:	الزمن النسبي، والنفسي، والمبارك.

المجموعة الثانية

القسم السادس	:	الله والزمن، القسم بالزمن.
القسم السابع	:	زمن الأمم.
القسم الثامن	:	البرمجة والموعد.
القسم التاسع	:	زمن الذكر، وزمن العبادات، والمعاملات والأحكام. . .
القسم العاشر	:	مراحل العمر.
القسم الحادي عشر	:	زمن الآخرة والغيب.
القسم الثاني عشر	:	زمن الكون والطبيعة. . .

فأمَّا المجموعة الأولى فتدخل في تحديد مفاهيم زمنية، وهي: مفهوم المقدار الزمني، ومفهوم التقويم، ومفهوم التأريخ ووعي الزمن، ومفهوم الحركة في الزمن، ومفهوم الزمن النسبي، والنفسي، والمبارك.

وأمَّا المجموعة الثانية فتتناول العلاقة بين الزمن وبين:

أ) الخالق سبحانه وتعالى.

ب) المخلوقات: مثل الإنسان: البرمجة، مراحل العمر، العبادات، المعاملات؛ الكون، الجن، الملائكة. . .

جـ) الآخرة: والغيب عموماً. . .

6 ـ من خلال هذا التقسيم، تَمَّ رسم الخطوات التي تكوّن فصول البحث ومباحثه.

7 ـ بعد جمع المادَّة والشروع في تحريرها، وجدتني بين خيارين: إمَّا أن أتناول كلَّ هذه الأقسام، أو أقتصر على المفاهيم فقط...؛ وفي الحال الأولى يطول البحث إلى حدٍّ مبالغ فيه، أو يكون مبتوراً مبتسراً غير مستوف لدقائق الموضوع.

فآثرت الخيار الثاني، وهو الاقتصار على المفاهيم، تاركاً الأقسام الأخرى إلى بحث أو لباحث آخر، وهذا دليل على غزارة مادَّة الزمن في القرآن الكريم، فقد كنت قبل الشروع في البحث أعتقد أنَّه يمكن استيفاء المادَّة، فتغيَّر الحكم بعد الشروع في البحث.

غير أنَّ هذا التقسيم لا يؤخذ على عواهنه؛ وإنَّما، بربط العلاقات بعضها ببعض، أمكن أن نؤسِّس بحثاً متَّسقاً، منطلقه القرآن ومصبّه القرآن، دون خضوع تامٍّ إلى التقسيمات الكلاسيكية في عرض مادة الزمن، وذلك ما يجده القارىء في جدول المباحث حسب العلاقات المنطقية بين أجزاء الجداول السابقة.

المبحث الثاني
من خلال المنهج والأسلوب

أوّلاً- من خلال المنهج

يجمع القرآن الكريم - في عرضه لمادة الزمن - بين المعاني الدقيقة والأساليب الواضحة، وبين الدلالات العلمية والتعابير الأدبية، فلا يمكن البتَّة الفصل بينها.

فالقرآن الكريم لا يفرد لموضوع الزمن سورًا ولا آيات خاصّة به، فهو يخالف بالتالي منهج الدراسات المعاصرة[1] التي تؤلّف خصّيصا لهذا الموضوع أو ذاك، وتعنون أبوابها وفصولها بعناوين تحمل دلالة زمنية مجرّدة، تفصّل في ثنايا الكتاب تفصيلا متسلسلا وملتزما بصلب ذلك الموضوع.

ولعلّ السرّ والحكمة في ذلك هو أنّ القرآن ينفرد عن جميع ما أُلِّف في تاريخ البشرية «بأنّه أثر كغيره من الآثار الإلهية، يشاركها في إعجاز الصيغة وهيئة الوضع، وينفرد عنها بأنَّ له مادّة من الألفاظ كأنّها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلِّها، وما نظنُّه إلاّ الصورة الروحية للإنسان، إذا كان الإنسان في

(1) انظر مثلا:

Corbin (Henri) and others: **Man and time**; Bollingen series 3; Princeton university press, USA; 7 ed: 1973. Attali (Jaques) : **Histoires du temps**; Fayard, Paris, France; 1983..

تركيبته هو الصورة الروحية للعالم كلّه» [1]

فالزمن يغوص في كلّ جزئيات الكون، ويحسّه كلُّ مخلوق، فيتأثّر به ويؤثّر فيه، وهو لا ينفصل عن الطبيعة، ولا الكواكب، ولا الأحجار، ولا الأشجار. . . ولا عن الذرّة، ولا الخلية. . . وهو حاضر في كلّ هؤلاء حضورا أكيدا.

وهو من جهة أخرى يسري في جميع سور القرآن وآياته وحروفه، تتذوّقه أبسط العقول فهما، وتتملّاه أكبر العقول إدراكا؛ وما ذلك إلاّ للاتّساق بين القرآن وبين الكون، شكلا ومضمونا، فهما من تأليف مؤلِّف واحد هو الخالق جلّ علاه، ومن حكمته أن سمّى كلّ واحد منهما آية: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ (سورة يس: 37)، ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ (سورة فصلت: 3). فلا يعقل أن يتفقّا تأليفا، ويختلفا تركيبا ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ (سورة النساء: 82)، ويقول جلّ وعلا: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ (سورة فصلت: 53).

وإذا استعرنا من الدكتور طه جابر العلواني مصطلحاته، فإنّنا نقول: هما «كتابان تجب قراءتهما: كتاب منزَّل متلوٌّ معجز هو القرآن، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون بدءا من الإنسان، ولا بدَّ من قراءتهما معاً لتوجد المعرفة الحضارية الكاملة، التي تمكّن الإنسان من القيام بمهامّ الاستخلاف، وأداء حقّ الأمانة، والقيام بمقتضيات العمران. والجمعُ بينهما أمر ضروري، إذ بدونه يقع الخلل»[2] فقد انحرف عن الصواب من اكتفى بقراءة دون قراءة.

ومن تمام الجمع بين الكتابين التأمّلُ في أسلوب التأليف المشترك بينهما،

---

(1) الرافعي مصطفى صادق: **إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية**؛ مكتبة رحاب، الجزائر؛ د.ت؛ ص156.

(2) طه جابر العلواني: **الجمع بين القراءتين**؛ مجلّة الإنسان، عدد 13 (شوال 1415هـ/ مارس 1955م) ص54.

غير أنّه «يشيع بين بعض الناس الذين يقرأون القرآن بعقلية نقدية تحليلية، بأنَّ القرآن من الناحية الموضوعية لا يتّبع نظاما محدّدا، فيبدو وكأنّه مركّب من عناصر متناثرة. ولكن لا بدَّ أن يكون مفهوماً بادىء ذي بدءٍ أنَّ القرآن ليس كتاباً أدبيا وإنما هو حياة... **إنَّ التعليق الوحيد الأصيل على القرآن هو القول بأنَّه حياة**»(1)

وإنَّ الملاحظة الوحيدة الأصيلة التي تساق في التعبير عن أسلوب عرض القرآن لمادة الزمن هو القول: **بأنَّه هو نفسه الأسلوب الذي يغمر الكون والحياة، بعيداً عن الأسلوب المقيّد الجافّ الذي يستبدّ بعقلية النقّاد والفلاسفة وذوي الاختصاص.**

ثانيًا ـ من خلال الأسلوب

أشار الخطّابي وغيره من البلاغيين القدامى إلى أنَّ القول بإعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته وحسن تأليف ألفاظه... وغير ذلك من مميّزات الأسلوب القرآني، لم يكن ليفترق عن القول بإعجازه في معانيه ومضامينه، ومقاصده وأغراضه(2).

وينبغي أن لا يأخذنا الظنُّ فنقصر إعجاز القرآن في بلاغته متجاهلين مضمونه، فنقع في اللفظية المفرطة التي كثيرا ما أفسدت على القرآن جلاله وجماله، وجنت على مكانته ككتاب هِدائي حضاري، ولمثل من يقف هذا الموقف يقال: «علمك كلّه لفظ، وروايتك حفظ، وعملك كلُّه رفض»(3).

---

(1) بيجوفيتش علي عزَّت (رئيس البوسنة والهرسك): **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ترجمة محمَّد يوسف عدس؛ مجلَّة النور، الكويت، ومؤسسة بافاريا، ألمانيا؛ ط1 (بالعربية): 1414هـ/ 1994م؛ ص34.

(2) الخطابي أبو سليمان أحمد بن محمَّد: **بيان إعجاز القرآن**؛ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ تحقيق محمَّد خلف الله ومحمد زغلول سلام؛ دار المعارف، مصر؛ د.ت؛ ص25.

(3) زكي نجيب (الدكتور): **تجديد الفكر الديني**، دار الشروق، بيروت، لبنان؛ ط: 1402هـ/ 1982م؛ ص100. وانظر: فصل من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء.

وإنَّ المتتبِّع لمادّة الزمن في القرآن الكريم، لتبهره البلاغة المعجِزة التي تعرَّض بها لهذا الموضوع؛ فلا تخلو المعاني الكونية في هذا المجال من محسِّنات لفظية، ولا أسلوبية، ولا تعدم الإيقاع الموسيقي، ولا التصوير الفني.

وحتَّى يتمَّ تصوّر مادّة الزمن في القرآن الكريم تصوّراً مؤسَّساً، ينبغي أن يتنبَّه الباحث إلى هذا الجانب، ويوليه أهمية كبرى، وإلاَّ فنصف التصوّر عنده ضائع.

وممَّا يلاحظ من القرآن وهو يعرض مادَّة الزمن توظيفه لفنون البلاغة، من ذلك: الجمع والتفريق، والتقديم والتأخير، والتخصيص والتعميم، واللفظ المشترك وغير المشترك، والتغليب، وحياة الألفاظ، والتكرار، والتشبيه، والاستعارة، والكناية، والإيجاز والإطناب، والسجع، والتصوير، والالتفات، والرمز... وغيرها من فنون البلاغة ممَّا أحصاه المفسّرون والبلاغيون، وممَّا لم يحصوه بعد، ويمكن إعداد بحث مستقلٍّ مستفيض وشيِّق في هذا المجال، أمَّا نحن فنكتفي باستعراض نماذج تقرّب الفهم، وتكون سنداً لبحثنا، تاركين الغوص لأهل التخصّص:

1) تحديد الألفاظ:

يستثير المتأمّل في جدول ألفاظ الزمن في القرآن الكريم، التحديدُ الدقيق لمكان الألفاظ وسياقها، بحيث يرى اللفظ «قارًا في موضعه، لأنَّه الأليق في النظم، ثمَّ لأنَّه مع ذلك الأوسع في المعنى، ومع ذلك الأقوى في الدلالة...»(1).

ففي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة الحديد: 3)، نجد لفظتي الأوّل والآخر.

---

(1) الرافعي: إعجاز القرآن، ص247

فكلمة "الأوَّل" هكذا: معرَّفة، مذكَّرة، ومفردة... لم ترد بهذا المعنى ـ أي اسما من أسماء الله تعالى ـ إلاَّ في هذه الآية، وكلٌّ من المعرفة التي تنفي النكرة والخفاء، والذكورة التي تنفي الأنوثة والضعف، والإفراد الذي ينفي التعدُّد والاشتراك... كلُّ هذا يتّفق وصفات الله تعالى؛ حتَّى إنـَّه إذا قيل "الأوَّل" ـ في لغة القرآن هكذا مطلقا ـ فإنـَّه ينصرف إلى الله سبحانه وتعالى دون غيره.

وكذلك يقال عن "الآخِر" الذي ورد بمعنى يوم القيامة، ولكنه أسند إلى "اليوم" ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ (سورة التوبة: 19). وأمّا مطلقا فيعني اللهَ سبحانه دون غيره.

ويعني بالآخر: «المتأخِّر عن غيره، لا انتهاء له... والآخر بالأبدية» وبالأوَّل: «الأوَّل الذي هو بالأزلية»[1].

ومهما بحث الباحث عن لفظين ليضعهما في موضع هذين فإنَّ اللغة لن تسعفه، ولن يجد أبلغ ولا أعمق ولا أدقَّ تعبيراً، أو أحسن وزناً من هذين اللفظين "الأوَّل" و"الآخر"؛ خاصَّة وأنَّ الآيات بصدد التعرّض لموضوع الإحياء والإماتة، وخلق السموات والأرض، فناسب أن ينبّه إلى الأوَّلية والآخرية.

2) المقابلـة:

عرَّف البلاغيون المقابلة بأنـَّها إيراد الكلام ثمَّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ، على وجه الموافقة أو المخالفة[2]؛ وبهذا المعنى استعمل القرآن الكريم المقابلة كأداة للتعبير عن الزمن في كثير من آياته.

---

(1) امحمَّد بن يوسف اطفيش: **الذخر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**؛ ط. حجرية؛ د.ت؛ ص208-211.

(2) عتيق عبد العزيز (الدكتور): **علم البديع**؛ سلسلة في البلاغة العربية؛ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان؛ ط1: 1405هـ/ 1985م؛ ص85.

ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (القصص: 73)، فقد جيء في صدر الآية بضدّين هما: الليل والنهار؛ ثمَّ قابلهما بضدين هما: السكون والحركة على الترتيب «ثمَّ عبَّر عن الحركة بلفظ مرادف، فاكتسب الكلام بذلك ضرباً من المحاسن زائدا عن المقابلة، ذلك أنّه عدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل، لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة لمصلحة دون مفسدة»[1]

3) الطبـاق:

الطباق هو الجمع بين الشيء وضدّه في كلام واحد[2]، ومن أمثلته في القرآن الكريم: الليل والنهار، الأول والآخر...

فقد ورد لفظ "الليل" في القرآن حوالي مائة مرّة، وذُكر في جلِّ المواطن مقابلا "للنهار"، أو أحد أجزائه مثل: "الضحى"، و"الإصباح"، و"الفجر" و"دلوك الشمس"... إلاّ نادراً.

4) الجنـاس:

من أبلغ أنواع الجناس: الجناس التامّ، وهو التشابه المطلق لفظاً، والاختلاف معنى، ومن أمثلته عند البلاغيين قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: 55).

فالجناس هنا بين اسمين متماثلين هما "الساعة" و"ساعة"، أمّا الأوّل فمعناه القيامة، وأمّا الثاني فيعني مطلق الوقت.

5) التشبيـه:

انفرد القرآن الكريم بكثير من التشبيهات البديعة، منها قوله تعالى:

(1) ن، م، ص87.
(2) ن، م، ص76.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (سورة النبأ: 10)، فشبَّه الليل باللباس، لأنَّ الليل من شأنه أن يستر الناس بعضهم عن بعض.[1]

6) التصوير الفني:

نحا سيد قطب في دراسته للقرآن الكريم منحى خاصًا، فلم تكن مفردات القرآن ولا تراكيبه وحدها شاغلة له بموسيقاها وتناسقها وترابطها، «وإنّما كان نظره مركّزاً في الأداة المفضَّلة للتعبير في كتاب الله، ولقد وجدها في التصوير»[2] الفني، فألف كتابا بعنوان: التصوير الفني في القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق البلاغي المعاصر، نجد أنّ موضوع الزمن في القرآن قد عرض عرضا فنيا بليغا، وقد أورد سيد قطب عدَّة نماذج من هذا التصوير، وتحت عنوان "التخييل الحسِّي والتجسيم" يذكر ثلاث صور من صور التشخيص التي تأخذ باللبِّ[3]، وتجعل الطبيعة الصامته أبلغ ناطق، نقتبس منها مشهدين هما:

أ) ـ صورة الليل يسرع في طلب النهار، فلا يستطيع له دراكا ـ وكأنَّه شخص واع ذو إرداة وقصد ـ ﴿ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ (سورة الأعراف: 54)، ويدور الخيال مع هذه الدورة الدائبة، التي لا نهاية لها ولا ابتداء.

وفي هذا كلِّه مستوى من جمال التصوير والتعبير، لا يمكن أن يرقى إليه فنٌّ بشري على الإطلاق[4].

ب) صورة هذا الليل وهو يسري: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (سورة الفجر: 4)

---

(1) عتيق عبد العزيز (الدكتور): **علم البيان**؛ سلسلة في البلاغة العربية؛ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان؛ ط1: 1405هـ/ 1985م؛ ص120 .

(2) صبحي الصالح (الدكتور): **مباحث في علوم القرآن**؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1964م؛ ص319.

(3) سيد قطب: **التصوير الفني في القرآن**؛ دار المعارف، مصر؛ 1956م؛ ص63-64.

(4) سيد قطب: **في ظلال القرآن**؛ دار الشروق، بيروت، لبنان؛ ط11: 1405هـ/ 1985م؛ ج3، ص1297

فتحسُّ سريانه في هذا الكون العريض، وتأنس بهذا الساري على هيّنة واتّئاد، فهو بالتالي مخلوق حيٌّ، وكأنّه ساهر يجول في الظلام، أو مسافر يختار السرى لرحلته الشاقة المضنية[1].

هذه نماذج حيّة، وعيّنة صغيرة، تدلّ دلالة واضحة وصريحة أنَّ القرآن الكريم عرض مادّة الزمن بأسلوب بلاغي راق، لا يتمُّ تصوُّرها وإدراك مبانيها ومعانيها إلاَّ بالاهتمام بهذا الأسلوب، فإذا ما تمَّ التصوُّر سهل الحكم، وهو ما سنحاوله في الفصول المقبلة إن شاء الله تعالى.

(1) عتيق عبد العزيز: علم البيان، ص120.

خاتمة الفصل

مما يمكن استنتاجه كخلاصة لهذا الفصل، ما يلي:

1 ـ الغزارة: حجم مادَّة الزمن في القرآن الكريم حجم معتبر، ويصعب حصره حصراً شاملا، فيدلُّ على هذه الغزارة جدول ألفاظ الزمن.

2 ـ الألفاظ: ألفاظ الزمن في القرآن الكريم تتميَّز بالخواص التالية:

أ) تعدُّد الصيغ وثراؤها.

ب) الدقة في التعبير عن المقدار الزمني.

ج) توجد ألفاظ زمنية مباشرة، وأخرى غير مباشرة

3 ـ المواضيع: تنقسم المواضيع المستنبطة من جدول ألفاظ الزمن إلى:

أ) مواضيع تدخل في تحديد المفهوم.

ب) مواضيع تدخل في تطبيق المفاهيم.

4 ـ المنهج: منهج القرآن الكريم في معالجة موضوع الزمن، هو نفس المنهج الذي يغمر به الزمن الكونَ والحياةَ، بعيداً عن الأسلوب المقيّد الجافّ.

5 ـ الأسلوب: تناول القرآن الكريم ببلاغة معجِزة موضوع الزمن؛ فلا تخلو المعاني الكونية في هذا المجال من محسّنات لفظية، ولا أسلوبية، ولا تعدم الإيقاعَ الموسيقي، ولا التصوير الفني. . .

فالقرآن الكريم يجمع بين الأسلوب العلمي الدقيق، والأسلوب الأدبي الرقيق.

الفصل الثاني

المقادير الزمنية في القرآن الكريم

ما هي المقادير الزمنية التي وردت في القرآن الكريم؟
وهل يمكن أن نحصيها، أم أنَّ إحصاءها مِمَّا اختصَّ الله تعالى بعلمه؟
وما هي المقادير الدالَّة على الفترات القصيرة؟ والمقادير الدالَّة على الآماد البعيدة؟
وما هي خصائص عرض تلك المقادير، لغة ومنهجا؟

المبحث الأول
المقادير الزمنية بين الإحصاء والدقَّة

أوّلاً ـ إحصاء المقادير الزمنية:

يقول: الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (سورة الرحمن: 5)، أي أنَّهما يجريان بسرعة وحساب دقيقين، لا يمكن لأيٍّ إنسان ـ مهما أوتي من علم ـ أن يعلم مداهما علما مطلقاً، و«يعني كذلك أنَّ بهما تُحسب الأوقات والآجال والأعمار، ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يَدرِ أحدٌ كيف يحسبُ شيئا»[1].

إلى أن يقول جلَّ ذِكرُه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ (الآيات: 7 ـ 9)، وقد ذكر المفسِّرون في معنى الميزان ـ في هذه الآيات ثلاثة أقوال[2]:

أحدها : أنَّه العدل، وقاله الأكثرون.

وثانيها : أنَّه القرآن الكريم.

وثالثها : أنَّه «كلّ ما توزن به الأشياء، وتُعرف به مقاديرها، من ميزان

---

(1) القرطبي، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان؛ ط2: 1405هـ/ 1985م؛ ج17/ ص153.

(2) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن محمَّد الجوزي القرشي البغدادي: **زاد المسير في علم التفسير**؛ المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان؛ ط: 1404هـ/ 1984م؛ ج8/ ص107.

وقرسطون[1] ومكيال ومقياس، أي خلَقَه موضوعاً مخفوضاً على الأرض، حيث علَّق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبَّدهم به»[2].

وفي هذا المعنى الشامل يمكن أن ندخل كلَّ الوسائل والآلات[3] التي يوزن بها الزمن، والتي تحدَّد بها مقاديرُه؛ وهي لا تقلُّ أهمية وقيمة عن الآلات والمكاييل التي تتبادر إلى الذهن وتسمَّى ـ عُرفاً بين الناس ـ: الميزان. إذ الأحكام الشرعية لها ـ كذلك ـ علاقة أساسية بمعرفة الأزمنة والأوقات.

غير أنَّ الله تعالى يبيِّن لنا ـ في آية أخرى ـ ضعفَ الإنسان عن إدراك حقيقة المقادير الزمنية والأوقات، وعجزَه عن تقديرها حقَّ قدرها، فيقول: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ﴾ (سورة المزمل: 20).

وقد استشكل معنى هذه الآية: هل الله تعالى استأثر بمعرفة المقادير الزمنية والأوقات؟ أم أنَّ الآية لا تفيد الحصر؟

فذهب الشيخ الطاهر بن عاشور إلى أنَّ الله علم المقادير وأنبأ نبيئه بها، إذ «الإحصاء حقيقته معرفة عدد الشيء، معدود مشتقٌّ من اسم الحصى، جمع حصاة؛ لأنَّهم كانوا إذا عدُّوا شيئاً كثيرا جعلوا لكلِّ واحد حصاة؛ وهو هنا مستعار للإطاقة، شبِّهت الأفعال الكثيرة من ركوع وسجود وقراءة في قيام الليل بالأشياء المعدودة، وبهذا فسَّر الحسن وسفيان، ومنه قوله ﷺ: «**استقيموا ولن تُحصوا**»[4] أي ولن تطيقوا تمام الاستقامة، أي

---

(1) لم أجد معنى هذا اللفظ في المعاجم اللغويّة التي رجعت إليها، ولا في معاجم المصطلحات الفنية والعلمية والفقهية.

(2) الزمخشري: **الكشّاف**، ج4/ ص353.

(3) الرازي، الإمام الفخر: **التفسير الكبير**؛ دار إحياء التراث، بيروت، لبنان؛ ط3: د.ت؛ ج 29/ ص90.

(4) رواه بلفظه كلّ من: ابن ماجه في **كتاب الطهارة وسننها**، رقم 273 و274 (ترقيم العالمية)؛ ورواه أحمد في كتاب **باقي مسند الأنصار**، رقم 21344 و 21400؛ ومالك في **كتاب الطهارة**، د. رقم؛ والدارمي، في **كتاب الطهارة**، رقم 653.

ونص الحديث عند مالك: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ مَنْصُورٍ=

فخذوا منه قدر الطاقة»(1).

غير أنَّ بعض المفسِّرين ذهب إلى القول بأنَّه «لا يقدِر على تقدير الليل والنهار، ومعرفة مقادير ساعاتهما إلاَّ الله وحده»(2).

واكتفى ابن عبَّاس رضي الله عنهما ـ في التفسير المنسوب إليه(3) ـ بذكر المعنيين دون ترجيح، وتبعه ابن الجوزي في زاد المسير(4).

ومن أدلَّة القائلين باستئثار الله سبحانه بمعرفة المقادير والأوقات:

1 ـ تقديم اسمه عزَّ وجلَّ مبتدأ مبنياً عليه ﴿ يُقَدِّرُ﴾ هو الدالُّ على معنى الاختصاص بالتقدير، والمعنى: إنَّكم لا تقدرون عليه(5).

2 ـ الضمير في ﴿عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ﴾، «عائد إلى مصدر مقدَّر، أي علم أنَّه لا يمكنكم إحصاء مقدار كلٍّ من الليل والنهار على الحقيقة» ذلك أنَّ الله تعالى وحده يعلم مقادير أجزاء الليل والنهار(6).

= عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاَةَ وَلاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ». حديث 274.
وانظر- برنامج العالمية: **موسوعة الحديث النبوي الشريف**؛ البحث بمادة: «لن تحصوا».

(1) ابن عاشور، محمَّد الطاهر: **تفسير التحرير والتنوير**؛ الدار التونسية للنشر-المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس-الجزائر؛ ط: 1984م؛ ج29/ ص281-283.

(2) الزمخشري: **الكشاف**، ج4/ ص514.

(3) ابن عـبَّاس، عبد الله: **تنوير المقباس من تفسير ابن عـبَّاس**؛ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ط: د.ت؛ ص491.

(4) ج8/ ص395-396.

(5) الزمخشري: ن، م، ج4/ ص514
الألوسي، شهاب الدين محمود البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان؛ ط: د.ت؛ ج29/ ص111.

(6) الرازي: **التفسير الكبير**؛ ج30/ ص186.
وانظر- ابن جزي، أبو القاسم محمَّد بن أحمد الكلبي الغرناطي: **تفسير ابن جزي**؛ =

3 ـ جاء تعالى بـ «لن» المؤبّدة للنفي في قوله ﴿عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ﴾[1].

غير أنَّ استئثار الله عزَّ وجلَّ بمعرفة المقادير والأوقات لا يعني الجهل التامَّ لغيره بمعرفتها، وإنّما «يعلَم مقادير الليل والنهار على حقائقها، وأنتم تعلمون بالتحرِّي والاجتهاد الذي يقع فيه الخطأ»[2].

ولا يعترض معترضٌ فيقول: إنَّ الناس قد اخترعوا ساعات دقيقة، يعرفون بها حقيقة المقادير، ذلك أنَّ الساعات التي اخترعها الإنسان ـ مهما بلغت من الدقَّة ـ فإنَّها لا يمكن أن تصل إلى التحديد المطلق بنسبة: مائة بالمائة، ولا يمكن أن يوجد طالما أنَّ العمل بشريٌّ، ومن طبيعة البشر الضعف والقصور، مهما ادَّعوا القوَّة والكمال، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ (سورة النساء: 28).

والمعلوم ـ مثلا ـ أنَّ الساعة التي تسير بنظام تردُّد ذرَّات السيزيوم هي من أضبط الساعات على الإطلاق، وتسمَّى بالساعة الذرية، ولا تزيد نسبة الخطأ فيها عن ثانية في كلِّ ثلاثين ألف سنة (30000)، و«هذه الدرجة من الدقَّة أمر يتجاوز حدود فهم المرء»[3].

وأدقُّ منها الساعة الهيدروجينية التي تعمل بأجهزة الميزر Maser، وتصل الدقَّة فيها إلى خطأ قدِّر بثانية في كلِّ ثلاثة ملايين من السنين (3000000) [4].

= تحقيق محمَّد بن عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض؛ دار الكتب الحديثة، عابدين؛ ط: 1973م؛ ج 4/ ص300. الألوسي: روح المعاني، ج 29/ ص111.

(1) بيوض، إبراهيم بن عمر: **في رحاب القرآن**؛ مخطوط، بخط يد عيسى الشيخ بلحاج؛ ج 36/ ص121.

(2) القرطبي: ن، م؛ ج19/ ص53. طبارة، عفيف عبد الفتاح: **روح القرآن الكريم (جزء تبارك)**؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1982م؛ ص109.

(3) كريس مورجان: **من المزولة الشمسية إلى الساعة الذرية (عنوان المجموع: فكرة الزمان عبر التاريخ)**؛ سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت؛ عدد 159، من ص89-132؛ ط: 1412هـ/ 1992م؛ ص131.

(4) نيكلسون إيين: **الزمان المتحول (عنوان المجموع: فكرة الزمان عبر التاريخ)**؛ سلسلة =

ومع ذلك يبقى هذا الخطأ فادحا وعظيما إذا ما قيس بالمعايير الربَّانية وبالصواب المطلق، ولذلك نعتبر هذه الآية من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وفيها تحدٍّ صريح للناس بأنَّهم لن يصلوا إلى منتهى الدقَّة مهما أوتوا من العلم: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (سورة الإسراء: 85).

فالعالم الحقيقيُّ والعالِم الخبير بمقادير الزمن إنَّما هو الله تعالى[1]، والأوْلى والأجدر بالإنسان أن يأخذ بالأحوط، ويحاول قدر الجهد معرفة المقادير والأوقات، مع اليقين المتعيّن أنَّه لن يبلغ العلم المطلق، ولن يحصي التقدير: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾.

وعلى ضوء ما تقدَّم نحاول أن نحصر المقادير الزمنية ـ الظاهرة ـ في القرآن الكريم مستعينين بالقراءة المصحفية الشاملة، وبجدول مادة الزمن في القرآن الكريم:

ثَانِيًا ـ المقادير الزمنية: بين الدقة وعدمها

إذا أحصينا الألفاظ الدالة على مقادير زمنية محدَّدة في القرآن الكريم، فإنَّنا لا نجد ضمنها المصطلحات المتداولة في عصرنا، والتي يعرفها الناس جميعا، مثل: اللحظة، والثانية، والدقيقة...

مع أنَّ هذه المصطلحات استعملت في التراث العربي قديماً، وقد ذكر بعضها ابن منظور في نثار الأزهار[2]، ونظمَّها الدكتور عبد الصبور

= عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت؛ عدد 159، من ص159-258؛ ط: 1412هـ/ 1992م؛ ص171.

(1) بيُّوض: **في رحاب القرآن (مخ)**؛ ج36/ ص121.

(2) مثل هذه المصطلحات لا نجدها في اللغة المتداولة بين الناس في عصر نزول القرآن، بل نكاد لا نجدها في قواميس اللغة وعلى رأسها لسان العرب.

غير أنَّ ابن منظور نفسه يذكر أنَّ «قدماء الفلاسفة قسمت الفلك الثامن ذا الكواكب الثانية باثني عشر قسما، سمَّتها بروجا (...) وجعلوا كلَّ برج منها ثلاثين درجة، يكون جملتها ثلاثمائة وستين درجة، وقسَّموا كلَّ درجة بستين جزءا تسمَّى **دقائق**، وكل دقيقة=

شاهين[1] في جدول، على النحو كالتالي:

المصطلح	قديماً	حديثاً
السنَة	12 درجة	12 شهراً
البرج	30 درجة	30 يوماً
الدقيقة	60 دقيقة	24 ساعة
الدقيقة	60 ثانية	60 دقيقة
الثانية	60 ثالثة	60 ثانية
الثالثة	60 رابعة	. . . . . .
الرابعة	60 خامسة	. . . . . .
إلى ما لا نهاية له . .	. . . .	

= بستين جزءا تسمَّى ثوان، وكلّ ثانية بستين جزءا تسمَّى **ثوالث**. . .) إلى غير نهاية».

ابن منظور: **كتاب نثار الأزهار في الليل والنهار**؛ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان؛ ط: 1403هـ/ 1983م؛ ص145.

(1) شاهين، عبد الصبور (الدكتور): **العربيّة لغة العلوم والتقنية**؛ دار الاعتصام، القاهرة، مصر؛ ص167-168.

ويقول: «ممَّا يحيِّرنا في هذا الموضوع عدم استخدام [الأولين] مصطلح (ساعة) في الدلالة على جزء من الزمن معيَّن».

وقد يعتبر الجاهلون بحقيقة القرآن الكريم غياب مثل هذه المصطلحات ضربا من النقص في الدقّة والعلمية، وقد يتعصّب قوم فيدّعون أنّ القرآن يشمل كلّ هذه المعاني وغيرها، والتحقيق أنّ الخطأ ـ لدى كِلا الفريقين ـ يكمن في النظرة إلى القرآن الكريم.

ولعلّ من الأسباب التي جعلت مثل هذه المصطلحات في هذا الفنّ أو في غيره تغيب من القاموس القرآني ما يلي:

1) أنّه خاطب العرب الذين أُنزل عليهم القرآن بلغة عصرهم، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم: 4)، «أي بلغتهم»[1]. وقد روى الإمام أحمد عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لم يَبعث الله عزّ وجلّ نبياً إلاّ بلغة قومه»**[2].

2) أنّ العلوم الإنسانية تتجدّد مع الزمن بموجب سنّة التقدُّم، «فلا تزال بين ناقص يتمُّ، وغامض يتّضح، وموزّع يتجمّع، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين يرقى إلى اليقين»[3].

أمّا الوحي فطبيعته أنّه جاء لترسيخ العقيدة، ولا يطلب منه أن يطابق مسائل العلوم، غير أنّه يسطّر الخطوط العامّة للعلوم، ويدفع إلى البحث والاستزادة من المعارف: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ (سورة سبأ: 46).

3) أنّ ما يعتبره الناس ـ من المقادير ـ دقيقاً في هذا الزمن، سيأتي يوم

---

(1) وانظر – الصابوني، محمّد علي: **مختصر تفسير ابن كثير: مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي**؛ دار الشهاب – قصر الكتاب، الجزائر؛ ط: 1410هـ/ 1990م؛ ج2/ ص290

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده قال: حدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ قَالَ قَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إلاَّ بلُغَةِ قَوْمِهِ»**. العالمية :موسوعة الحديث الشريف؛ 60000 حديث، تخريج الكتب التسعة؛ الحديث رقم 20441.

(3) العقاد: **الفلسفة القرآنية**، ص11.

ويتطوَّر فيه البحث فيبدو في أعين الناس غير دقيق، مثال ذلك: الدقيقة واللحظة والثانية، إذ كانت منتهى المقادير الزمنية دقَّة، أمَّا الآن فهي لا تعني من الدقَّة شيئاً إذا ما قورنت بما توصَّل إليه العلم الحديث، إذ الساعات والوسائل المتطوّرة تحسب الزمن بدقَّة $1/10^4$، أي جزء من كلّ مليون جزء من الثانية[1].

وسيأتي زمن تعتبر فيه هذه المقادير ـ كذلك ـ غير دقيقة، وفي المقابل ليس من صفات القرآن الكريم أن يتبدَّل أو يتحوَّل، شأنه شأن ما بلغ الكمال منذ أن أنزل إلى أن يرفع من الصدور والسطور.

وفيما يلي بعض المقادير، ومكان ورودها من القرآن المبين، ومعانيها، مبتدئين بأصغر وحدة إلى أكبرها:

(1) نيكلسون: **الزمان المتحوّل**، ص171.

المبحث الثاني

نماذج من المقادير الزمنية في القرآن الكريم

1) الآن:

وردت لفظة **الآن** ثماني مرَّات، بصيغة الاسم المعرَّف، «والألف واللاَّم [فيها] للعهد والإشارة إلى الوقت»[1].

وثلاث مرَّات بصيغة الجمع آناء، وقد أفادت معاني زمنية عديدة، يحدِّدها السياق، ومن هذه المعاني نذكر:

1 ـ الآن بمعنى "الساعةَ"، ومثال ذلك قوله تعالى عن بني إسرائيل، وقد جاوز بهم البحر: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة يونس: 90).

قال تعالى مجيباً فرعون بأبلغ لفظ وأوجزه، مراعاة للظرف المفيد للاستعجال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الآية: 91). أي: «أتؤمن الساعةَ في وقت الاضطرار، حين أدركك الغرقُ، وأيستَ من نفسكَ؟!»[2]. فردُّ الله سبحانه عليه جاء بأسلوب: «الإنكار التوبيخي»[3].

---

(1) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج8/ ص351.

(2) الزمخشري: **الكشّاف**، ج2/ ص288.

(3) أبو السعود محمَّد بن محمَّد العمادي: **تفسير أبي السعود المسمَّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**؛ دار إحياء التراث، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ ج4/ ص173.

وفي نفس المعنى ـ أي الساعة ـ نقرأ قوله تعالى مادحاً أمَّة من أهل الكتاب بأنَّهم ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (سورة آل عمران: 113)، أي ساعاته[1].

2 ـ **الآن**: بمعنى الآنية المفيدة لتنافي الاستمرار، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة النساء: 18)، وقد دلَّ على تنافي الاستمرار الفعل «المضارعُ: يتوبون هناك[2]»[3].

3 ـ **الآن**: للدلالة على الحدّ بين الزمانين الماضي والمستقبل[4]؛ في مثل قول بني إسرائيل لنبيئهم موسى عليه السلام ـ في قصَّة البقرة ـ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ (سورة البقرة: 71)، الآن: لا قبله في الماضي، ولا بعده في المستقبل.

ولكن السؤال المترتِّب عن هذا المعنى هو: هل الحدُّ بين الزمانين زمان؟

هذا خلاف كلامي وفلسفي، لا مجال لفصل القول فيه في بحثنا هذا، إذ القرآن الكريم لم يتعرَّض لهذا الموضوع تعرُّض الدراسات الفلسفية له.

---

(1) ابن سلاَّم يحي: **التصاريف، تفسير القرآن مِمَّا اشتبهت أسماؤه وتصرَّفت معانيه**؛ قدَّمت له وحقَّقته: هند شلبي؛ الشركة التونسية للتوزيع، تونس؛ ط: 1979م؛ ص199.
وابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ ص123. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج4/ ص176.
الدامغاني، الحسين بن محمد: **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**؛ حقَّقه عبد العزيز سيد الأهل؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ص54.

(2) أي في الآية التي قبل هذه وهي قوله تعالى: ﴿إنماَ التوبةُ على اللهِ للذينَ يعملونَ السوءَ بجَهالةٍ ثمَّ يتوبُونَ مِن قريبٍ﴾ الآية: 17.

(3) رَشيد رضا، محمَّد: **تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار للإمام محمَّد عبده**؛ دار المنار، مصر؛ ط4: 1373هـ/ 1956م؛ ج4/ ص449.

(4) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج1/ 455، ج8/ 351.

4 ـ **الآن**: ظرف بمعنى الزمن الحاضر إلى قيام الساعة[1].

وذلك في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلۡـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ (سورة البقرة: 187)، أي «باشروهنَّ في الزمان كلِّه، متى شئتم، بعدما أبحتُ لكم»[2].

والظاهر أنَّ هذا المعنى يستعمل في الأحكام خاصَّة، ويفيد الإباحة بعد الحظر، والتحليل بعد التحريم، والتخفيف بعد التثقيل؛ ففي موضوع القتال ـ مثلاً ـ قال سبحانه: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ (سورة الأنفال: 66).

ولا يفهم من الآيتن أنَّ الله أباح للمسلمين المباشرة في تلك الساعة فقط، ولا أنـَّه لم يخفِّف عنهم في القتال إلاَّ في ذلك الحين.

ومن المعلوم في تاريخ العلوم أنَّ العالم الفيزيائي "نيوتن" تحدَّث عن الآن الكونية The universal now وافترض أنَّها يمكن أن تقال ـ في وقت واحد ـ في الكون كلِّه[3]. غير أنَّ "إينشتاين" حطَّم ـ فيما حطَّم من المفاهيم العلمية ـ هذا المفهوم بنظريته النسبية، وبيَّن أنَّه لا يمكن أن نفرض كلمةً مثل الآن على الكون كلِّه، لاختلاف أنظمة الاتصال، وقصورها عن المزامنة المطلقة، إذ عن طريق الضوء ـ وهو أسرع وسيلة للاتصال ـ لا يمكن إلاَّ أن نرى ماضي الأكوان الأخرى[4].

أمَّا من القرآن الكريم ـ وهو كتاب الكون المقروء ـ فقد استنتجنا ما يمكن أن نطلق عليه اسم **الآن المتجدِّدة**، فلو أنَّ رئيس قبيلة قال في العصر الجاهليِّ

---

(1) اطفـيَّش محمَّد بن يوسف: **تيسير التفسير**؛ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان؛ ط: 1406هـ/ 1986م؛ ج1/ ص199.

(2) ن، م، نفس الصفحة.

(3) نيكلسون: **الزمان المتحوِّل**، ص 171.

(4) مصطفى محمود، **إينشتاين والنسبية**؛ دار العودة، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ ص79.

ـ مثلاً ـ: **الآن أبيح لكم فعل كذا وكذا.** فإنَّه بموت الجميع تنعدم تلك الآنية، ولا يبقى لها أثر مطلقاً؛ غير أنَّ قوله عزَّ وعلا للمسلمين: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾، يمكن أن يكرَّر في كلِّ زمان ومكان، وهي تتجدَّد بتجدُّد العصور والآماد، ففاعليتها تبقى إلى قيام الساعة، ذلك لأنـَّها تستمدُّ الخلود من قائلها: الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، والأوَّل والآخر؛ وتستقي الاستمرارية الدائمة من مصدرها: كلام الله الذي **«لا يخلق على كثرة الردِّ»**[1]. أي لا يتقادم ولا يصيبه الفناء والبِلى.

2) آنفا:

كان المنافقون يحضرون مجلس الرسول عليه السلام ويسمعون كلامه، فإذا خرجوا من عنده قالوا للصحابة رضي الله عنهم: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا؟﴾ (سورة محمَّد: 16)، ومعناه: ماذا قال الساعة؟[2]، فهم لم يكونوا يلقون لكلام الرسول ﷺ بالاً.

---

(1) الحديث بهذا اللفظ انفرد به الدارمي في سنن قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي سِنَانٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ قِيلَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ»، قَالَ فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْ سُئِلَ: «مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا» قالَ: «الْكِتَابُ الْعَزِيزُ الَّذِي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، مَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ وَنَبَأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ وَهُوَ الَّذِي سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَى أَنْ قَالُوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ وَلاَ يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلاَ تَنْقَضِي عِبَرُهُ وَلاَ تَفْنَى عَجَائِبُهُ». ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ لِلْحَارِثِ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ.

الدارمي: سنن ؛ حديث 3198، كتاب فضائل القرآن. وانظر برنامج العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: خبر من قبلكم.

(2) الزمخشري، ج1/ ص256. شبر السيِّد عبد الله: **تفسير القرآن الكريم**؛ مراجعة الدكتور عامر حفني داود؛ مطبوعات جمعية أهل البيت، مصر؛ د.ت؛ ص474.

وآنفاً ظرف بمعنى «قبيلاً»[1]. أي قبيل هذا الوقت مباشرة؛ وآنفاً يراد به «الساعة التي هي أقرب الأوقات إليكَ»[2]، خلافا لـمَا ذكره بعض القدامى من كونها قريبة من الآن الحاضر مع أنَّها من الآن السالف، وذكروا أنَّها أبعد عن الحاضر من لفظ قبيل[3].

والواضح أنَّها أقرب إلى الحاضر من قبيلَ، كما هو جار في أساليب اللغة العربية.

3) **بغتـة:**

اقترن لفظ بغتة في القرآن الكريم بالعذاب وبقيام الساعة في كلِّ الآيات التي جاء فيها، وهي ثلاث عشرة آية.

والبغتة في قواميس اللغة[4] وعند المفسِّرين[5] تعني الفجأة، إذ «البغتُ مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب»[6].

ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (سورة الأنعام: 47)، قابَل البغتة بالجهرة، ذلك أنَّها تتضمَّن معنى الخفية مع عدم الشعور بها، والجهرة نقيض الخفية، و«إنما لم يقل خفية، لأنَّ الإخفاء لا يناسب شأنَه تعالى»[7].

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ ص116.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج 16/ ص238. المراغي أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ ط3: 1394هـ/ 1974م؛ ج26/ ص60.

(3) قسوم، عبد الرزاق: **مفهوم الزمان**، ص53.

(4) انظر مثلا ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ ص236، مادَّة بغت.

(5) وانظر مثلا الطبري أبو جعفر محمَّد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تفسير الطبري**؛ تحقيق: محمود محمَّد شاكر، مراجعة: أحمد محمَّد شاكر؛ دار المعارف، مصر؛ د.ت؛ ج11/ ص325. والقرطبي، ج6/ ص412.

(6) سميح عاطف الزين: **تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: مجمع البيان الحديث**؛ دار الكتاب، لبنان، بيروت؛ ط2: 1404هـ/ 1984م؛ ص138.

(7) الألوسي: **روح المعاني**، ج7/ ص418

فالبغتة إذن طفرةٌ زمنية «تدلُّ على ما يكون في زمان غير محسوس»[1].

ويورد الزمخشري رأيا ينسبه إلى الحسن مفاده أنَّ قوله تعالى: ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ تعني: «ليلاً أو نهاراً»[2]. فتكون البغتة هنا معناها: الليل، وهذا يناسب مدلول الخفية وعدم الشعور بها، ولا يفيد كون المقدار الزمني للبغتة يعادل مقدار الليلِ بأكمله.

4) لمح البصر:

إذا كانت عقارب الساعة الحائطية من الوسائل المتطوّرة لقياس الزمن، فإنَّ من أضبطها وأكثرها دلالة حركة بعض أعضاء جسم الإنسان، التي استعملها القرآن الكريم لقياس الزمن، ولعلّها تمتاز - في سياقها - عن الأولى بأمرين:

1 ـ لا يعدمها إنسان في زمان ولا مكان، بخلاف الوسائل التقنية فإنها من نتاج الحضارات المعاصرة، ويمكن أن يأتي اليوم الذي تنعدم فيه، بل وحتى في عصرنا هذا تعتبر نسبة عالية من سكّان المعمورة أمية لا تعرف كيف تقرأ هذه الساعات؛ والقرآن من جهة أخرى نزل للعالمين، وهو صالح لكلِّ زمان ومكان.

2 ـ أنَّها لا تتغيَّر بتغيُّر الأوقات والبلدان، فالإنسان هو الإنسان في كلِّ عصر ومَصر، وحركة أعضائه هي نفسها في جميع الحالات، والقياس بالثابت أولى من القياس بالمتحوّل، حين يكون الموضوع هو العقيدة والقيم الثابتة الراسخة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ (سورة الروم: 30).

ولعلَّ أسرع حركة في جسم الإنسان هي حركة العين، ولذلك استعملت للدلالة على سرعة الفعل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة النحل: 77).

---

(1) قسوم، عبد الرزاق: مفهوم الزمان، ص53.

(2) الكشّاف، ج 4/ ص207.

فما شأن قيام الساعة إلاَّ «كرجع الطرف من أعلى الحدَقة إلى أسفلها، أو هو أقرب من هذا وأسرع، لأنَّه إنَّما يكون بقول: كن، فيكون»[1].

ويمكن أن يفهم من "لمح البصر" الزمن الذي يستغرقه الضوء للسقوط على الباصرة، ويتمّ ذلك ـ طبعاً ـ بسرعة الضوء؛ وهذا ما يفيده المعنى اللغوي بالرجوع إلى فعل: لمحَ الشيءَ يلمَحه من خطف البصر، ويقال لمح البرقُ إذا لمع، «وقيل: لا يكون اللمح إلاَّ من بعيد»[2]؛

وجاءت آية سورة القمر أبلغ مفسّرٍ لهذا المعنى، وأشمل في الدلالة على سرعة تنفيد كلِّ أمور الله تبارك وتعالى، وليس أمر الساعة فقط ـ وما فسَّر القرآن مثل القرآن ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ * وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ (سورة القمر، الآية: 49 ـ 50).

فالأمر مهما صغر أو جلَّ ينفَّذ بكلمة واحدة سريعة هي قوله سبحانه: «كن»، فيكون. ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة البقرة: 117). ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة غافر: 68).

وقد نقل القرطبي عن الزجَّاج قوله: «لم يرد [الله تعالى] أنَّ الساعة تأتي في **لمح البصر**، وإنَّما وصفَ سرعة القدرة على الإتيان بها»، **ولمح البصر** لا يعني له هذا القدر الضئيل من الزمن، وإنَّما أراد به التمثيل للقرب[3]. ولكلِّ عصر أن يشبّه هذه السرعة بأسرع ما توصَّل إليه في مجال الحركة، ففي عصور مضت يقال ـ مثلاً ـ: في **لمح البصر** أي أسرع من البرق، وفي عصور أكثر تقدّما يقاس بالثواني والثوالث. . . ، وفي هذا العصر يقارن بسرعة الضوء، فيقال أسرع من الضوء. . . إلخ. وقدرة الله دوما أسرع من هذه التقديرات البشرية.

ولخَّص سيِّد قطب هذه المعاني كلِّها بأسلوب جامع، فقال: «هي إشارة

---

(1) المراغي: **تفسير**، ج5/ ص117.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، ج5/ ص393.

(3) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج 10/ ص150.

واحدة، أو كلمة واحدة يتمُّ بها كلُّ أمر، الجليل والصغير على السواء، وليس هنالك جليل ولا صغير، إنَّما ذلك تقدير البشر للأشياء، وليس هنالك زمن ولا ما يعادل لمح البصر، إنَّما هو تشبيه لتقريب الأمر إلى حسِّ البشر، فالزمن إن هو إلاَّ تصوُّرٌ بشريٌّ ناشىء عن دورة أرضهم الصغيرة، ولا وجود له في حساب الله المطلق من هذه التصوُّرات المحدودة»[1].

ولا بدَّ أن ننبه أنَّ "أو" في آية سورة النحل ليست للشكِّ «بل للتمثيل بأيهما أراد الممثل، وقيل: دخلت لشكِّ المخاطَب، وقيل: "أو" بمنزلة "بل"»[2].

والملاحظ أنَّ هذا المقدار الزمني: «لمح البصر»، الدالّ على السرعة المتناهية، لم يستعمل إلاَّ في وصف فعل الله تعالى، إذ لم يرد ذكره سوى في الآيتين السابقتين، ذلك أنـَّه لا مقارنة بين سرعة فعل الإنسان وسرعة فعل الله جلَّ وعلا. ومع ذلك فقد استعملت العين للدلالة على سرعة فعل المخلوق ولكن بلفظ مختلف عن هذا: قبل ارتداد الطرف.

5) قبل ارتداد الطرف:

في نفس السياق ـ أي سياق قياس الزمن بحركة العين ـ جاء على لسان الذي عنده علم من الكتاب، جوابا لطلب سليمان عليه السلام إحضارَ عرش بلقيس ملكة سبأ، قال سليمان: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النمل: 38).

فـ ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (الآية: 40).

وارتداد الطرف ردُّه، أي أنَّك ياسليمان إذا أرسلتَ طرفك إلى شيء «فقبلَ أن تردَّه أبصرتَ العرشَ بين يديكَ»[3].

---

(1) سيّد قطب: في ظلال القرآن، ج6/ ص3441.
(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج10/ ص150
(3) الزمخشري: الكشّاف، ج3/ ص290.

وقيل: «لا حاجة إلى اعتبار التجوُّز في الطرف، إذ المراد قبل ارتداد تحريك الأجفان، بطبقها بعد فتحها»[1].

وهل زمن إحضار العرش يقلُّ حقيقة عن زمن ارتداد الطرف؟ أم أنَّه للتشبيه كما رأينا في «لمح البصر»؟

خلاف ذكره المفسِّرون، ورجَّح الألوسي أنَّ «الكلام جارٍ على حقيقته، وليس من باب التمثيل للسرعة»[2]. ويعضد هذا الرأي كونُ ذكر «لمح البصر» في الآيتين السابقتين إنـَّما هو في شأن أمر الله تعالى، وأمر الله خارج عن حدود الزمان والمكان، وأمـَّا إحضار الذي عنده علم من الكتاب للعرش في هذه الآية فإنـَّما هو من فعل المخلوقات، ومن معالم هذا الفعل الأساسية كونه خاضعاً للزمان والمكان: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (سورة فاطر: 43).

6) كنفسٍ واحدةٍ:

ذهبت طائفة من المشركين إلى النبيء ﷺ فقالوا له: «إنَّ الله تعالى قد خلقنا أطواراً، نطفة ثمَّ علقة، ثمَّ مضغة، ثمَّ عظاماً، ثمَّ تقول إنـَّا نُبعثُ خلقاً جديداً جميعا في ساعة واحدة؟!»[3].

فأنزل الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (سورة لقمان: 28)

فزمَن الخلقِ والبعث للناس جميعاً كزمنِ الخلق والبعث لنفسٍ واحدة، و«سواء في قدرة الله سبحانه القليل والكثير، والواحد والجمع»[4]، فلا يشغله

---

(1) الألوسي: **روح المعاني**، ج19/ ص204.

(2) ن، م، والصفحة.

(3) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج14/ ص78. الهواري هود بن محكَّم: **تفسير كتاب الله العزيز**؛ تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان؛ ط1: 1410هـ/ 1990م؛ ج3/ ص340. الألوسي: **روح المعاني**، ج21/ ص101.

(4) الزمخشري: **الكشَّاف**، ج3/ ص397.

شأنٌ عن شأنٍ، ولا فعل عن فعلٍ، وإنّما أمره بين الكاف والنون[1].

وقد يكون هذا المقدار الزمني حقيقياً، وقد يكون للتمثيل والتشبيه، وأيا كان الأمر فإنَّ هذا الزمن - زمن خلق الله لنفس واحدة - زمن قصير جدًّا، قد لا يملك الإنسان تصوُّر حجمه، وقد يكون في حقيقته منعدماً، لأنَّ فعل الله لا يتزمَّن، وليس شأنه كشأن فعل المخلوق.

7) الساعـة[2]:

عدد مرَّات ورود لفظ الساعة في القرآن الكريم هو: ثمان وأربعون مرَّة، وقد تتبعناها بالملاحظة والتأمُّل فصنَّفناها في مجملها إلى ثلاثة معان مختلفة هي:

1) الساعة بالتعريف «علَم بالغلَبة على يوم الجزاء»[3]، قال بعضٌ: «الساعة في كلِّ القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة»[4].

فالساعة إذن هي القيامة، سميت بها لعدَّة معانٍ منها:

أ) أنَّها في آخر ساعة من ساعات الدنيا[5].

ب) لأنَّ قيام الساعة للسعيد كساعة في سرعتها[6].

---

(1) الثعالبي عبد الرحمن: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**؛ تحقيق: الدكتور عمَّار الطالبي؛ المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ ط: 1985م؛ ج3/ ص329.

(2) لفظ الساعة بالإنجليزية (Hour) يحمل معان عديدة، بعضها يشبه المعاني التي نجدها في اللغة العربية، ومن ذلك: «فترة من الزمن (The period of time)، 60 دقيقة، الحين أو الأوان (a time of day when a new such period starts)،».

Paul Procter and others: **Longman dictionary of contemporary english**, Longman-Librairie du LIBAN, LIBAN, 1983, p545.

(3) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج27/ ص214.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، ج3/ ص240.

(5) الألوسي: **روح المعاني**، ج21/ ص59.

(6) اطفيش: **تيسير التفسير**، ط.ع، ج4/ ص54.

ج) لاعتبار سرعة الحساب في وقت قيامها[1].

د) لقلَّة حجمها بالنسبة إلى الخلود[2].

ومن أمثلة هذا المعنى آية سورة الأعراف: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ (الآية: 187). وآية سورة محمَّد ﷺ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ (الآية: 18).

وللدلالة على سرعة قيامها وإتيانها بغتة قال عليه السلام: «**وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ[3] فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ[4] فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا**»[5].

2 ـ **الساعة** جزء قليل من أجزاء الليل والنهار[6]، أو هي «جزء من أجزاء الزمان»[7]، و«في أصل اللغة الزمنُ القصير المعيَّن بعمل يقع فيه، يقال: جلستُ

---

(1) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج7/ ص359.

(2) اطفيش: ن، م، ج3/ ص275.

(3) اللقحة: الناقة القريبة العهد بالنتاج، ويقال ناقة لاقح: إذا كانت حاملا، والملاقح الفحول، والملاقيح ما في بطون النوق من الأجنة. الرازي: **مختار الصحاح**، ص602

(4) يليط حوضه: أي يطيِّنه ويصلحه. ابن منظور: **لسان العرب**، ج5/ ص422

(5) رواه **البخاري** في كتاب الرقاق، حديث 6025 قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ ﴿لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾، ولتقومنَّ الساعة. . .»**.

وقد روى الحديث كذلك - بألفاظ متقاربة - **كلٌّ من البخاري** في كتاب الفتن، حديث 6588؛ و **أحمد** في باقي مسند المكثرين، حديث 8468. وانظر- العالمية: **موسوعة الحديث**، مادَّة البحث: «لتقومنَّ الساعة»

(6) ابن منظور: ن، م، ج3/ ص240.

(7) عاطف الزين: **تفسير مفردات ألفاظ الفرآن**، ص447.

إليه ساعة، وغاب عنِّي ساعة»[1].

وقد قدَّر القطب اطفيَّش هذا الجزء من اليوم بأنَّه «لحظة أو أقلّ، والساعة في فنِّ المنجِّمين إمَّا مستوية وتُسمَّى فلكية، خمس عشرة درجة، ومعوجة وتسمى زمانية وهي نصف سدس من النهار والليل»[2].

ولكن يبدو أنَّ القرآن لم يستعمل الساعة بمعنى الساعة المستوية ولا الساعة المعوجة[3]، وإنَّما استعملها في آياته بمعنى: الجزء اليسير من الزمن، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۭ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (سورة الأحقاف: 35). فهو إذن «أمد قصير، ساعة من نهار، وإنها حياة خاطفة تلك التي يمكثونها قبيل الآخرة»[4].

والله تعالى جمع هذا المعنى مع المعنى الأوَّل في آية واحدة، وهي قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۢ﴾ (سورة الروم: 55)، فبينهما جناس تامٌّ[5]. أي: يوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما عاشوا في الدنيا غير وقت قصير من الزمن.

3 ـ **الساعة بمعنى الوقت الحاضر**[6]، أو وقت الشيء المضاف إليه؛ غير أنَّ هذا المدلول لم يرد إلاَّ مرَّة واحدة في قوله تعالى من سورة براءة: ﴿لَّقَد

---

(1) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج7/ ص359.

(2) اطفيش: **تيسير التفسير**، ج4/ ص54-55. وانظر: الخوارزمي محمَّد بن أحمد بن يوسف: **مفاتيح العلوم**؛ حققه: إبراهيم الأبياري؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ ط1: 1404هـ/ 1984م؛ ص243.

(3) يرجع الدكتور عبد الصبور شاهين استعمال الساعة «للدلالة على آلة تقدير الوقت» إلى العصر العبَّاسي، وبالضبط في عهد هارون الرشيد. ويقول: «ممَّا يحيرنا في هذا الموضوع عدم استخدام مصطلح (ساعة) في الدلالة على جزء من الزمن معيَّن، كما جاء استعمال دقيقة وثانية» **العربيَّة لغة العلوم**، ص168.

(4) سيِّد قطب: **في ظلال القرآن**، ج6/ ص3276.

(5) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج21/ ص129.

(6) ابن منظور: **لسان العرب**، ج3/ ص240، مادَّة سوع.

﴿تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ (الآية: 117).

أي أنَّ توبة الله شملت النبي ﷺ والصحابة الذين اتَّبعوه ولم يتخلَّفوا عنه في وقت الشدَّة والضيق[1].

8) الحيـن:

يحصي المتتبع لألفاظ القرآن الكريم عدد ورود هذا اللفظ أربعا وثلاثين مرَّة بصيغة النكرة: حين؛ ومرَّة واحدة بصيغة: حينئذٍ.

وقد اختلفوا في معنى **الحين** «بعد اتفاقهم على أنّه اسم للزمان»[2]، فقسَّم البعض **الحين** إلى حين يوقف على حدِّه، وحين لا يوقف على حدِّه. ويقسمه البعض إلى حين معلوم، وحين مجهول.

ومجمل القول إنَّ لفظ **الحين** يحمل عدَّة معانٍ، ويدلُّ على مقادير زمنية مختلفة، فصَّل فيه القول صاحب الجامع لأحكام القرآن[3]، ونذكر من بين هذه المعاني:

1 ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (سورة البقرة: 36). قال البعض إلى الموت.

2 ـ وقيل: إلى قيام الساعة[4].

3 ـ وقيل: إلى أجلٍ.

4 ـ ومن معاني **الحين** كذلك: الوقت البعيد.

5 ـ والمدَّة عموما، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ (سورة الإنسان: 1).

6 ـ **والحين** الساعة، أو هو القطعة من الزمان كالساعة فما فوقها، ومنه قوله

---

(1) المراغي: تفسير، مج4/ ج11/ ص40.
(2) الرازي: التفسير الكبير، ج3/ ص18.
(3) القرطبي، ج1/ ص321-322.
(4) اطفيش: تيسير التفسير (ط.ع)، ج1/ ص59.

تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة الزمر: 56 ـ 57).

7 ـ في قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (سورة المؤمنون: 54). أي حتَّى تفنى آجالهم.

8 ـ وعن الشجرة الطيبة قال تعالى: ﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ (سورة إبراهيم: 25). قيل: كلّ سنة، وقيل: كلّ ستَّة أشهر...

9 ـ وفي نفس الآية السابقة قيل: غدوة ورواحاً، وكذلك نجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ (سورة الروم: 17).

10 ـ **والحين** يوم القيامة.

ويجمع كلّ هذه المعاني والمقادير في أنَّ **الحين** اسمٌ كالوقت، يصلح لجميع الأزمان طالت أو قصرت.

وقد نجم عن اختلاف أصحاب اللغة في معنى **الحين** اختلاف بين الفقهاء، مفاده أنَّ مَن نذَر أن يفعل شيئا أو أن لا يفعل شيئاً إلى حين، كم هو مقدار وزمان هذا النذر؟

وما هو **الحين** الذي تتعلَّق به الأحكام ويرتبط به التكليف؟[1]

ولمن أراد التوسُّع والجواب أن ينظر في الموسوعات الفقهية، باب الأيمان والنذور[2].

9) الأجــل:

من معاني **الأجل** في اللغة: المدَّة المضروبة للشيء[3] «أي المقدار

(1) وقد أورد القرطبي فحوى هذا الاختلاف، فلينظر: **الجامع لأحكام القرآن**، ج1/ ص322-323.

(2) وانظر مثلا: الثميني ضياء الدين عبد العزيز: **التاج على المنهاج**؛ ضبط النصّ وتصفيف: محمَّد باباعمي ومصطفى شريفي؛ تحت الطبع: وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان؛ 1995م؛ ج6/ ص966-985، باب الأيمان والنذور.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ ص25، مادَّة أجل.

المحدود من الزمان»[1]. وله معان أخرى مثل أجل الإنسان وأجل الأمم. . . وغيره.

ومن ذلك قوله تعالى في قصَّة شعيب عليه السلام، بعدما قضى نبيء الله موسى عليه السلام أجلا مسمَّى وأجلا اختاره من عنده: ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ (سورة القصص: 29). وقال قبل ذلك ـ أوان إبرام العقد ـ: ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (الآية: 28).

فالأجل المسمَّى ثماني سنين، والأوفى والأبرُّ عشر»[2]، وقد قضى موسى عليه السلام أوفى الأجلين وأكملهما: فأتمَّ عشراً من الحجج من عنده، وقد قال له من قبل: ﴿ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الآية: 27)

وورد الأجل في قوله تعالى عن المطلَّقات: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ (سورة الطلاق: 2). ومعناه: «فإذا بلغت المعتدَّات أجلهنَّ، أي شارفن على انقضاء العدَّة، وقاربن ذلك، ولكن لم تفرغ العدَّة بالكليَّة، فحينئذ إمَّا أن يعزم الزوج على إمساكها، وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده»[3].

وأمَّا في آية سورة الحج: ﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (الآية: 5)، فيعني بالأجل: أجل الولادة[4]، أو غيره مما اختلف فيه الفقهاء.

---

(1) رشيد رضا: تفسير المنار، ج7/ ص296.
(2) الزمخشري: الكشَّاف، ج3/ ص218.
(3) ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل القرشي الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، المسمَّى تفسير ابن كثير؛ دار الثقافة، الجزائر؛ 1410هـ/ 1990م؛ ج7/ ص20-22.
(4) ابن سلاَّم: التصاريف، ص320.

10) مُرساهـا:

فسَّر ابن سلاَّم في كتاب التصاريف **المُرسَى** في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ (سورة الأعراف: 187) (سورة النازعات: 42)، بأنَّه **الأجلُ**، أي يسألونك عن الساعة: «متى حينها؟»[1].

وكذلك آية ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ (سورة هود: 41)، يعني: «حين تحبس»[2].

وأمّا القرطبي[3] فقد عدَّد معاني مرساها في خمس معان هي:

1 ـ مُنتهاهاَ، وتدلُّ عليه بقية الآيات في سورة النازعات: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾(الآية: 44).

2 ـ زمانها.

3 ـ مثبَتُها.

4 ـ وقوعُها.

ثمَّ قال بعد هذا الحصر: «والمعنى متقارب»؛ غير أنّه لم يدرج ضمن معاني **المُرسى** الأجلَ. والذي نستفيده أنَّ لفظ مُرساها من الألفاظ الزمنية، وهذا ما لا يتبادر إلى الذهن أوّل وهلة.

11) قبل وبعد:

وردت مادَّة: (ق.ب.ل) في القرآن الكريم 294 مرَّة، وأمّا مادة: (ب.ع.د) فورد ذكرها 233 مرَّة، وأغلب ورودها كان للدلالة على التعاقب الزمني، ونمثّل بعدَّة آيات منها:

﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ (سورة الأعراف: 129).

﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ (سورة الأنبياء: 24).

---

(1) ابن سلاَّم: **التصاريف**، ص257.

(2) ن، م، والصفحة

(3) **الجامع لأحكام القرآن**، ج7/ 335؛ ج17/ ص209.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (سورة الأعراف: 69).
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ (سورة القصص: 43).

فقبل هو نقيض بعد، وقبل كلمة دالَّة على الشيء الأوَّل كما أنَّ بعد كلمة دالَّة على الشيء الأخير، فتقول: هذا قبل هذا، وهذا بعد هذا[1].

غير أنَّ المقدار الزمني لهذه الوحدة ليس محدَّداً، بل إنَّ السياق هو الذي يحدِّده، ففي آية سورة الروم ـ مثلاً ـ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ (الآية: 4)، أي في المدَّة التي من يوم غلب الفرس على الروم ومن بعد غلب الروم على الفرس[2] وتُحدَّد هذه المدَّة بالسنين؛ وقد يراد به كذلك جميع الأزمنة، إذ لله الأمر مطلقًا قبل هذا اليوم وبعده.

وقد يحدَّد مقدار هذه الوحدة بالقرون والآماد البعيدة، في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ (سورة الإسراء: 17). ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ (سورة الأعراف: 69).

غير أنَّ الغالب في استعمال: قبل وبعد، للحقب الطويلة، والآماد البعيدة.

12) الفـاء وثـمَّ:

يقول أصحاب اللغة: «الفاء من حروف العطف، ولها ثلاثة مواضع يعطف بها وتدلّ على الترتيب والتعقيب مع الاشتراك، تقول: ضربت زيدا فعمرا»[3]. وأمَّا ثمَّ فـ «حرف عطف يدلُّ على الترتيب والتراخي»[4].

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج1/ ص333، ج5/ ص10. الزمخشري: **الكشَّاف**، ج3/ ص368.
(2) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج21/ ص46.
(3) الرازي، : **مختار الصحاح**، ص488.
(4) ن، م، ص86.

وبهذه المعاني جاءت الفاء وثمَّ في القرآن الكريم، لتفيد ترتيب الحوادث التاريخية، وبتتبُّع كثير من الآيات التي استعملت الفاء فيها لترتيب الوقائع والأفعال، وكذلك مواطن ورود ثمَّ للدلالة على الترتيب الزمني، لمعرفة المقادير الزمنية لهذين اللفظين، نخلص إلى أنَّ هذه المقادير مختلفة اختلافاً كبيراً، ولا تفهم إلاَّ في سياقها العام، والمقصد منها ليس هو تحديد المدَّة بين حادث وحادث، أو ضبط الفترة بين فعل وفعل آخر، وإنَّما هو للدلالة على ترتيبهما ولتبيين درجة ذلك الترتيب: إمَّا طويلة، وإمَّا قصيرة.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ * فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ (سورة الصافات: 139 ـ 145).

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ . . . فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ (سورة يونس: 71 ـ 75).

﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (سورة نوح: 9 ـ 10)

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ (سورة النمل: 40).

ففي هذه النماذج ـ مثلاً ـ نلاحظ أنَّ الفاء في الآيات الأولى أفادت الترتيب في نفس فترة يونس عليه السلام.

وفي الأنموذج الثاني اجتمعت الفاء مع ثمَّ، فكانت الفاء لترتيب الحوادث في عهد نوح عليه السلام، وثمَّ لمجيء الرسل بعد نوح بقرون، وبعد فترة الرسل استعملت ثمَّ كذلك لمجيء موسى عليه السلام؛ فالفاء هنا قد يقاس مقدارها الزمني بالسنين، وثمَّ يقاس بالقرون.

وفي الأنموذج الثالث استعملت **ثمَّ** للدلالة على ترتيب الحوادث في عهد نوح عليه السلام، وهنا تقدَّر بالسنين فقط.

والفاء في الأنموذج الرابع تقدَّر بالجزء من الثانية: قبل ارتداد الطرف.

وبالجمع بين هذه النماذج يتقرَّر أنَّ السياق هو المحدِّد لمقادير **الفاء وثمَّ**، وهذا كذلك مِمَّا يدلُّ على كون هذه المقادير مِمَّا يمتاز بالحياة، فلا جمود على مقدار واحد، وإنـَّما حيويةِ وحياة تنبض بها هذه الألفاظ كما ينبض القلب الحيّ في جوف الجسم الحيِّ.

هذه هي مجمل المقادير الزمنية التي تَمَّ حصرها في القرآن الكريم وهو عمل اجتهاديٌ، غير أنَّ هذه الألفاظ والمعاني لا تعني الحصر التامَّ ـ دائماً ـ بقدر ما تعني التمثيل، وكثرتها وغزارتها يحتاج إلى بحوث خاصـَّة بها، وبالخصوص ما يعرف بالبحوث الإحصائية باستعمال الجداول مع تتبُّع كلّ لفظ في جميع مواطن وروده، ووضع المقدار الزمني له، للخروج بأضبط حكم على هذا اللفظ أو ذاك.

وللتمكُّن من تصوُّر الخصائص العامَّة والمفاهيم المختلفة لألفاظ المقادير الزمنية، يجدر وضع جدول لتلك المعاني، على النحو التالي:

جدول معاني المقادير الزمنية

اللفظ	المعنى الأوّل	المعنى الثاني	المعنى الثالث	المعنى الرابع	المعنى الخامس
1. الآن	تناهي الاستمرار	الحد بين الماضي والمستقبل	من الحاضر إلى قيام الساعة	الآنية المتجدِّدة	
2. آنفاً	الساعة	وقتاً مؤتنفاً			
3. لمح البصر	للتمثيل لسرعة الفعل الإلهي	زمن اللمح حقيقة			
4. ارتداد الطرف	للتمثيل لسرعة الفعل الإنساني	زمن الارتداد حقيقة			
5. كنفس واحدة	للتمثيل لسرعة خلق البشر	كزمن خلق نفس حقيقة			
6. الساعة	القيامة	جزء من أجزاء الليل والنهار	الوقت الحاضر		
7. الحين	قيام الساعة	الأجل	الوقت البعيد	المدَّة عموماً	اسم كالوقت صالح لكلِّ زمن
8. الأجل	المدّة المضروبة للشيء				
9. مرساها	أجلها	حينها	زمانها	مبثبتها	وقوعها
10. قبل وبعد	لتعاقب الزمن عموماً	الغالب فيها للآماد البعيدة			
11. الفاء/ وثمَّ	للتعقيب/ للتراخي	مدّة غير محدَّدة			

خاتمة الفصل

من خلال ما تقدَّم نضبط الخصائص العامّة لألفاظ الزمن في القرآن، وكذا بعض المفاهيم التي تَمَّ تحديدها، في محاولة للوصول إلى مفهوم شامل للزمن في القرآن الكريم:

1 ـ إحصاء المقادير: لا يقدر الإنسان أن يحصي المقادير الزمنية إحصاء مطلقا مهما أوتي من علم، والواجب أن يجتهد في معرفتها والقرب من مداها بما أوتي من قوّة ووسائل، متيقنا أنَّ الإحصاء المطلق للمقادير هو من اختصاص الله وحده.

2 ـ الدقَّة في التقدير: لا تخضع مادَّة الزمن في القرآن الكريم إلى المقاييس الفزيائية المتغيِّرة، وليس في القرآن مقادير زمنية يمكن أن توصف بالدقَّة أو عدمها مثل: الدقيقة والثانية واللحظة وما دونها؛ فطبيعة هذه المقادير التطوُّر والتجدُّد والخطأ والصواب، أمّا القرآن فهو حقٌّ مطلق، ولا يطلب منه أن يخضع لعلوم الإنسان بل دوره هو توجيه الإنسان وهدايته.

3 ـ الاشتراك: إنَّ ألفاظ المقادير الزمنية ـ في القرآن الكريم ـ تفيد معان مختلفة ومتنوّعة، ولا تقتصر على معنى واحد. وذلك ما يجعلها تمتاز بتفسيرات مختلفة تسهم في إثراء المفاهيم الزمنية في القرآن الكريم.

4 ـ السياق والدلالة البلاغية الدقيقة: الملاحظ أنَّ هذه المقادير لا يمكن أن تفهم إلاَّ في سياقها العامِّ ضمن الآية التي وردت فيها. فألفاظ الزمن لا تساق لذاتها وإنّما لتخدم موضوعا من مواضيع القرآن، أو مقصدا من مقاصده الكبرى، مثل: التوحيد، والأحكام، والقصص.

وألفاظ الزمن ـ كذلك ـ دقيقة في وضعها، بحيث لا يمكن أن يخلف لفظ

لفظا، أو أن يستغنى عنه، ذلك أنّه يقصد من اختيار الألفاظ معانٍ بلاغية ذات دلالات دقيقة.

5 ـ **صعوبة تحديد المقدار الزمني للفظ**: كثير من ألفاظ المقادير الزمنية غير محدَّدة المقدار، فلا يمكن أن يحدَّد مقدار اللفظ بعدد معيَّن من الوحدات، إذ ليست الساعة - مثلا - في القرآن الكريم تساوي 60 دقيقة، ولا الحين يحدّد بمقدار معيَّن. وذلك لأنَّ المقصد ليس هو التحديد المضبوط لحجم أو مقدار ذلك الزمن، وإنـّما المقصد هو بيان طوله أو قصره، بعده أو قربه...

6 ـ **حياة الألفاظ**: ألفاظ المقادير الزمنية في القرآن الكريم ليست وحدة استاتيكية جامدة، أو مقياساً صالحاً لكلٍّ سياق ومجال، وإنـّما هي ألفاظ تتأثَّر وتؤثِّر، وتتطوَّر مفاهيمها ودلالاتها مع تطوّر إدراك الناس، ومع تقدّم وسائلهم في قياس الزمن؛ ولذلك لا يمكن أن يقال عن أيِّ لفظ من هذه الألفاظ: إنَّه نتاج البيئة الفلانية، أو العصر الفلاني، وسيفقد دلالته بعد ذلك العصر!. بل إنَّ هذه الألفاظ تتفاعل مع كلّ العصور، سمتها الكبرى هي: الخلود.

7 ـ **بين التمثيل والحقيقة**: بعض المقادير الزمنية في القرآن الكريم سيقت للتمثيل لسرعة الفعل لا لضبط مدَّة معينة، ومثال ذلك: لمح البصر، ارتداد الطرف... وبعضها الآخر أريد بها حقيقتها مثل: سبع سنين، مائة عام... إلخ.

8 ـ **غزارة المادَّة**: مادَّة البحث في المقادير الزمنية غزيرة جدًّا، وتحتاج إلى بحوث متكاملة لاستقصائها لفظاً لفظاً، وآية آية؛ ولكن ينبغي أن لا نخلط بين استقراء الآيات كما هو المنهج في هذا البحث، وبين محاولة استقراء كلِّ المعاني معنى معنى، وكلِّ الألفاظ لفظاً لفظاً، وهذا ما يدعو إليه هذا الفصل ولا يدَّعي أنَّه توصَّل إلى إنجازه.

هذه جملة من الخصائص المستنبطة، ولنحاول في الفصول الأخرى أن نعرف مدى شمولية هذه الخصائص، ونحاول كذلك أن نستخرج خصائص أخرى تصبُّ في تحديد المفهوم الشامل للزمن في القرآن الكريم.

الفصل الثالث

التقويم: اليوم وأجزاؤه في القرآن الكريم

ما هو منشأ التقويم عند الإنسان؟
وما هو أثر الطبيعة في استحداث التقويم؟
ما العلاقة بين حركة الأفلاك، وحساب الزمن؟
وما هي أنواع اليوم في القرآن الكريم؟
ما الشيء المتسبِّب في إحداث الليل والنهار؟
ما هي أجزاء اليوم الوارد ذكرها في القرآن الكريم؟ وما حدُّها ومواصفاتها؟
ما هي خصائص التقويم في القرآن الكريم؟
ثمَّ ما هي خصائص الزمن في القرآن الكريم من خلال دراسة اليوم وأجزائه؟

تمهيد

منشأ التقويم عند الإنسان من خلال القرآن الكريم

للإنسان إحساسٌ فطريّ؟ بالزمن، مهما كان مستواه من التمدُّن والتحضُّر، ذلك أنَّه «من الناحية العملية مفطور على حاستي الذاكرة والتوقُّع، إذ إنـه ينظِّم حياته داخل شبكة نسيجها الماضي والحاضر والمستقبل»(1).

ومن هذا المنطلق احتاج إلى سجلٍّ زمني يعتمده في تقديره، وتنظيم ظروف حياته المادية والمعنوية، فاهتدى بعد بحث شاقٍّ وطويل إلى سجلٍّ زمني «للسنين وأجزائها، اعتماداً على ظاهرة طبيعية ثابتة أو أكثر، يرتكز عليه الإنسان في برمجة أوقاته، وفي تسجيل الوقائع والأحداث التي يشهدها في حياته اليومية»(2).

ومعلوم أنَّ التقويم الطبيعيَّ الذي اهتدى إليه هذا الإنسان، هو التقويم الذي يعتمد الشمس والقمر لحساب الزمن، ذلك أنَّ الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة الأنبياء: 33). وهو الذي ـ بفضله ـ ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة النحل: 12).

---

(1) روي بورتر: **تاريخ الزمان**؛ سلسلة عالم المعرفة، عدد 159؛ (شعبان ـ رمضان 1412هـ/ مارس ـ آذار 1992م؛ الكويت؛ ص7.

(2) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص97.

والتحقيق أنَّ الزمن وُلد مع المكان[1]، وأنَّ الليل والنهار ولدا مع الشمس والقمر، فآية سورة التوبة دالَّة دلالة صريحة على هذا المعنى[2]: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (الآية: 36).

وقد بيَّن القرآن الكريم للناس أنَّ من وظائف الشمس والقمر حسابُ الزمن[3]، فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يونس: 5). وقال في آية أخرى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ﴾ (سورة الأنعام: 96)، وقال: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ (سورة الرحمن: 5).

وكنتيجة لحركة الشمس والقمر ظهرت الأوقات، وعُرفت الأيَّام والأشهر والسنون، وسنحاول في مبحثنا هذا أن نتطرَّق إليها واحدة واحدة، مبتدئين باليوم وأجزائه، كما ورد في القرآن المبين:

---

(1) عبدو محمَّد خير الأحمر: **الكون والنسبية بين القرآن والنظرية**؛ مكتبة الأسد، دمشق، سورية؛ ط2: 1994م؛ ص23

(2) أبو السعود: تفسير، ج4/ ص63.

(3) ابن تيمية أحمد بن محمَّد: **مجموع فتاوى**؛ جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم بمساعدة ابنه محمَّد؛ المكتب التعليمي السعودي، المغرب؛ د.ت؛ ج15/ ص58 ـ 60.

المبحث الأول
اليوم في القرآن الكريم

لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من لفظ اليوم الذي يعتبر الأكثر ورودا بالمقارنة مع غيره من ألفاظ الزمن، فقد ذكر 474 مرّة.

ومع كثرة الورود تعدّدت الصيغ والمعاني[1]، مِمَّا يجعل الباحثَ يحاول معرفة هذه الصيغ، والتنقيب عن تلك المعاني المختلفة، ولعلَّ هذه الكثرة وذلك الثراء من أكبر الأدلَّة على غزارة مباحث الزمن في القرآن الكريم.

أمَّا الصيغ التي نجدها لهذا اللفظ فهي:

1 ـ المفرد النكرة: **يوماً**.

2 ـ المفرد المعرَّف بالألف واللام، أو بالإضافة: **اليوم، يومكم، يومهم، يوم الحساب، يوم التغابن**...

3 ـ المثنى النكرة: **يومين**.

4 - الجمع النكرة: **أيَّام، أيَّاماً**.

5 ـ الجمع المعرَّف: **الأيَّام**.

6 ـ بصيغة: **يومئذٍ**.

أمَّا المعاني التي يمكن حصرها ـ مع الملاحظة أنَّ بين هذه الصيغ وبين معانيها تناسباً كبيرًا ـ فهي كالتالي:

---

(1) من معاني اليوم (day) في اللغة الإنجليزية مثلا نذكر: «النهار (a period of light)، 24 ساعة (a period of 24 hours)، مدَّة زمنية (period of time)، مدَّة العمل (a period of work)».

Paul Procter and others: **Longman dictionary**, pp 280 - 281.

1) اليوم الطبيعي:

بأسلوب شاعريٍّ راقٍ، وأفكار حضارية سامية يعلّق المفكّر الجزائري مالك بن نبي في شروط النهضة على أثر رفعه إلى رسول الله ﷺ: «**ما مِن يومٍ ينشقُّ فجره إلاَّ وينادي المنادي: ياابن آدم، أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عملك شهيدٌ، فاغتنم منّي، لا أعود إلى يوم القيامة. . .**»[1]، قال:

«الزمن نهر قديم يعبر العالَم منذ الأزل!

فهو يمرُّ خلال المدن، يغذِّي نشاطها بطاقة الأبدية، أو يدلِّل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء.

وهو يتدفَّق على السواء في أرض كلِّ شعبٍ، ومجال كلِّ فرد، بفيض من الساعات اليومية التي لا تغيض، ولكنَّه في مجالٍ ما يصير ثروةً، وفي مجال آخر يتحوَّل عدماً، فهو يمرق خلال الحياة، ويصبُّ في التاريخ تلك القيم التي منحها له ما أنجز فيه من أعمال.

ولكنَّه نهر صامتٌ، حتَّى إنَّنا ننساه أحياناً»[2].

لا يلبث المتأمِّل في هذا الأثر، وفي عبارات مالك بن نبي أن يدرك أنَّنا أمام اليوم الذي يعرف ملامحه كلُّ فرد في كلِّ بقعة من بقاع الأرض، ما دامت هنالك شمس تشرق وشمس تغرب.

---

(1) عده مالك بن نبيء حديثا، والحال أنّي لم أعثر عليه ضمن أحاديث الكتب التسعة، ولا في غيرها، فوجدت القرضاوي ينسبه إلى الحسن البصري، دون أن يشير إلى مصدره، ويقول عنه: «وليس هذا حديثا مرفوعاً، كما حسب بعض الناس، بل هو كلام الحسن البصري». القرضاوي يوسف (الدكتور): **الوقت في حياة المسلم**؛ مؤسسة الرسالة، دمشق، سورية؛ ط6: 1413هـ/ 1992م؛ ص10.

(2) مالك بن نبي: **شروط النهضة**؛ سلسلة مشكلات الحضارة؛ ترجمة: عبد الصبور شاهين؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ مصوَّر: 1406هـ/ 1986م عن طبعة 1404هـ/ 1984م؛ ص139

غير أنَّنا قد نقع في اختلاف إذا حاولنا تحديد مقدار هذا اليوم ومعرفة حدوده وأجزائه. . .

أمَّا في القرآن الكريم فقد تتبَّعنا الآيات التي توظِّف هذا اليوم كوحدة زمنية، فوجدنا أنَّه يتمثَّل في معنيين:

1 ـ **من طلوع الشمس إلى غروبها**:[1]، وهو بهذا المعنى مرادف للنهار، ومثال ذلك قوله تعالى محدِّداً المدَّة التي أهلك فيها عاداً الأولى بريح صرصر عاتية، فهو جلَّت عظمته قد ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (سورة الحاقة: 7).

وبغضِّ النظر عن الاختلاف الذي وقع بين المفسِّرين في تحديد أولها، هل هو: غداة يوم الأحد، أو الجمعة، أو الإربعاء؛ فإنها بدأت باتفاق في «طلوع الشمس من أوَّل يومٍ، وانقطعت غروبَ الشمس من آخر يومٍ»[2]، فدلَّ أنَّ اليوم هنا هو النهار.

2 ـ يذكر صاحب كتاب التوقيت والتقويم أنَّ شعوب الأرض اختلفت في شأن تحديد **اليوم**، وأنَّ بعضها اعتبره جامعا لليل والنهار، والبعض الآخر أطلقه للدلالة على النهار فقط[3]، إلاَّ أنـَّنا وجدنا القرآن يوظِّف المعنيين معاً، وكذا اللغة العربية.

فبالإضافة إلى المعنى الأوَّل، يعرَّف **اليوم** بأنَّه شامل لليل والنهار دون تخصيص[4].

ويقول ابن العربي في إحدى رسائله: «اليوم عندنا [العرب] أربع وعشرون

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج6/ ص1021. وقسوم، عبد الرزاق: **مفهوم الزمان**؛ ص41. ونوكس ريتشارد: **الأرض السائحة في الفضاء**؛ سلسلة عالم المعرفة، عدد 159؛ (شعبان-رمضان 1412هـ/ مارس-آذار 1992م؛ الكويت؛ ص53

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج18/ ص260.

(3) علي حسين: **التوقيت والتقويم**، ص56.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، ج6/ ص1022.

ساعة»[1]. و«اليوم من طلوع الشمس إلى طلوع الشمس، أو من غروبها إلى غروبها، أو من استوائها إلى استوائها، أو ما بين ذلك إلى ما بين ذلك»[2].

وفي هذا المعنى يأتي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ (سورة الرحمن: 29)، وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ (سورة البلد: 14).

فلا يمكن أن نقصر معنى اليوم في هاتين الآيتين على النهار فقط، فقد روي أن النبي ﷺ قال في معنى الآية الأولى «﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾؛ قَالَ: «مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفَرِّجَ كَرْبًا وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَخْفِضَ آخَرِينَ»[3]، فهذا الشأن لا يقتصر على ليل أو نهار وإنّما يستغرق «كلّ وقت وحين»[4]. ونفس الشيء يقال عن الأمر بالإطعام في يوم ذي مسغبة، فلا يقال أمرنا بالإطعام نهارا، ولم نؤمر به ليلا.

ومعلوم أنَّ نقطة البداية في تحديد اليوم لم يكن متَّفقا عليها، فالنظام العربي ـ مثلاً ـ يجعل بداية اليوم من غروب الشمس إلى غروبها، باعتبار أنَّ الليل سابق النهار، فالليل أصل والنهار فرع.

وأمَّا النظام العالمي والمعروف ـ حالياً ـ بالنظام الزوالي، فيحدّد بدأ اليوم من منتصف الليل إلى منتصف الليل في اليوم الموالي، وبهذا يقع اليوم بين نصفي ليلتين[5].

والرسم البياني يظهر الاختلاف بين النظامين، على النحو التالي:

---

(1) ابن العربي محي الدين أبي عبد الله محمَّد بن علي بن محمَّد بن العربي الحاتمي: **رسائل ابن العربي**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصوَّر من ط1: مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، 1361هـ/ 1948م؛ ج1/ ص6-10، كتاب أيّام الشأن.

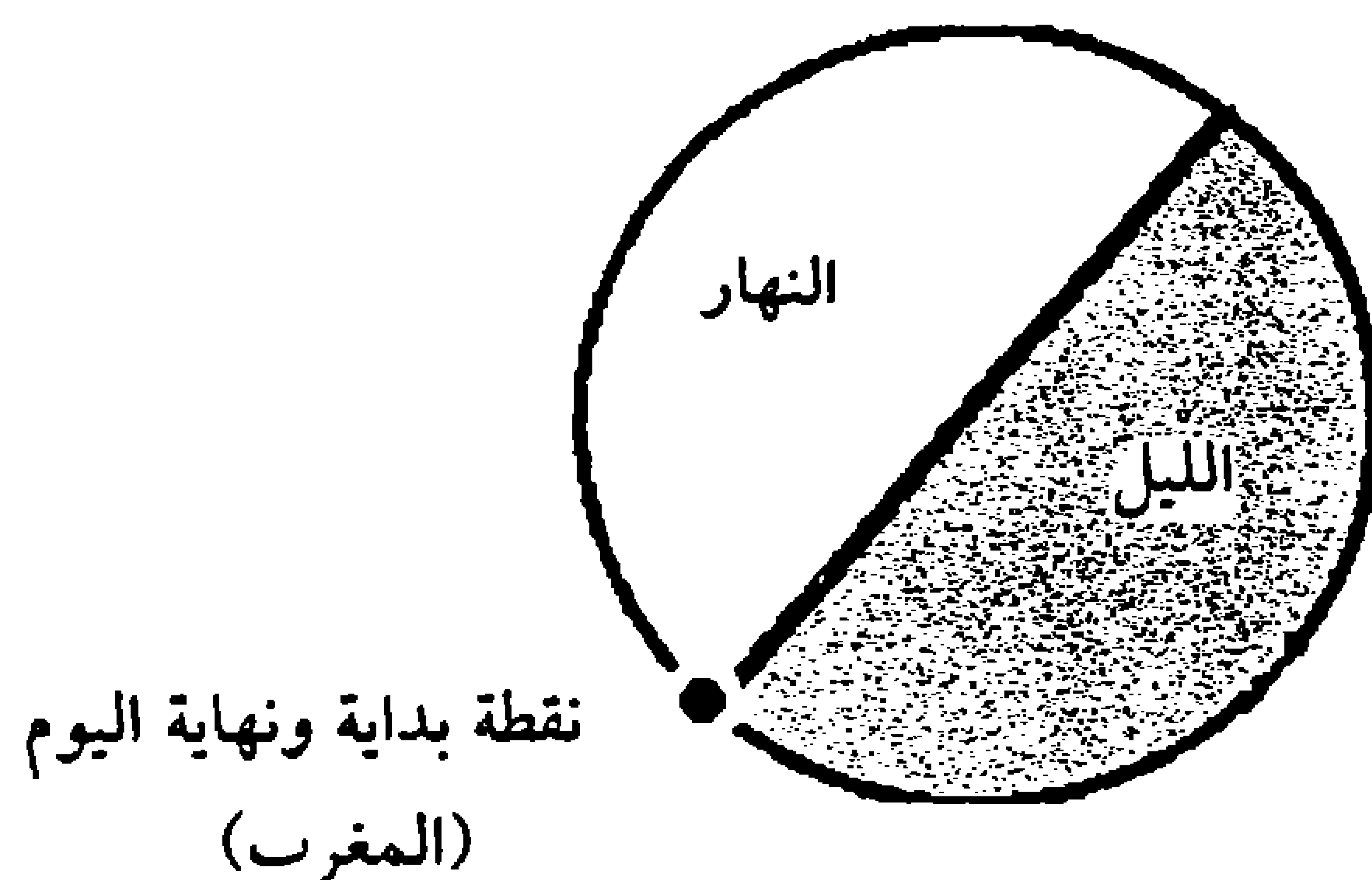
(2) ن، م، والصفحة.

(3) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير، دون ترقيم؛ ورواه ابن ماجه في المقدّمة، رقم 198، قال: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَزِيرُ بْنُ صَبِيحٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَلْبَسٍ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «(كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)...». والحديث صحيح، كلّ رواته ثقات. العالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «يرفع قوما».

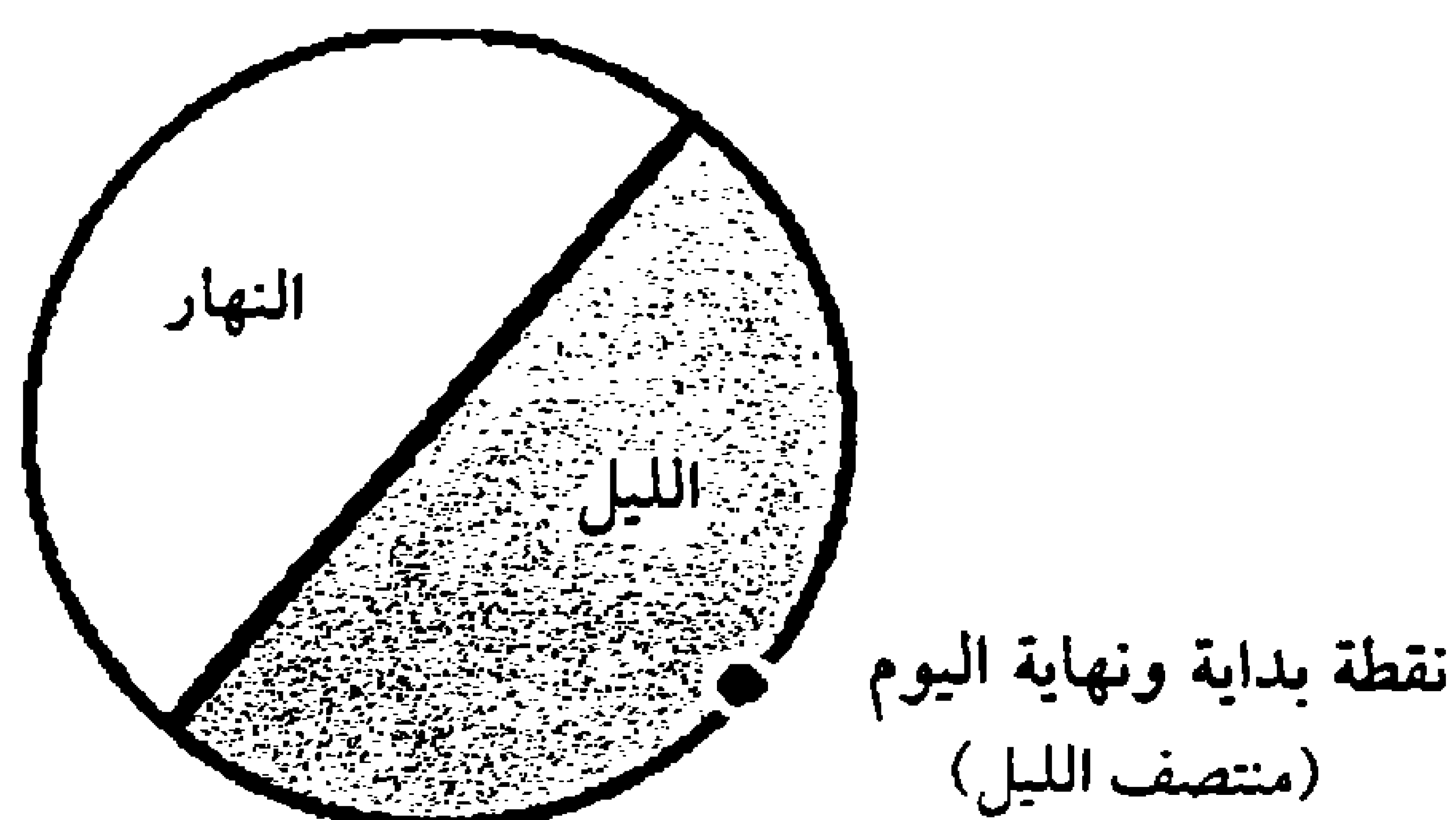
(4) الزمخشري: **الكشّاف**، ج4/ ص356.

(5) علي حسين: **التوقيت والتقويم**؛ ص66ـ 67.

الرسم البياني
للنظامين العربي والعالمي في اعتبار بداية ونهاية اليوم



النظام العربي



النظام العالمي

وليس لتحديد بداية اليوم أثر عميق في العقيدة، ولا في الفقه، ولا في الأحكام، وإلاّ لَـما تُرك محلاًّ للاجتهاد، ولَـما خضع المسلمون للنظام الزوالي، دون رفض ولا احتجاج يذكر. غير أنّ عدول المسلمين عن نظامهم الأصيل إلى النظام الزوالي لا يبرِّره إلاّ ولوعهم بالغالب، وابتعادهم عن أصولهم ومبادئهم.

2) اليوم بمعنى الوقت الحاضر:

ومن معاني اليوم: **الوقت الحاضر**، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (سور المائدة: 3).

فلو أريد يوما بعينه لأدّى ذلك إلى اعتبار دين الله غير مكتمل في غيره، وإلى توهُّم أنّ نعمته غير تامَّة وأنّ الإسلام غير مرضيٍّ في غير هذا اليوم، وهذا مستحيل في حق الله عزَّ وجلَّ، وفي حقِّ دينه ونعمه، «وإنَّما أراد به الزمان الحاضر وما يتَّصل به ويدانيه من الأزمنة الماضية والآتية، كقولك: كنتَ بالأمس شاباً، وأنت اليوم أشيب، فلا تريد بالأمس اليوم الذي قبل يومك، ولا باليوم يومَك»[1].

وهو بهذا المعنى يفيد إحدى وجوه كلمة: **الآن**.

3) اليوم بمعنى الزمن الماضي:

جاء اليوم بمعنى الزمن الماضي في عدَّة آيات منها: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ (سورة إبراهيم: 5).

فأيام الله هنا ـ كما قال بعض المفسِّرين ـ هي «**أيَّام** عادٍ وثمودَ»[2]؛ أو هي

(1) **الكشّاف**، ج1/ص469؛ وحاشية الشيخ محمَّد عليان على الكشّاف، نفس الجزء والصفحة. ابن منظور: **لسان العرب**، ج6/ص1022. ورشدي الزين: **المعجم المفهرس لمعاني القرآن**، ج1/ ص544.

(2) الفرّاء أبو زكريا يحي بن زيّاد: **معاني القرآن**؛ عالم المعرفة، بيروت، لبنان؛ ط2: 1980م؛ ج2/ ص69.

«الأيَّام التي أنجى الله ـ جلَّ علاه ـ فيها بني إسرائيل من أعدائهم، وهو تذكير بأيام نعم الله العظيمة التي أعطاهم»[1].

وفي كِلا المعنيينِ تدلُّ على «الأيَّام الخالية»[2]، وعلى الزمن الماضي، وذلك ما يفيده قول الحقّ: ﴿وَذَكِّرْهُم﴾، فإنَّ التذكُّر لا يستعمل للحاضر ولا للمستقبل، وإنـّما يأتي مقرونا بالماضي.

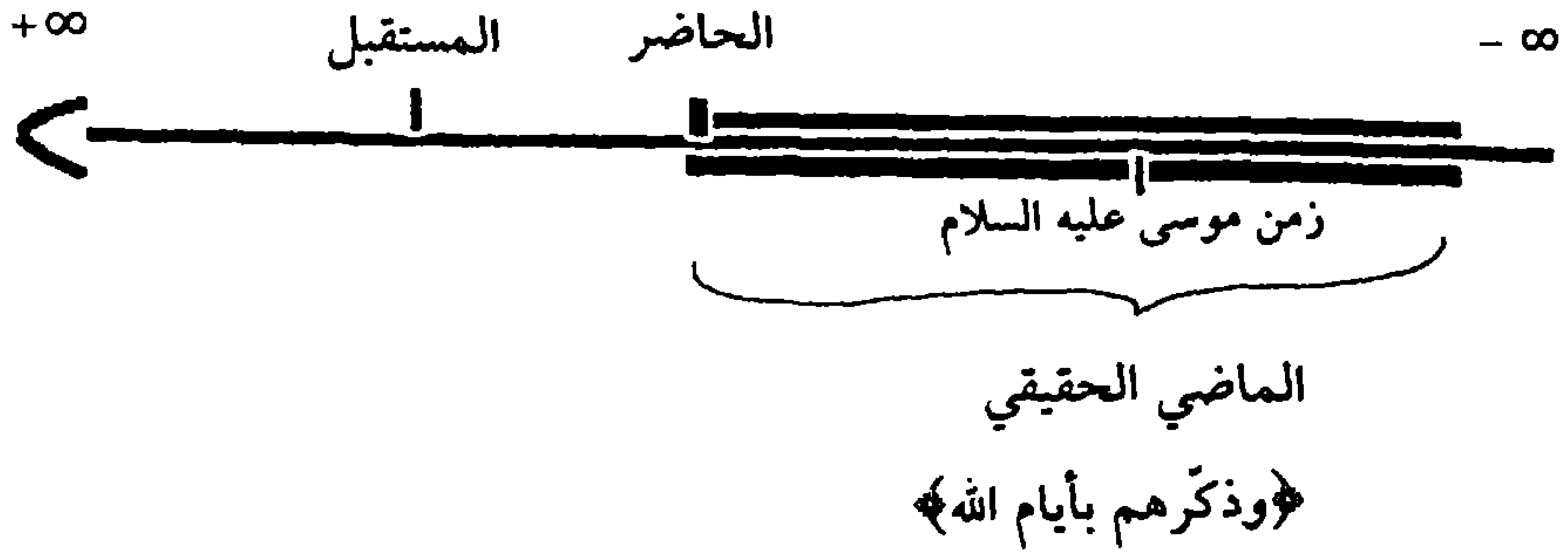
والتذكير بهذه **الأيَّام** تذكير بما فيها، فيقول: «أيَّام العرب، ويريد وقائعها»[3].

وقد فسَّر **اليوم** هذا التفسير في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (سورة الحاقة: 24)، أي الماضية من أيـّام الدنيا[4].

وينبغي أن ننبِّه إلى الفرق بين الزمن الماضي في الآية الأولى والزمن الماضي في هذه الآية، ففي آية سورة إبراهيم تدلُّ الأيَّام على الماضي دلالة حقيقية، أمـّا في هذه الآية فتدلُّ دلالة مجازية؛ إذ أنَّه يمكن أن يحشر ما هو مستقبل بالنسبة إلينا في الماضي باعتبار هذه الآية.

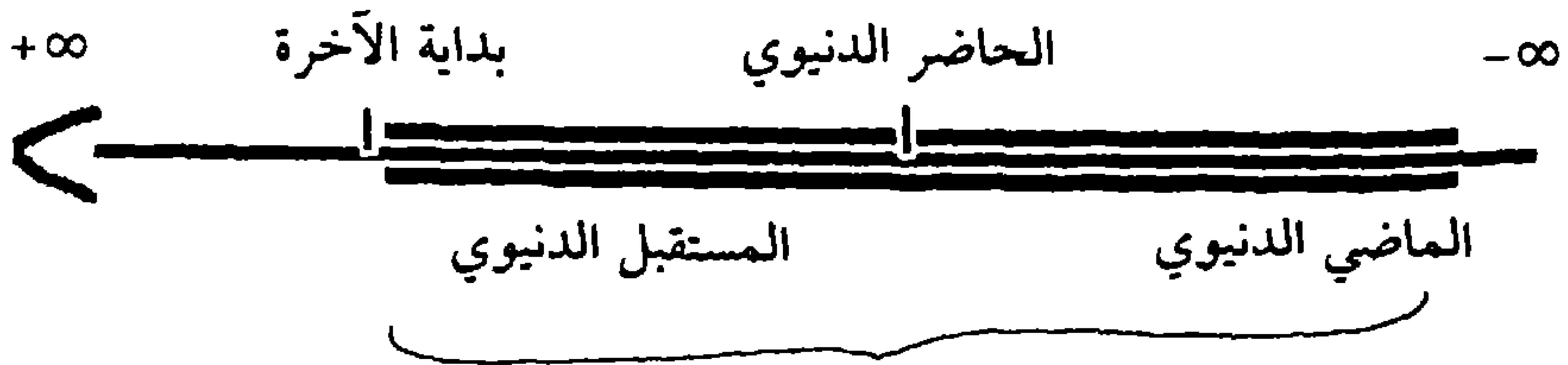
(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج13/ ص190.
(2) أبو السعود: تفسير، ج5/ ص33.
(3) الرازي: التفسير الكبير، ج19/ ص84.
(4) الزمخشري: الكشّاف، ج4/ ص483.

الرسم البياني
الماضي الحقيقي والماضي المجازي
(الفرق بين أيام الله والأيام الخالية)



الماضي الحقيقي

﴿وذكّرهم بأيام الله﴾



الماضي المجازي

﴿بمآ أسلفتم في الأيام الخالية﴾

4) اليوم بمعنى الساعة والحين:

يقول نبيء الله يحي عليه السلام في تعداد النعم التي أنعم الله عليه: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ (سورة مريم: 33).

أي حين[1] ولدتُ، وحين أموتُ، وحين أبعثُ؛ وهي أزمنة وأحايين يكون فيها الإنسان أكثر ضعفاً من غيرها و«أحوج ما يكون إلى الله: ساعة ولادته، ساعة موته، ساعة بعثه»[2].

وفي هذا المعنى - أي الحين - نقرأ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾(سورة الحاقة: 18). أي حينئذٍ، وفي الكشّاف: «قلتُ: جعل اليوم اسماً للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب»[3].

وهنا نلاحظ الفرق بين الحينين، فالحين الثاني نسمّيه كما سمّاه الزمخشري بـ "الحين الواسع"، وأمّا الأوّل فنسمّيه بـ "الحين الضيّق"، وذلك أنّه لا مجال للمقارنة بين الحينين أو اليومين، فإنّ زمن الولادة - مثلاً - لا يتعدّى بضع ساعات، أمّا زمن "العرض" فقد يفوق التصوُّر البشريَّ في عدد الساعات.

5) اليوم الكوني:

إذا كان مقدار اليوم الطبيعي لا يتعدَّى 24 ساعة، وإذا كان يوم القيامة يوماً بلا نهاية، فإنَّ اليوم الكوني يوم بين هذين اليومين.

ففي سورة المعارج يقول تعالى: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ * تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ * فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ (الآيات: 1-5).

---

(1) ابن سلاّم: التصاريف، ص350.

(2) بيوض إبراهيم بن عمر: في رحاب القرآن: تفسير سورتي مريم وطه؛ تحرير: عيسى بن محمّد الشيخ بالحاج؛ جمعية التراث، القرارة، الجزائر؛ ط1: 1416هـ/ 1995م؛ ص30.

(3) الزمخشري، ج4/ ص481.

ومن ثمَّ فإنَّ هذا اليوم يومٌ كونيٌّ ـ كما قال البعض ـ، يسهل علينا بعد تقدُّم علم الفلك أن نتصوَّره، وقد كان أصعب على الأمم السابقة باعتبار نظرتها إلى الكون.

غير أنَّه قد يكون هذا المقدار كناية عن طول اليوم، وقد يكون حقيقة معيَّنة[1].

ولعلَّنا نفصل القولَ فيه أكثر مع موضوع الزمن النسبي[2].

6) أيَّـام الخلـق:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ (سورة الأعراف: 54).

مع أنَّ كثيرا من المفسّرين، ومنهم ابن كثير[3]، يذهبون إلى أنَّ هذه الأيَّام هي الأيَّام الطبيعية التي نعرفها: الأحد، الاثنين...

إلاَّ أنَّ صاحب المنار قد أجرى بحثاً عميقا في هذه المسألة، وتوصَّل إلى النتيجة الآتية، قائلاً: «أمَّا هذه الأيَّام فهي من أيَّام الله التي يتحدَّد اليوم منها بعمل من أعماله يكون فيه (...) ولا يعقل أن تكون هذه الأيَّام الستَّة من أيَّام أرضنا»، ذلك أنَّ أيَّام أرضنا إنَّما وُجدت بعد خلق هذه الأرض[4].

ويذهب إلى هذا المعنى كذلك الدكتور عبد الرزَّاق قسوم[5].

غير أنَّنا في هذا الفصل لن نحقِّق أكثر في هذه القضية، ولنتركها لفصل: الزمن النسبي في القرآن الكريم.

---

(1) سيِّد قطب: **في ظلال القرآن**، ج6/ ص3696. عماد الدين خليل (الدكتور): **التفسير الإسلامي للتاريخ**؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1981م؛ ص124

(2) وانظر الفصل السابع من هذا البحث.

(3) **تفسير**؛ ج12/ ص482.

(4) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج8/ ص444-446.

(5) **مفهوم الزمان**، ص41.

7) يـوم القيامـة:

وأكثر ما استعمل لفظ اليوم في القرآن الكريم كان بمعنى يوم القيامة[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا* يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا* (. . .) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا* ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا* إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (سورة النبأ: 17 ـ 40)، ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (سورة الطلاق: 2).

وقد فصَّلت مصادر العقيدة القولَ في مواصفات هذا اليوم، وخاصَّة ما اختصَّ منها بموضوع يوم القيامة وأحواله وأهواله[2].

هذه بعض المعاني التي يفيدها لفظ اليوم في القرآن الكريم، ولا شكَّ أنَّها تفيد التمثيل لا الحصر، وهذه الغزارة دليل واضح على أهمية مادَّة الزمن في كتاب الله، ولعلَّه يكون من المفيد إعداد بحث خاصٍّ في: اليوم في القرآن الكريم، خاصَّة إذا أضيفت إليه أجزاؤه، ويكون المنهج فيه بتتبُّع كلّ الآيات التي وردت فيها هذه الألفاظ آية آية، مع ضبط معانيها، والمقارنة بين دلالاتها ومبانيها.

ذلك أنَّ بين الكثير من هذه المعاني تداخلا تقتضيه طبيعة الزمن نفسه، والأصعب من ذلك تلاحم الزمن الدنيوي المحدَّد بالزمن الأخروي المؤبَّد، في لفظ واحد هو: اليوم.

وبعد التعرُّض لليوم، سأحاول فيما يلي أن أجزِّئه وأتناول بالبحث هذه الأجزاء التي ذكرها القرآن الكريم، وأبرزها بلا ريب: الليل والنهار.

---

(1) ابن كثير: تفسير، ج7/ ص112.

(2) وانظر مثلا: أبو اليقظان إبراهيم: فتح نوافذ القرآن؛ نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر؛ ط2: 1992م؛ كله.

المبحث الثاني
الليل والنهار في القرآن الكريم

يجدر بنا ـ قبل محاولة عرض مقادير الليل والنهار ـ أن نعرف أيَّهما أسبق حتَّى نبدأ به، وأيهما هو الفرع حتَّى نثنِّي به، وأن نحدِّد العلاقة بينهما وبين الشمس والقمر، من خلال الآيات القرآنية التي جمعناها في هذا الموضوع.

أمَّا في الاستعمال اللغوي، وبالنظر في الأسلوب القرآني، فإنَّ الليل يأتي ذكره غالبا قبل النهار: ﴿اللَّيْل وَالنَّهَار﴾، ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾... إلخ.

ولعلَّ ذلك يعود إلى اعتقاد العرب الأقدمين بأنَّ الليل سابق للنهار[1]؛ يقول ابن العربي: «حساب العجم تقديم النهار على الليل، وزمانهم شمسيٌّ؛ وحساب العرب تقديم الليل على النهار، وزمانهم قمريٌّ. فليلة السبت عندنا هي الليلة التي يكون في صبيحتها السبت، وعامتنا ـ أعني الدولة العربيّة ـ أقرب إلى العلم من العجم»[2].

ويبقى أن نعرف من خلال القرآن أيهما أسبق، وأوَّل سبيل إلى ذلك هو سرد الآيات التي تشير إلى هذا الموضوع إشارة قريبة أو بعيدة، ومنها:

1 ـ قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ (سورة الزمر: 5).

---

(1) علي حسن: التوقيت والتقويم، ص66.

(2) ابن العربي: رسائل، ج1/ص8، كتاب أيَّام الشأن.

2 ـ وقال جلَّ وعلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ (سورة يونس: 24).

3 ـ وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾(سورة الزخرف: 38).

4 ـ وقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ * وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (سورة يس: 37 ـ 40).

5 ـ وقال في آية أخرى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ (سورة الأعراف: 54).

6 ـ وقال جلَّ ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (سورة الفرقان: 45).

7 ـ وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ﴾ (سورة النمل: 88).

8 ـ ويقول في سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الآية: 29).

لهذه الآيات الكريمة ـ وغيرها من الآيات الكونية ـ الأثر العظيم في تكوين اهتمام المسلمين بعلم الفلك، وقد اكتسى هذا العلم لدى المسلمين معنىً دينيا، مِمَّا دفع بباحثة مقتدرة هي صاحبة كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب"، أن تقول بعد بحث عميق: «الواقع أنَّه لا الرومان ولا الهنود هم الذين ساهموا في تطوير هذا العلم، وإنَّما كان من دواعي فخر العرب أن يفعلوا ذلك وحدهم»[1].

---

(1) زيغريد هونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أوربة**؛ ترجمة من الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري؛ المكتب التجاري، بيروت، لبنان؛ ط1: 1964م؛ ص130.

وإذا حاولنا أن نتأمَّل فواصل هذه الآيات السابقة، والتي تعمَّدنا حذفها، ظهر جليا الهدف والغاية العظمى من هذا العلم، فليست المعلومة العلمية في القرآن مجرَّدة عن الإيمان، بل هما متلازمان تلازم الروح والمادة، وتلازم الزمان والمكان.

فبعض هذه الفواصل هي:

1 ـ ﴿... أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ (سورة الزمر: 5).

2 ـ ﴿... كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة يونس: 24).

3 ـ ﴿... أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 54).

4 ـ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل: 88).

فكما تترك تلك الآيات الكونية أثراً في الكون من خلال تحديد أنواع الأزمنة، فإنَّ هذه الآيات القرآنية وتلك الآيات الكونية ـ مجتمعة ـ تترك أثراً إيمانيا قويًّا في قلب المؤمن المتدبِّر، والإنسان المفكِّر، فلا حاجز بين العلوم الفلكية وبين العلوم القرآنية.

وبالإضافة إلى هذا البعد الإيماني نرجع إلى ما تدلُّ عليه هذه الآيات من دلالات تفيد ما نحن بصدده، وترسِّخ عدَّة حقائق علمية مِمَّا توصَّل إليه العلم الحديث، ومـمَّا سيصل إليه في المستقبل؛ ونذكر من بين هذه النتائج:

1) أنَّ الأرض كرويَّة الشكل:

ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾، ذلك أنَّ التكوير في اللغة هو اللفُّ على المستدير، كتكوير العمامة[1].

واستعمال فعل يكوِّر هو استعمال معجز، ودليل قاطع على كون القرآن من عند خالق الكون، وإلاَّ فإنَّ الناس في عصر نزوله لم يكونوا يتصوَّرون مفهوم كرويَّة الأرض، هذا المفهوم الذي أصبح بدهيًّا في عصرنا هذا.

---

(1) رشيد رضا: تفسير المنار، ج8/ ص454.

وكذلك قول الحقِّ سبحانه: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾، فمعنى يغشي: يغطِّي ويستر، والحثيث هو المسرع، وطلب ظلمة الليل لضوء النهار هذا الطلب السريع، وتغطيته المستمرَّة له لا يمكن أن يفهم إلاَّ بتصوُّر كروية شكل الأرض[1].

ويقرِّر رشيد رضا أنَّ المحقِّقين ـ من أيمة المعقول والمنقول ـ من العلماء المسلمين اتَّفقوا على كرويَّة الأرض، وظواهر النصوص دليل على هذا[2].

2) أنَّ الأرض تدور حول نفسها:

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾، دليل آخر على هذه الكروية، وعلى التصوُّر الشامل لدور الشمس في إحداث النهار والليل، ولو كانت الأرض لا تدور حول نفسها لكان وجه الأرض نهاراً دائما، وظهرها ليلاً دائما، ويفسِّر هذا المعنى ما جاء في آية سورة القصص: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الآية: 71 ـ 72).

وهذا الدوران ليس مجرَّد عمليَّة طبيعية عادية، وإنَّما هو من أكبر نعم الله على عباده، ليبلو شكرهم وينظر كيف يعملون، إذ لو شاء لأعنتَ الناس بسكون الأرض، فلمَا استطاعوا أن يتحرَّكوا ولَما استطاعوا أن يسكنوا: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة القصص: 73).

ويدلُّ كذلك على هذا الدوران قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (سورة النمل: 88)، فلولا دوران الأرض لَما أمكن أن تُرى الجبال الشامخات جامدة، وهي

---

(1) ن، م، والجزء والصفحة.

(2) ن، م، والجزء والصفحة.

في حقيقتها تمرُّ مرَّ السحابِ سرعةً[1].

وقد صوَّر هذا الدوران ابن العربي ـ بأسلوبه الصوفي، وبنظراته الفلكية السديدة ـ أحسن تصوير، فقال: «فنهارٌ يكوَّر على ليلٍ، وليلٌ على نهار، وفلكٌ يدور، وخلق يدور، وكلام يدور، وحروف تدور، وأسماء تدور، ونعيم يدور، وصيف يدور، وشتاء يدور، وخريف يدور، وربيع يدور، وسيارة تدور ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (سورة الأعراف: 29)، ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (سورة الواقعة: 62).

ويرجع العود على بدئه ولا نهايــات لإبــدائــه
يكوّر الصبح على ليله وصبحه يفنى بإمسائه»[2]

وممَّا يستنتج من هذه الآيات، ومن قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، أنَّ الدوران ليس هو من سمات الأرض فقط، بل إنَّ السباحة ـ ومن أظهر حركاتها الدوران ـ هي السمة البارزة في كلّ من: الشمس والقمر، والليل والنهار.

3) أنَّ الليل والنهار يوجدان في وقت واحد من اليوم:

ففي سورة يونس آيتان تدلاًن على هذا المعنى، وموضوعهما حلول عذاب الله تعالى على المكذِّبين، ففي الأولى توصف الأرض بعد أن تأخذ زخرفها وتزيَّن، ويظنُّ أهلها أنَّهم قادرون عليها بأنَّه: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ (الآية: 24)، أي أمر الله تبارك وتعالى.

وفي الثانية يقول ذو الجلال والإكرام: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (الآية: 50).

وبحلول عذاب الله على الطغاة، وعلى البلاد والعباد «فإنَّ نصف سكَّان الأرض يكونون في ليلٍ، والنصف الآخَر في نهار، فلا يصدق لو قال: إنـَّها

---

(1) رجا عبد الحميد عرابي: **الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم**؛ دار الخير، دمشق، سورية؛ ط1: 1415هـ/ 1994م؛ ص148

(2) ابن العربي: **رسائل**، ج1/ ص5، كتاب الشأن.

تأتي نهاراً، ولا يصدق إن قال: إنـّها تأتي ليلاً»[1]. ومن هنا يُفهم أنَّ "أو" في الآيتين بمعنى "و" العاطفة، أو هي بمعنى "بل" التي هي للانتقال وليس لإبطال ما قبلها.

وهذا المعنى لا يلغي المعاني الأخرى لهذه الآية، مثل كون الله يأمر نبيّه الكريم أن يقول لِلكُفَّارِ: «أخبروني عن حالكم وما يمكنكم فعله إن أتاكم عذابه الذي تستعجلون به في وقت مبيتكم بالليل، أو وقت اشتغالكم بلهوكم ولعبكم أو أمور معاشكم بالنهار، وهو لا يعدوهما»[2].

4) أنَّ الليلَ يأخذُ من النهارِ، والنهارَ يأخذُ من الليلِ في حركةٍ مستمرَّة:

وقد عبَّر القرآن عن هذا المعنى، في قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾.

ولا يملك المتأمِّل إلاَّ أن يستحضر هذه الصورة البلاغية، وهذا التمثيل البديع، وهو ينظر إلى شاة أو أيِّ حيوان يُسلَخ إهابه ـ بعد الذبح ـ ويُكشَطُ كشطاً رفيقاً رقيقاً.

فيقول العلاَّمة ابن منظور: «انسلخ النهار من الليل: خرج منه خروجاً لا يبقى معه شيء من ضوئه؛ لأنَّ النهار مكوَّر على الليل، فإذا زال ضوؤه بقي الليل غاسقاً قد غشي الناسَ»[3].

وهذا التعبير يوحي إلى الذهن أنَّ كلَّ نقطة من هذه الأرض الفسيحة هي مجال لصراعٍ متواصل بين النور والظلام، فما ارتفع الظلام إلاَّ وحلَّ محلّه النور، وما زال النور إلاَّ وخلَفه الظلام، وهكذا إلى أن ﴿تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ﴾ (سورة إبراهيم: 48) وهذا الصراع هو نفسه ـ وبنفس المفاهيم ـ الصراع بين الحقِّ والباطل، وبين الخير والشرِّ، فليتأمَّل التوافق بينهما.

وهذا السلخ يكون بسرعة، فهو حثيث، وهو سباق دائم ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ

(1) مصطفى محمود: القرآن محاولة لفهم عصريٍّ؛ دار العودة، بيروت، لبنان؛ ط: 1979م؛ ص187

(2) رشيد رضا: تفسير المنار، ج11/ ص392

(3) ابن منظور: لسان العرب، ج3/ ص181.

ٱلنَّهَارِۚ﴾ (سورة يس: 40)، و«إنَّه لسباقٌ جبَّار، لا يني ولا يفتر في ليل أو نهار»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ (سورة لقمان: 29) دليل آخر على زيادة طول النهار على حساب طول الليل، وعلى زيادة طول الليل على حساب طول النهار، و«نحن نعرف أنَّ ميل محور الأرض بـ 23.5 درجة هو المسبِّب لهذا الاختلاف»[2].

ولعلَّ هذا المعنى بالذات هو الذي جعل بعض المفسِّرين يذهبون إلى أنَّ معنى ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ (سورة القلم: 20)، هو: كالليلِ في السوادِ[3]، أو كالنهار في بياض الزرع المحصود، و«كلٌّ من الليل والنهار يسمَّى صريماً، لانصرام كلٍّ من صاحبه»[4].

5) أنَّ الليلَ والنهارَ خُلقاَ في آنٍ واحدٍ:

شاع في بعض النصوص أنَّ الليل سابقٌ للنهار في الخلق، ومن ذلك ما جاء في التوراة: «أوَّل ما خلقَ الله السموات والأرض، كانت تيها تيها؛ وظلام على وجه الغمر، وأرواح الله مرفوفة على وجه الماء، وقال الله: يكون نور، فكان النور. ورأى الله النور حسناً، وفصل الله بين النور وبين الظلام، فسمَّى عند ذلك النهارَ نهاراً، والظلام ليلاً، وكان مساء وما يليه، وصباح وما يتبعه، الجميع يوم واحد»[5].

وكذلك اعتقد العرب في القديم أنَّ الليلَ أصلٌ والنهار فرعٌ[6].

---

(1) سيِّد قطب: **التصوير الفنِّي**، ص64.

(2) رجا: **الكون والأرض**، ص154.

(3) الفرَّاء أبو زكريا يحي بن زيَّاد: **معاني القرآن**؛ عالم المعرفة، بيروت، لبنان؛ ط2: 1980م؛ ج3/ ص175.

(4) الألوسي: **روح المعاني**، ج29/ ص30.

(5) ابن منظور: **نثار الأزهار**، ص13 ـ 14.

(6) غربال محمَّد شفيق: **الموسوعة العربيَّة الميسَّرة**؛ مؤسَّسة فرانكلين ـ دار الشعب، أمريكا ـ مصر؛ مصوَّر عن طبعة: 1965م؛ القسم الثاني/ ص928.

ويعلِّل بعض علماء الفلك والطبِّ العرب، خلق الظلمة قبل النور، والليل قبل الظلام بأنَّ «الفاعلَ الحكيمَ شأنه أن يدرج مفعولاته من النقصان إلى الكمال»(1).

ويرى كثير من المفسّرين(2) أنَّ سلطان الليل هو القمر، وسلطان النهار هو الشمس، وكأنَّ ملازمة القمر لليل، وملازمة الشمس للنهار، مع تقابلهما بالليل والنهار في الآيات القرآنية، دعا هؤلاء إلى الربط بينهما، والنتيجة المنطقية ما قاله أحمد بن منير الأسكندري: «يؤخذ من الآية أنَّ النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف للفقهاء، وبيانه من الآية أنّه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل، وذلك يستدعي تقدُّم القمر وتبعية الشمس»(3).

حتَّى إنَّ هذا الخلط نفى الرأي الأصوب وهو اجتماعهما، إذ الأقسام المحتملة ـ في رأي من ذهب إلى هذا المعنى ـ ثلاثة:

أ) إمّا تبعية النهار لليل وهو مذهب الفقهاء.

ب) أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من النحاة.

ج) أو اجتماعهما، وهذا القسم منفيٌّ باتِّفاق.

ونتيجة هذا الاختلاف بعد الجمع بين الآراء، وبالنظر إلى ما توصَّل إليه العلم هي:

1 ـ أنَّه ينبغي أن لا نقابل الشمس بالقمر، مقابلتنا للنهار بالليل، فالليل والنهار كلاهما أثر من آثار الشمس، والقرآن نفسه صريح في هذا المعنى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (سورة الفرقان: 45).

2 ـ وكذلك لا مجال للخلط بين الظلمة التي كانت أوَّل الخلق، والنور

---

(1) ابن منظور: ن، م، ص14.

(2) وانظر مثلاً: الرازي: **التفسير الكبير**، ج26/ ص73. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج15/ ص32.

(3) الزمخشري: **الكشّاف**، حاشية أحمد بن المنير المسمَّاة بالانتصاف، ج4/ ص 13.

الذي أعقبها، وبين مفهوم الليل والنهار الأرضيين، الذين لم يوجدا قبل تمام هذا الخلق.

3 ـ أنَّ الليل والنهار مجتمعان في آن واحد، ولا يمكن أن يتصوَّر تقدُّم أحدهما على الآخر، و«إنـّا لا نعرف الليل إلاَّ وقبله نهار، ولا النهار إلاَّ وقبله ليل»(1).

والآيات الكريمة التي استشهدنا بها في هذا السياق تدلُّ على مدى الدقَّة في القرآن الكريم، وأنَّ فهمه يحتاج إلى تركيز وجهد كبير، وأنَّ مثل هذه الآيات ما كان يمكن أن تفسَّر ـ هذا التفسير ـ في عصرها وزمانها، وأنـّه ستأتي في أزمنة لاحقة، مفاهيم جديدة، تتعمَّق أكثر في مدلولاتها، وقد يبدو حينئذ تفسيرُنا هذا ساذجاً لا ينظر إليه.

والخلاصة من هذا الاختلاف في الآراء، أنَّ النصّ القرآني لم يأته ولن يأتيه يوم يظهر فيه تناقض أو مخالفة للعلم الحق، وإنَّما الاختلاف في فهم الناس له حسب أزمنتهم ومعارفهم، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: 82).

أمَّا نحن فنكتفي بهذه النتائج، ونشرع في عرض مقادير الليل والنهار، دون أن نفصل بينهما، متَّبعين في ذلك المنهج القرآني، والوضع الكونيّ، الذين يربطان الليل بالنهار دوما، حتَّى نكون قد استفدنا من النتائج التي توصَّلنا إليها، استفادة في الموضوع، واستفادة في المنهج:

مقادير الليل والنهار:

1) الليل والنهار لغة:

للفظتي الليل والنهار عدَّة معانٍ لغوية، تصبُّ كلُّها في كون الليل للظلام، والنهار للضياء.

وذكر في نثار الأزهار أنَّ الليل سمِّي ليلاً، لأنَّه يلالىء بالأشخاص حتَّى يتشكَّك الناظر في الشيء، فيقول: هو هو، ثمَّ يقول: لا، لا. وأمَّا النهار

(1) ابن منظور: نثار الأزهار، ص11 ـ 12.

فسمِّي نهاراً لظهور ضوء الفجر يجري كالنهر من المشرق إلى المغرب، حتَّى يأتي على الظلام.

فالنهار لا يجمع كما لا يجمع السراب والعذاب، إلاَّ ما شذَّ[1].

ولذلك نجد لفظ الليل مجموعا في القرآن، أمَّا لفظ النهار فلم يرد إلاَّ مفرداً.

وإذا أريد الجمع قوبلت الليالي - وهي جمع الليل - بالأيام - وهي جمع اليوم - ،لذي يرادف النهار ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (سورة الحاقة: 7).

2) حدُّ الليل وحدُّ النهار:

روى البخاري ومسلم وأبو دادو والترمذي عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«إذا أقبلَ الليلُ من هاهُنا، وأدبرَ النهارُ من هاهُنا، وغرَبت الشمس فقد أفطر الصائم»**[2].

إنَّ القارىء لهذا الحديث ليجد ضرورة ملحَّة لمعرفة: متى يقبل الليل، ومتى يدبر النهار؟

وقد اختلف في ضبط هذا الحدِّ، فتميَّزت آراء عدَّة، منها:

أ) أنَّ ظاهر اللغة حساب النهار من طلوع الشمس إلى غروبها، والليل من غروب الشمس إلى طلوعها.

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج5/ ص423؛ ج6/ ص728.

(2) البخاري، كتاب الصوم، حديث رقم 1818 و 1841؛ ومسلم، كتاب الصيام، دون ترقيم؛ والترمذي، كتاب الصوم، رقم 634؛ وأبو داود، كتاب الجهاد، رقم 2236؛ وأحمد، مسند الشعرة، رقم 187و225 و320؛ والدارمي، كتاب الصوم، رقم 1638. العالمية: **موسوعة الحديث الشريف**، مادَّة البحث: «أقبل الليل».

اطفيَّش امحمَّد بن يوسف: **جامع الشمل من حديث خاتم الرسل**؛ خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: محمَّد عبد القادر أحمد عطا؛ نشر عبَّاس أحمد الباز، المروة، مكَّة المكرَّمة، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ط1: 1407هـ/ 1987م؛ ج2/ ص248، حديث 3012.

ب) أمّا الآية القرآنية من سورة البقرة: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ (. .) وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ (الآية: 187)، فإنَّها تدلُّ على أنَّ حدَّ النهار من الفجر إلى غروب الشمس، وذلك أنَّ "حتَّى" هنا تفيد الغاية[1].

وهذا الرأي هو رأي الفقهاء، و«به العمل في الصوم، والصلاة، والأيمان، وغير ذلك من جميع ما يناط به حكم شرعي»[2].

وقد فصَّلت القولَ فيه مصادرُ الحديث[3] والفقه[4]، وتفاسير آيات الأحكام، وناقشت الفرق بين الفجر الكاذب والفجر الصادق، وذلك لكثرة الروايات عن النبي ﷺ في هذا الموضوع[5].

فبالإضافة إلى هذا الأثر الفقهي لمعرفة حدِّ الليل وحدِّ النهار، هناك الأثر العملي الذي يضبط البرنامج اليومي للناس، ويحدِّد أوقات العمل، وأوقات الراحة، ذلك أنَّ الله تعالى ربط بين الليل والسكون، وبين النهار وابتغاء الفضل في آيات منها قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ﴾ (سورة النمل: 86)، ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة القصص: 73).

---

(1) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج2/ ص318.

(2) ابن منظور: **نثار الأزهار**، ص70.

(3) وانظر مثلاً: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**؛ ترقيم: محمَّد فؤاد عبد الباقي، ومراجعة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ ج4/ ص129–131، باب (15) قول الله جلَّ ذكره: ﴿**أحلَّ لكم ليلة الصيام...**﴾.

(4) وانظر مثلاً: السالمي عبد الله بن حميد بن سلوم: **معارج الآمال على مدارج الكمال**؛ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان؛ ط: 1404هـ/ 1984م؛ ج17/ ص56 ـ 16.

(5) ابن العربي أبو بكر محمَّد بن عبد الله: **أحكام القرآن**؛ تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي؛ دار المعرفة، بيروت، لبنان؛ ط: 1394هـ/ 1974م؛ ج1/ ص92 ـ 93.

ومعلوم أنَّ الذي يبدأ نهاره من شروق الشمس، لا يرقى إلى الذي يبدؤه من طلوع الفجر، ولا شكَّ أنَّ هذا المبحث: أي البرمجة اليومية، هي من أمتع الدراسات وأكثرها ضرورة لتأسيس الفكر الإسلامي على قواعد علميَّة وعملية مدروسة.

3) الليل والنهار آيتان من آيات الله تعالى:

وصفت الآيات القرآنية الليل والنهار بأنهما آيتان من آيات الله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ (سورة الإسراء: 12).

والآية لغة: العلامة الظاهرة، كما قال الجمهور[1].

وما أجلَّ التقاءَ الآيتين في الدلالة على عظمة الخالق جلَّ قدره: آية القرآن، وآية الكون.

والمتتبِّع للآيات القرآنية يستنتج أنَّ هذه العلامات تبدو فيما يلي:

أ) في اختلافهما: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (سورة البقرة: 164).

ب) في تسخيرهما: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ (سورة إبراهيم: 33).

وهذا التسخير الذي هو نعمة جلَّى لا يعرف قدرها إلاَّ من يتدبَّر حقيقتها، ولذلك قال بعد هذه الآية: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (الآية: 34).

ج) **في تعاقبهما مكاناً وزماناً:** إذ لو شاء لجعل الليل سرمدا إلى يوم القيامة، ولو شاء لجعل النهار سرمدا إلى يوم القيامة، أو إن شاء لجعل الليل في ظهر الأرض سرمدا، والنهار في وجهها سرمدا إلى يوم يبعثون، إذن لَما أمكنت الحياة في وجه هذه الأرض ولا على ظهر تلك الأرض.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم

(1) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج1/ ص286 ـ 287.

بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ * قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ (القصص: 71 ـ 72).

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ ﴾ (سورة الروم: 23).

وقد أثبت العلم الحديث أنَّ الكرة الأرضية بفضل دورانها حول محورها مرَّة في كلِّ 24 ساعة، أو بمعدَّل 1000 ميل في الساعة، كان الليل والنهار أنسب لحياة الناس من أيِّ احتمال آخر.

فلو أنَّنا افترضنا دورانها بمعدَّل مائة ميل في الساعة «ولِمَ لا؟ عندئذ يكون نهارنا وليلنا أطول مِمَّا هو الآن عشر مرَّات، وفي هذه الحالة قد تحرق شمس الصيف الحارَّة نباتاتنا في كلِّ نهار، وفي الليل قد يتجمَّد كلُّ نبت في الأرض»[1]. هذا إذا بقي الإنسان حيًّا واستطاع أن يعيش هذه الظروف، وما نظنُّه يستطيع.

وكنتيجة لكلِّ ما تقدَّم وجب على الإنسان أن يسجد لخالق الليل والنهار، ويعبد مبدع الشمس والقمر، لا أن يسجد للمخلوق الضعيف ويجحد الخالق الوهاب ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (سورة فصلت: 37).

وقد دلَّت قصَّة خليل الله إبراهيم[2] عليه السلام على الطريق الفطري الذي يوصل إلى اليقين لا محالة، وهو أن يُعرف الخالِق من خلال خلقه، ولا ريبَ، فإنَّ الله يقول في هذا المعنى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

---

(1) كريسي موريسون: العلم يدعو إلى الإيمان (Man does not stand alone) ترجمة: محمود صالح الفلكي؛ مكتبة النهضة المصرية، مصر؛ ط2: 1955م؛ ص49 ـ 58، الفصل الأوَّل: عالَمنا الفذّ.

(2) وانظر تفاصيل القصَّة في: الجعبيري فرحات بن علي: وإبراهيم الذي وفَّى؛ د.م.ط؛ د.ت؛ كلّه.

﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (سورة الأنعام الآية: 75)، إلى أن يعلنها إبراهيم رسالة إيمانية لكلِّ الأزمان: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الآية: 79).

ولعظمة آيتي الليل والنهار أقسم الله بهما عدَّة مرَّات، وسمَّى سورة من سور القرآن بسورة الليل: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ (الآيتان: 1 ـ 2).

وسنكتفي في هذا المبحث بما ذكرنا عن الليل والنهار، ونحاول أن نلج في الأجزاء الأخرى المكوِّنة لليوم، وأولها: الفجر.

المبحث الثالث

الأجزاء الأخرى لليوم

من الأجزاء الأخرى لليوم، نذكر ما يلي:

1) الفجر:

للفجر في النصّ القرآني مكانة خاصّة، إذ ورد ذكره ستّ مرّات، وسميت به سورة جليلة، وأقسم الله تعالى به في مقدّمة هذه السورة.

وقد جاء اللفظ معرّفا في كلّ الآيات: "الفجر"، وارتبط في جميعها بأحكام شرعية، تشريفا لهذا الزمن، واعتبارا لقدر ما ينجز فيه من أعمال وطاعات وعبادات.

ففي آية سورة البقرة يقول تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ (الآية: 187)، ارتبط بحكم الصيام.

وفي آية سورة الإسراء ارتبط بتلاوة القرآن وبالصلاة[1] في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الآية: 78).

وفي سورة النور اشتمل موضوع الآية على استئذان الأقارب، وأوقاته[2] في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ

(1) شبر: تفسير القرآن؛ ص286.

(2) ابن العربي: أحكام القرآن، ج3/ ص1396-1401

مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ (الآية: 58).

أمَّا في آية سورة الفجر، فقد أقسم الله تعالى به وبالليالي العشر، التي قيل عنها إنَّها العشرة الأوائل من ذي الحجَّة، والفجر هو صبيحة يوم النحر: ﴿وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الآيتان: 1 ـ 2).

وفي سورة القدر ذُكر الفجر كحدٍّ لانتهاء ليلة القدر العظيمة، التي تفضل ألف شهر: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ (الآية: 5).

ومن المعاني التي يمكن حصرها ـ بعد المقارنة بين التفاسير ومصادر اللغة ـ للفظ الفجر:

أ) حمرة الشمس في سواد الليل، أو انفجار الظلمة عن النهار في كلِّ يومٍ[1]، وهذا هو المعنى العام. وهو مأخوذ من «انفجار الماء، لأنَّه [الفجر] ينفجر كالماء شيئاً بعد شيء»[2].

ب) في آية سورة الفجر أراد به النهار كلَّه: ﴿وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، ذلك لإنه قابله بالليل.

ج) وقد يكون عنى به صبيحة يوم النحر، ذلك أنَّ منه تنفجر السنة.

د) وهو صلاة الصبح كما في آية سورة الإسراء، والتقدير «وأقم قرآن الفجر»[3].

والواضح أنَّ هذه المعاني وغيرها، لم تخرج عن المدلول اللغوي العامِّ، فالفجر «هو انشقاق الظلام عن نور الصباح، وكأنَّ الليلَ رداء أسود غطَّى الكون

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج4/ ص1053. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج20/ ص38.

(2) ابن منظور: **نثار الأزهار**، ص68.

(3) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج15/ ص183.

كلّه، فينشقُّ عن الفجر، والفجر كأنّه مادّة سائلة، والنور أشعّة تسير مع الكون تخرق الآفاق كلّها. والفجر ما هو إلاّ أول شعاع من الشمس يصل إلينا»[1].

وشهود الملائكة لهذا الوقت تنبيه للمسلمين إلى أهمية وقيمته عند الله تعالى.

2) البكـرة:

الصيغتان اللتان جاء بهما هذا اللفظ هما: بكرة أي غدوة؛ والإبكار أي الدخول في وقت البكر[2].

«والبكرة وقت من أوقات النهار، وهو أوّله، ومنه باكورة الفاكهة»[3] أوّلها.

وقد تكرّر اللفظ بصيغتيه تسع مرّات في القرآن الكريم، ففي أربع منها قوبل بالأصيل: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، وفي الأربعة الأخرى قوبل بالعشيِّ: ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

وأغلب الآيات تنبِّه إلى أنَّ هذا الوقت هو وقت التسبيح وذكرِ اسم الله تعالى، وذهب المفسِّرون إلى أنَّ المراد بالذكر والتسبيح في البكور هو صلاةُ الفجر، كما أنَّ ذكرَ العشيّ والأصيل يقصد به صلاة العصر[4].

قال تعالى عن نبيئه يحي عليه السلام: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (سورة مريم: 11)، وقال تعالى: ﴿سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (سورة الأحزاب: 43).

وإذا كان لفظ الفجر قد خصَّ بزمن الدنيا فقط، فإنَّ لفظ البكرة شمل أيضاً زمن الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (سورة مريم: 62).

---

(1) بيوض: في رحاب القرآن: تفسير سورة الإسراء، ج1/ ص85.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج1/ ص348.

(3) ابن العربي: أحكام القرآن؛ ج4/ ص1899.

(4) الرازي: التفسير الكبير، ج21/ ص190. وابن العربي: ن، م، ج4/ ص1899. الزمخشري: الكشّاف، ج4/ ص136، 539.

واستشكل: هل في الجنَّة بكرة وعشيٌّ كما في الدنيا؟

غير أنَّ التحقيق هو ما ذكره جملة المفسِّرين أنَّه: «ليس في الجنَّة ليل، هم [أي أهل الجنَّة] في نور أبداً»(1).

وقد أوَّله الرازي أحسن تأويل، وقال: «المراد [بالآية] دوام الرزق، كما تقول: أنا عند فلانٍ صباحاً ومساء، وبكرةً وعشيًّا، تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين»(2). وهكذا أضيف معنى جديد لهذا اللفظ.

وقد رويت أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ فيها لفظ البكرة والبكور، منها قوله عليه السلام: «**اللهم بارك لأمَّتي في بكورها**»(3).

ولقد ارتبط لفظ البكرة بموضوع العذاب وإهلاك الأمم مرَّة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في آية سورة القمر: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ (الآية: 38) في معرض الحديث عن قوم لوط، والمراد: «ولقد نزل بهم

---

(1) ابن كثير: تفسير، ج4/ ص199. القشيري: **لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن**؛ قدَّم له وحقَّقه وعلَّق عليه: الدكتور إبراهيم بسيوني؛ ط3: 1981م؛ ج2/ ص435.

(2) **التفسير الكبير**، ج21/ ص237.

(3) رواه غير واحد منهم الترمذي في سننه، في كتاب البيوع، حديث 1133، قال: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ حَدِيدٍ عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا** قَالَ وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِراً وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ» قالَ: «وَفِي الْبَاب عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَبُرَيْدَةَ وَأَنَسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ»، قَالَ أَبُو عِيسَى: «حَدِيثُ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ حَدِيثٌ حَسَنٌ وَلاَ نَعْرِفُ لِصَخْرٍ الْغَامِدِيِّ عَنِ صلى الله عليه وسلم غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ رَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ هَذَا الْحَدِيثَ».

ورواه أبو داود، كتاب الجهاد، رقم 2239؛ وابن ماجه، كتاب التجارات، رقم2227؛ وأحمد، في مسند العشرة، رقم 1251 . . . وغيرهم؛ وقد روي هذا الحديث بألفاظ متقاربة في الكتب التسعة وحدها 21 مرَّة.

العالمية: **موسوعة الحديث**، مادَّة البحث: «بكور».

العذاب وقت البكور، وما زال ملحاً عليهم حتّى أخمدهم، وبلغ غايته في دمارهم وهلاكهم»[1].

3) الإشـراق:

يقال: أشرقت الشمس إذا طلعت، والإشراق حين تشرق الشمس ويعلو ضوؤها، ويصفو شعاعها، وهو وقت الضحى[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (سورة ص: 18).

والمراد بـ"يسبِّحن" مطلق التسبيح، أو هو صلاة الضحى كما في أصحّ الأقوال[3]، وقد قوبلت هنا بصلاة العصر، كما في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ﴾ (سورة النور: 36).

وقد روي أنَّ ابن عـبَّاس رضي الله عنه كان لا يصلِّي الضحى فأدخل على أمِّ هانىء رضي الله عنه فقيل لها: أخبري هذا ما أخبرتني؛ فقالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثمَّ أمر بماء صبَّ في قصعة، ثمَّ أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل، ثمَّ رشّ ناحية البيت فصلّى ثماني ركعات، وذلك من الضحى: قيامهنّ وركوعهنَّ وسجودُهنّ وجلوسُهنّ سواء قريب بعضهن من بعض، فخرج ابن عـبَّاس رضي الله عنه وهو يقول: لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى إلاّ الآن[4]، وفي رواية «**ما عرفتُ صلاةَ الإشراق إلاّ بهذه الآية**».

---

(1) المراغي: تفسير، ج9/ ص94.

(2) أبو السعود: تفسير، ج4/ ص219.

(3) ابن العربي: أحكام القرآن، ج4/ ص1624.

(4) ابن كثير: تفسير، ج6/ ص32. والحديث رواه سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيّوب بن صفوان عن مولاه عبد الله بن الحارث بن نوفل.
غير أنّي لم أجد لفظ: صلاة الإشراق في الكتب التسعة كلّها، مع كثرة الأحاديث المروية عن أم هانىء رَضِيَ اللهُ عَنها في صلاة الضحى.

4) الصبح، والإصباح:

الصبح لغة[1] أوَّل النهار، والصبح الفجر، وهو نقيض المساء، والصبح اسم من الإصباح[2].

وأصبح يصبح إذا دخل في الصباح، كما يقال لمن دخل في المساء: أمسى يمسي.

وقد يرد أصبح بمعنى صار، وهو كثير الاستعمال.

وقد جاء ذكره في القرآن بأغلب الصيغ والأزمنة: فبصيغة الفعل مثل: صبَّح، وأصبح، ويصبح؛ واسماً مثل: الصبح، والإصباح، وصباح، ومصبحين.

ومجمل المعاني التي تندرج تحت هذه الصيغ الواردة في القرآن هي:

أ) صار: في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ (سورة القصص: 10).

فأصبح ـ هنا ـ استعمل بمعنى صار، «فاقتضى تحوُّلا من حالة إلى حالة أخرى»[3].

ومثل ذلك قوله تعالى عن أنصار عيسى عليه السلام: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة الصف: 14). وقد رويَ عن مجاهدٍ أنَّهم «أُيِّدوا في زمانهم على من كفر بعيسى»[4]، ولا يعني هذا أنـَّهم أصبحوا بين عشية وضحاها ظاهرين على أعدائهم، لأنَّ ذلك منافٍ تماماً للسنن الكونية والاجتماعية.

فأصبحوا ـ هنا ـ بمعنى صاروا، وانقلبوا من حال لأخرى: من حال الضعف إلى حال الظهور.

ولكن هل **أصبح** يعني انقلب من حال كالليل سواداً، إلى حال كالنهار

(1) وانظر قواميس اللغة، مثل: ابن منظور: **لسان العرب**، ج3/ ص401.

(2) الرازي: **مختار الصحاح**، ص354.

(3) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج20/ ص80.

(4) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج18/ ص91.

بياضاً؟ أم أنَّ انقلاب الحال من أحسن إلى أسوأ قد يعبَّر عنه كذلك **بأصبح**؟.

يبدو أنَّ أغلب الآيات قصدت **بـأصبح** المعنى الثاني، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (سورة فصلت: 23).

فلا تقابُل إذاً بين الليل وفسادِ الحال، ولا بين النهار وصلاحه.

ب) دخل في الصبح: ففي سورة القلم يقصُّ الله تبارك وتعالى عن أصحاب الجنَّة أنَّهم ﴿. . . أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ (الآيتان: 17 ـ 18)، فمصبحين تعني: «داخلين في الصبح»[1].

والمفاجأة التي قطعت تدبيرهم بالليل هي إرسال الله تعالى للجنَّة طائفاً من عنده ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ (الآية: 20)، أي دخل عليها الصبح وهي كالليل سواداً، أو كالزرع إذا حُصدَ فكان هشيماً يبَساً[2].

جـ) الفجر: في مثل قوله تعالى عن قوم لوط وامرأته: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (سورة هود: 81)، ففي «مطلع الفجر»[3] يحيق بهم العذاب، فيفعل الله بالقوم ـ لقوَّته تعالى ـ ما لم تكن قوَّة لوطٍ فاعلة.

د) الضوء: فالإصباح في هذا المعنى يقصد به الضوء، مقابلة بالليل الذي يعني الظلمة، فالله سبحانه وتعالى ـ وحده ـ هو: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ (سورة الإنعام: 96).

أو هو إضاءة الشمس فقط دون ضوء القمر، أو هو نور النهار[4].

هـ) ما يقع في الصباح عادة: في مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ (سورة الصافات: 177).

ذلك أنَّ العربَ درجوا على تسمية الغارة "صباحا"، لأنَّها في الغالب

---

(1) الألوسي: **روح المعاني**، ج29/ ص30.

(2) ابن كثير: **تفسير**، ج7/ ص49.

(3) سيِّد قطب: **في ظلال القرآن**، ج4/ ص1915.

(4) الطبري: **تفسير**، ج11/ ص555. رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج7/ ص633.

الأعمّ تقع فيه: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ (سورة العاديات: 3)، وهنا من قبيل المجاز المرسَل «أطلِق فيه الزمان، وأريد ما وقع فيه»[1].

5) الضحى:

ذُكر في القرآن الكريم سبعَ مرّات، مرّة واحدة منها بصيغة الفعل: ﴿تَضْحَىٰ﴾.

ومن المعاني التي أفادها هذا اللفظ:

أ) **الضوء والإشراق**: فقد أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ (سورة الشمس: 1)، وإنّما «أضاف الضحى إلى الشمس، لأنه إنّما يكون بارتفاع الشمس»[2] في الأفق، والهاء تعود إليها، «فهي والألف جرٌّ بالإضافة»[3].

ب) **النهار كلُّه**: فمن المفسّرين من ذهب إلى أنّ الضحى هو النهار كلُّه، ودليله على ذلك «دوام نور الشمس»[4].

جـ) **وجه النهار وصدره**: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (سورة الضحى: 1 ـ 2)، فالضحى هو حين ترتفع الشمس، وتلقي أشعّتها على هذا الكون»[5]. ومنه: صلاة الضحى.

وقد قدِّر وقت الضحى في مصطلح الفقهاء بـ«ارتفاع الشمس مقدار رمحٍ، إلى أن يبقى لاستوائها في كبد السماء مقدار رمح، ويقدَّر ذلك بنحو عشرين دقيقة»[6].

---

(1) الرازي: **التفسير الكبير**، ج25/ ص173. الألوسي: **روح المعاني**، ج23/ ص157.
(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج20/ ص72-73.
(3) ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمَّد إبراهيم سليم؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ ط: 1992م؛ ص114.
(4) الطبري: ن، م، ج20/ ص73.
(5) المراغي: تفسير، مج10/ ج30/ ص183.
(6) قلعه جي محمَّد رواس (الدكتور) وقنيبي حامد صادق (الدكتور): **معجم لغة الفقهاء**: =

ففي سورة الضحى أقسم الله تعالى بالضحى، وذلك لـ «يربطَ بين ظواهر الكون ومشاعر النفس، ويوحي إلى القلب البشريِّ بالحياة الشاعرة المتجاوبة مع هذا الوجود الجميل الحيِّ، المتعاطف مع كلِّ حيٍّ»[1]. ويلاحَظ أنَّ هذا اللفظ ـ أي الضحى ـ هو الذي صاغ الإيقاع الموسيقيَّ لأكثر من نصف السورة، ليضفي عليها «جوًّا من الحنان اللطيف، والرحمة الوديعة، والرضاء الشامل، والشجى الشفيف. . .» فالضحى والليل الساجي هما «أصفى آنيـن من آونة الليل والنهار، وأشفّ آنين تسري فيهما التأمُّلات»[2].

6) دلوك الشمس:

خلافاً لِما مرَّ من الألفاظ الدالَّة على الزمن دلالة مفردة، فإنَّ دلوك الشمس يدلُّ على الزمن بالإضافة.

فالدلوك وحده لا يعني الزمن، والشمس لمفردها لا تفيد معنى الزمن.

وقد وردت العبارة مرَّة واحدة في القرآن الكريم، وذلك قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (سورة الإسراء: 78).

وفي معنى "دلوك الشمس" قولان[3]:

أ) زوالها عن كبد السماء، وهو قول أكثر المفسِّرين.

ب) غروب الشمس.

ففي المعنى الأوَّل تشمل الآية الصلوات كلّها: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وذلك ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل؛ وتشمل صلاةَ الفجر، وذلك معنى: قرآن الفجر[4].

= عربي إنكليزي؛ دار النفائس، بيروت، لبنان؛ ط2: 1408هـ/ 1985م؛ ص282.

(1) سيِّد قطب: **في ظلال القرآن**، ج6/ ص3926.

(2) سيِّد قطب: **التصوير الفني**، ص105

(3) ابن العربي: **أحكام القرآن**، ج3/ ص1219.

(4) بيوض: **في رحاب القرآن: تفسير سورة الإسراء**، ج3/ ص79.

وفي المعنى الثاني ذكر ثلاث صلوات فقط: المغرب، والعشاء، والفجر.

7) العصـــر:

سمَّى الله تعالى سورة من السور القصار، وهي سورة «وجيزة بليغة»[1] بسورة العصر.

وفي مطلع السورة أقسم الله تعالى بهذا المقدار الزمني: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ (الآيتان: 1 ـ 2).

وقد اختلف المفسِّرون في تفسير معنى العصر، تبعاً لتعدُّد معانيه في اللغة، وفيه ثلاثة أقوال:

أ) إنَّه الوقت من بلوغ ظلِّ كلِّ شيءٍ مثله، أو مثليه ـ على الخلاف ـ، بعد الزوال إلى غروب الشمس، أي هو وقت العشيِّ، وآخر ساعاتِ النهار[2].

ب) هي صلاة العصر، ومعلوم أنَّ هذه الصلاة تكون في وقت العصر المذكور آنفاً، و«كذا في القرآن كلِّه، اللفظ ذكر الوقت، والمراد ذكر ما فيه»[3].

وبهذا المعنى عنون مسلم باباً في صحيحه بـ: «بَاب الدَّلِيلِ لِمَنْ قَالَ الصَّلاةُ الْوُسْطَى هِيَ صَلاةُ الْعَصْر»، وضمن الأحاديث التي أورها ضمنه، حديث علي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأحْزَاب: «**شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاةِ الْوُسْطَى صَلاةِ الْعَصْرِ مَلأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا ثُمَّ صَلاَّهَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ**»[4]

---

(1) هكذا وصفها عمرو بن العاص ـ قبل أن يسلم ـ المسيلمة الكذَّاب، ابن كثير: تفسير، ج7/ ص202.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج20/ ص179.

(3) اطفيش: **تيسير التفسير** (ط. الجزائر)، تحقيق: إبراهيم طلاي؛ تحت الطبع، الجزائر؛ 1417هـ/ 1996م؛ ج1/ ص66.

(4) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم 996، وسنده: «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ قَالُوا حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ عَنْ شُتَيْرِ بْنِ شَكَلٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ...».

وانظر العالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «الصلاة الوسطى».

ج) الدهر، والزمان: فيقال عصر فلانٍ، أو عصر أمَّة، قال ابن عبَّاس[1]: «ولعلَّ هذا المعنى هو الأشمل والأرجح»، خاصـَّة إذا نظرنا إلى المعنى العامِّ للسورة، فهي تعالج أسباب صلاح أي عصر دون استثناء، غير أنَّ رجحان هذا المعنى لا يلغي المعاني الأخرى، فيمكن الجمع بينها.

8) العشيُّ، والعشاء:

قوبل لفظ العشيِّ في القرآن الكريم بـ "الإبكار" أربع مرَّات، كما قوبل بلفظ "الغداة" ثلاث مرَّات، وقوبل مرَّة بـ"الإشراق"، وأخرى بـ "الضحى".

ومعظم ما جاء من ذكر العشيِّ جاء معه الأمر بالتسبيح: ﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ (سورة آل عمران: 41)، ومرتبطاً بالاستغفار للذنب: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ (سورة غافر: 55)، ومقروناً بغير ذلك من أنواع الذكر.

وقد أفادتنا آية سورة ص أنَّ الجبال ـ كذلك ـ تسبِّح مع داود عليه السلام في هذا الوقت: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ (الآية: 18).

والعشيّ ـ كما هو معروف لغة ـ: مقدار من الزمن من «الزوال إلى الغروب، وقيل: هو المغرب إلى ذهاب صدر من الليل» وقيل: «من زوال الشمس إلى الصباح»[2].

وقد ذكر صاحب اللسان أنَّ العشيَّ هو العشاء كذلك[3].

والمتعارف في المصطلح الشرعيِّ هو التفريق بينهما: فالعشيِّ زمن يجيء قبل العشاء.

والعشيّ من الزوال إلى الغروب أو إلى العشاء. أمـَّا العشاء فوقته من غياب الشفق الأحمر إلى منتصف الليل، أو إلى طلوع الفجر، ويسمَّى كذلك بالعتمة[4].

---

(1) القرطبي: المصدر السابق، ج20/ ص178.
(2) رشيد رضا: تفسير المنار، ج3/ ص299.
(3) ابن منظور: لسان العرب، ج4/ ص788-789.
(4) قلعة جي وقنيبي: معجم لغة الفقهاء، ص312 ـ 313.

وقد خصَّ لفظ العشاء باسم صلاة من الصلوات الخمس، هي صلاة العِشاء: ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾ (سورة النور: 58).

ولم يرد هذا اللفظ إلاَّ مرَّتين، في الآية المذكورة وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾ (سورة يوسف: 16). ففي هذه الآية عنى الوقتَ، وأمَّا في الآية الأولى فذكر ما يقع في ذلك الوقت من عبادة.

9) الأصيـل:

يقول العلاَّمة ابن كثير في تفسيره: «إنَّ الله لم يفرض على عباده فريضة إلاَّ جعل لها حدًّا معلوماً، ثمَّ عذَر أهلها في حال العذر، غير الذكر فإنَّ الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه»[1]. ومن الأوقات التي جاء ذكرها مقترنا بالذكر في العديد من سور القرآن: الأصيل، والآصال.

ففي سورة الإنسان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ (الآية: 25). والأمر أعمُّ في سورة الأحزاب: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ (الآية: 42). وفي سجدة سورة الأعراف جاء الأمر مفيداً وجوب الذكر في جميع الحالات: خفية وجهرة، تضُّرعا وخيفة... فناسبَ أن يضافَ إليها التعدُّد في الأزمنة فاستعمل لفظي الغدوّ والأصيل بصيغة الجمع: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ (الآية: 205). بل حتَّى السموات والأرض وظلالها يسجدون لله طوعاً وكرهاً ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩﴾ (سورة الرعد: 15).

فالآصال لغة: جمع أصيل، وهو آخر النهار، والوقت بين العصر والمغرب[2]، وزمن جنوح الشمس حين تهم بالوجوب[3][4].

---

(1) ج5/ ص286.
(2) ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ ص68.
(3) والوجوب لغة: «من وجبت الشمس وجبا ووجوباً إذا غابت». ن، م، ج6/ ص878.
(4) ابن منظور: **نثار الأزهار**، ص108.

وقد ذُكر ـ كذلك ـ أنَّ الآصال يعني به صلاة العصر[1]؛ ويكون بالتالي لفظ "الأصيل" مرادفاً للفظي "العشيّ"[2] و "العصر"، في إحدى معانيه.

10) المغرب والغروب:

المغرب في الأصل موضع الغروب، ثمَّ استعمل في المصدر والزمان، فيقال: لقيته مغرب الشمس أي عند غروبها [3]، لكن قد يقصد بمغرب الشمس والمغربين والمغارب مكان وجهة غروب الشمس لا زمانه[4]، قال سيّدنا إبراهيم عليه السلام لعدوّ الله الذي ادَّعى الإحياء والإماتة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ (سورة البقرة: 258). وقال جلَّ من قائل: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ (سورة الرحمن: 17)، وقال ـ بصيغة الجمع ـ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ (سورة المعارج: 40).

وأمَّا عن زمن الغروب فقد جاء الأمر بالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (سورة طه: 130)، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (سورة ق: 39).

وفي الحديث المرفوع إلى الرسول ﷺ أنَّ فضالة بن وهب الليثي قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَانَ فِيمَا عَلَّمَنِي: «**وَحَافِظْ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ**»، قالَ: قُلْتُ إِنَّ هَذِهِ سَاعَاتٌ لِي فِيهَا أَشْغَالٌ فَمُرْنِي بِأَمْرٍ جَامِعٍ إِذَا أَنَا فَعَلْتُهُ أَجْزَأَ عَنِّي. فَقَال: «**حَافِظْ عَلَى الْعَصْرَيْنِ**»، وَمَا كَانَتْ مِنْ لُغَتِنَا، فَقُلْتُ: وَمَا الْعَصْرَانِ؟ فقَالَ: «**صَلاَةٌ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٌ قَبْلَ غُرُوبِهَا**»[5].

---

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج14/ ص198.

(2) ن، م، والجزء والصفحة.

(3) ابن منظور: لسان العرب؛ ج4/ ص966.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج27/ ص247.

(5) الحديث رواه أبو داود، في كتاب الصلاة، رقم 364 قال: «حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ أَخْبَرَنَا خَالِدٌ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي حَرْبِ بْنِ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضَالَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ. . .».

وفي رواية الإمام أحمد: «قلت: وما العصران؟ قال: صلاة الغداة وصلاة العصر». =

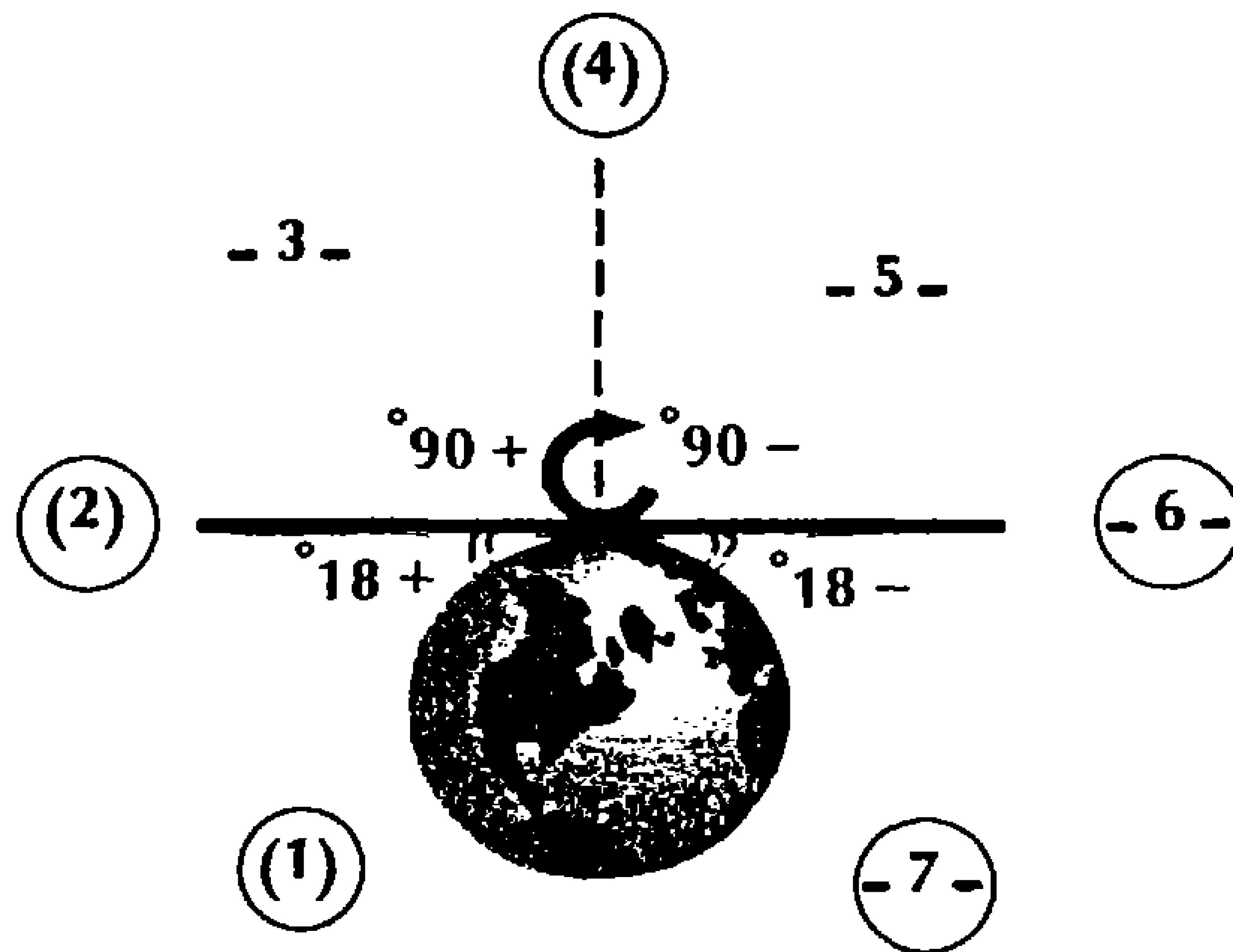
فإذا أريدَ بالتسبيح الصلاة، فالأمر هنا يتعلَّق بصلاتي الفجر والعصر كما يوضِّحه الحديث الشريف.

والرسم البياني[1] يوضِّح الأجزاء الأساسية لليوم في القرآن الكريم:

الرسم البياني

لأجزاء اليوم الأساسية في القرآن الكريم

(حسب موقع الشمس من الأرض)



1) الفجر 2) ـ الشروق 3) ـ الضحى 4) ـ الزوال 5) ـ العصر6) ـ الغروب 7) ـ العشاء

= مسند الكوفيين، رقم 18251. العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «العصران».

(1) علي حسن: التوقيت والتقويم، ص 174.

11) الشفـق:

ذكر مرّة واحدة في معرض قسَم الله تعالى بالزمن لعظمته عنده، فقال: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ* وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (سورة الانشقاق: 16 ـ 17).

والشفق لغة: بقية ضوء الشمس وحمرتها في أوّل الليل[1]، و«بسقوطه يخرج وقت المغرب، ويدخل وقت العتمة عند عامّة العلماء»[2].

وقد سمّي الشفق شفقا لرقّته، ومنه الشفقة على الإنسان: رقّة القلب عليه[3].

والشفق شفقان كما أنّ المغربَ مغربان: الشفق الأحمر الذي يناظر الفجر الصادق «يستمرُّ بعد هبوط الشمس تحت الأفق لمدّة تقارب من الساعة والربع ـ 72 دقيقة ـ»؛ وأمّا الشفق الأبيض فـ«يستمرُّ من نهاية الشفق الأحمر وحتى ما يعادل فترة الشفق الأحمر، ويناظر الفجر الأوّل أي الكاذب»[4].

12) الغسـق:

غسقُ الليلِ ظلمته، وغسقَ الليلُ انصبَّ وأظلم[5]، وقد أمرنا بإقامة الصلاة فيه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ (سورة الإسراء: 78)، وفيه يتحقّق وقت العشاء، وهذه الصلاة هي صلاة العِشاء[6] على الأشهر.

وأُمرنا ـ كذلك ـ بالاستعاذة من شرِّ الغاسق إذا وقَب، والوقوب: الدخول: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ* وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (سورة الفلق: 2 ـ 3)، والمناسبة بين الظلمة والشرِّ ظاهرة.

وقد روى الترمذي حديثاً عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أَنَّ

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج3/ ص336.
(2) الزمخشري: **الكشّاف**، ج4/ ص581.
(3) ن، م، والجزء والصفحة.
(4) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص173.
(5) ابن منظور: **لسان العرب**، ج4/ ص987. الجوهري إسماعيل بن حمّاد: **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**؛ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1404هـ/ 1984م؛ ج4/ ص1536.
(6) بيوض: **في رحاب القرآن** :تفسير سورة الإسراء، ج1/ ص79.

النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ»[1].

والتوفيق بين المعنيين ـ أي الظلمة والقمر ـ وارد، ذلك لأنَّ «القمر هو آية الليل وسلطانه فيه... ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب، وتخصيص النبي ﷺ له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره»[2].

13) السَّحـــر:

أثنى الله سبحانه وتعالى على ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (سورة آل عمران: 17)، وذكر من صفات المتَّقين الذين مآلهم وجزاؤهم الجنَّات والعيون أنَّهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (سورة الذاريات: 17 ـ 18)، فقرنَ السَّحر بالاستغفار وكأنَّه وقت المحاسبة، والإنابة إلى الله، والتذكُّر والتدبُّر.

وممَّا يرجِّح هذا المعنى أنَّ الله تعالى أنجى آل لوط في هذا الوقت، وأهلك قومه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (سورة القمر: 34).

والسحر: آخر الليل قبيل الصبح، وقيل: من ثلث الليل الآخر إلى طلوع الشمس، وفي أصل اللغة السحر: هو طرف كلِّ شيء[3].

هذه بعض أجزاء اليوم التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وهي كما يلاحظ متنوِّعة ومستغرقة لجميع الدورة اليومية، فلا يوجد وقت من ليل أو نهار لا تشغره هذه المقادير، غير أنَّنا لا ندَّعي استغراق جميع ما ورد من ألفاظ القرآن الكريم، فمثلاً جاء ذكر: طرفي النهار، وزلفا من الليل، وبعض اليوم، القيلولة... وغيرها مِمَّا يمكن حصره في جدول خاصٍّ.

---

(1) رواه الترمذي، في تفسير القرآن، رقم 3288، قال: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو الْعَقَدِيُّ عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنها...» قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(2) ابن قيم الجوزية: **التفسير القيِّم**؛ حقَّقه: محمَّد حامد الفقِّي؛ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ط: 1398هـ/ 1978م؛ ص558.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، ج3/ ص106 ـ 107.

خاتمة الفصل

من خلال هذا الفصل، توصَّلنا إلى تحديد عدَّة نتائج تسهم في تصوُّر المفهوم العامِّ للزمن في القرآن الكريم، منها:

1 ـ إنَّ حركة الشمس والقمر والأفلاك هي التي تتسبَّب في ظهور الأوقات، ومعرفة الأزمان، وهذا بصريح آيات القرآن، فالزمن إذن مرتبط ارتباطا وثيقا بالحركة.

2 ـ إنَّ لليوم ـ وهو من موادِّ الزمن الأساسية ـ في القرآن الكريم عدَّة معانٍ، يحدِّدها السياق؛ وغزارة هذه المعاني وتعدُّدها دليل على غزارة مادَّة الزمن في القرآن.

3 ـ التداخل: تتداخل معاني اليوم في القرآن الكريم تداخلا تقتضيه طبيعة الزمن في الكون نفسه، وأحيانا يصعب أن نجد حدًّا فاصلا بين اليوم كوحدة للزمن الدنيويِّ واليوم كوحدة للزمن الأخرويِّ، فهذان الزمنان قد تلاقيا في لفظ واحد هو: اليوم. وهذا مِمَّا يميِّز الزمن القرآني ويعطيه بعداً أوسع من بعد الزمن الكونيِّ المتناهي.

4 ـ إنَّ الآيات الدالَّة على الزمن وأبعاده في القرآن الكريم، دالَّة كذلك على عظمة خالق الزمن ومبدع أبعاده، فلا حاجز يفصل بين البعد الإيماني والبعد الفلكي، بل يكمِّل أحدهما الآخر، خلافا لِما يلاحظ في عصرنا ـ في مناهج الغرب والشرق على السواء ـ من انفصام عميق بين البعدين.

5 ـ مفاهيم فلكية: سبق القرآن الكريم العقلَ البشريَّ إلى مفاهيم علميَّة

عميقة حول أصل الزمن، وحول حركة الشمس والقمر، ومن هذه المفاهيم:

- إنَّ الأرض كروية الشكل.

- إنَّ الأرض تدور حول نفسها، كما تدور الأفلاك المحدِّدة لطبيعة الليل والنهار: الشمس والقمر: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

- إنَّ الليل والنهار يوجدان في آن واحد، فليس للشمس سلطان على النهار، ولا للقمر سلطان على الليل، كما كان المعتقد سائدا.

- إنَّ الليل والنهَّار خُلقا في آن واحد.

6 ـ مفاهيم إيمانية: بالإضافة إلى هذه المفاهيم الفلكية في موضوع الزمن، نجد مفاهيم إيمانية، منها أنَّ الليل والنهار ليسا مجرَّد ظاهرتين من ظواهر الكون والطبيعة، وإنَّما هما آيتان من آيات الله تعالى، ويتمثَّل ذلك في اختلافها، وتسخيرهما، وتعاقبهما مكانا وزمانا...

7 ـ وكنتيجة للمفهومين السابقين نستنتج ضرورة ترابط والتحام الدراسات الزمنية والفلكية بعلم العقيدة: فمن أبواب علم العقيدة مباحث الزمن والفلك، وكنتيجة للتعمُّق في علم الفلك والدراسات الزمنية نصل إلى تحديد البعد الإيماني لهذه العلوم. وهذا يقتضي ـ بالطبع ـ مراجعة المنظومة التربوية في معاهد الشريعة، وفي معاهد العلوم الطبيعـيَّة عموما.

8 ـ ترتبط أغلب الأزمنة الدالَّة على جزء من أجزاء اليوم بعبادات مخصوصة:

إمَّا بالمجاز المرسل، فيذكر اللفظ ويراد به ما يقع فيه، مثل: الضحى، والعصر....

أو بالاقتران بين الزمن وبين العبادة في الآيات الواردة فيها: مثل اقتران الأصيل بالذكر، والسحر بالاستغفار.

9 ـ أحياناً يستعمل اللفظ للدلالة على الزمن الدنيوي فقط: مثل الفجر، والعصر... وأحيانا يراد به كذلك الزمنَ الأخرويَّ مع كونه من أظهر أنواع الزمن الدنيويِّ، مثل: بكرةً، وعشياً... وهذا الاستعمال للدلالة على الدوام

وليس على حقيقة هذين الزمنين.

10 ـ أقسم الله تعالى بأجزاء اليوم مثل: الليل، والنهار، والفجر، والضحى، والعصر، والشفق... إلخ. وهذا مِمَّا يدلُّ على عظمة ومكانة الزمن عند الله تعالى. وهو ـ كذلك ـ مِمَّا يربط بين علم العقيدة والمفاهيم الزمنية بصلة وثيقة.

11 ـ سمَّى الله تعالى سوراً عديدة بأسماء لأجزاء من اليوم، مثل: الفجر، والليل، والضحى، والعصر... وهذا كذلك مِمَّا يدلُّ على قيمة الزمن في القرآن الكريم.

هذه بعض الخصائص والمفاهيم المستنتجة من هذا الفصل في موضوع الزمن، وهي تضاف إلى المفاهيم والخصائص العامَّة في الفصول الأخرى.

الفصل الرابع

التقويم: تضاعيف اليوم في القرآن الكريم

ما هي تضاعيف اليوم الأساسية في القرآن الكريم؟
وكيف عالج القرآن الكريم وحدات مثل: الأسبوع، والشهر، والفصل، والسنة. . .؟
وما هي المفاهيم والخصائص العامّة للزمن في القرآن الكريم، من خلال خصائص ومفاهيم هذه الوحدات؟
لعلَّ أولى تضاعيف اليوم هي: الأسبوع.

المبحث الأول
الأسبوع وأيامه

أوّلاً ـ الأسبـوع:

إذا كان اليوم هو «أقدم وحدة زمنية عرفها الإنسان»[1]، فإنَّ الأسبوع يُعتبر أقلَّ عمقاً في تاريخ الزمن؛ ذلك لأنَّ الأوَّل مرتبطٌ أساساً بالظواهر الطبيعية، ومسبِّباتُه ونتائجُه بادية للعيان: من شمس وقمر، ومن نور وظلام. . .، أمَّا الثاني ـ أي الأسبوع ـ «بأيامه السبعة، فلا يستند إلى أيَّة ظاهرة سماوية أو طبيعية، بل هو مفهوم وضعي»[2].

وبعيداً عن الاختلاف في أصل نشأة الأسبوع: هل هو دينيٌّ[3]، أم اقتصادي[4]، أم هو فلكيٌّ[5]، فإنَّنا نبحث عن مكانة الأسبوع بأيامه في النص القرآنيِّ الكريم.

---

(1) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص13 ـ 14.

(2) ن، م، والصفحة.

(3) يقول مورجان في دراسته: «بالنسبة للشعوب البدائية لم يكن هناك ما يدعو إلى وجود هذا الشيء المسمَّى بالأسبوع، ولسببين نشأت فكرة الإسبوع: ـ ضرورة اتخاذ يوم دينيٍّ للعبادة ـ ضرورة اتخاذ يوم للسوق» مورجان: **من المزولة الشمسية إلى الساعة الذرية**، ص 98. وانظر: معتوق فردريك (الدكتور): **تطوُّر علم الاجتماع من خلال تسعة مؤلَّفات أساسية**؛ دار الطليعة، بيروت، لبنان؛ ط: 1982م؛ ص63.

(4) حول ربط الزمن بالسوق، وبالضبط تحديد الأسبوع بالسوق في المجتمعات البدوية انظر: قباري، محمَّد إسماعيل: **إميل دوركايم: مؤسِّس علم الاجتماع المعاصر نظريّاً وتطبيقيّاً**؛ منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر؛ ط: 1976م؛ ص131.

(5) بورتر: **تاريخ الزمان**، ص13 ـ 14.

وأوّل سؤال بالطبع هو: هل ذكر الأسبوع في القرآن، أم لا؟

يقول تعالى[1]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ (سورة الأعراف: 54)، ويقول جلّ من قائلٍ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ* ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ* فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (سورة فصلت: 9 ـ 12).

وقد اختلف العلماء في تفسير الأيّام في هذه الآيات، فظهرت عدّة آراء:

1 ـ فمنهم مَن يقول: إنّها مثل الأيّام التي نعرف، أي هي نفس أيّام الدنيا السبعة، ومن هؤلاء نذكر: ابن كثير[2]، الزمخشري[3]، ومحي الدين بن العربي[4]... وعددها ستّة: وهي من الأحد إلى الجمعة، و«أمّا يوم السبت فلم يقع فيه خلق، لأنّه اليوم السابع، ومنه سمّي السبت وهو القطع»[5].

وذهب الرازي إلى معنى قريب من هذا، إذ المراد عنده «مقدارَ ستّة أيّام، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (سورة مريم: 62)، والمراد على مقدار البكرة والعشيّ في الدنيا، لأنّه لا ليل ثَمَّ ولا نهار»[6].

وأمّا الأحاديث التي رويت في أيّام الخلق، فقد تكلّم فيها المحدِّثون،

---

(1) وانظر تفسير الآيات التالية: سورة يونس: 3، سورة هود: 7، سورة الفرقان: 59، سورة السجدة: 4، سورة ق: 38، سورة الحديد: 4.

(2) تفسير، ج3/ ص111.

(3) الكشّاف، ج3/ ص127.

(4) رسائل ابن العربي، ص200، كتاب الأجل؛ وص6، كتاب الشأن.

(5) ابن كثير: ن، م، والصفحة.

(6) الرازي: التفسير الكبير، ج14/ ص100. وقد بسط الأدلّة الكلامية على هذا الرأي بسطا وافيا (ينظر للتوسّع).

ومنها الحديث الذي رواه مسلم[1]، تكلَّم فيه غير واحد من الحفَّاظ، وجعلوه من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، غير مرفوع إلى النبي ﷺ[2].

وقد اتَّبع بعض المحدَثين هذا الرأي، وحشروا له الأدلَّة، ومن هؤلاء صاحب كتاب "الكون والنسبية"، الذي دلَّل له بما يلي:

أ) لفظ ستَّة أيَّام واضح الدلالة، ولا توجد قرينة أو دلالة تفيد أنـَّها ليست من أيـَّام الدنيا.

ب) العدد ستَّة لا يعني العدد الكثير، كما هو الشأن للعدد سبعة وسبعين... مع الإشارة إلى أنَّ لفظ الستَّة لم يرِد في القرآن في غير آيات الخلق.

ثمَّ ينتهي إلى جماع رأيه في فلسفة الآيات الكونية في القرآن بقوله: «ولا يقبل أن يطابق القرآن مع النظريات العلمية، مهما بدت صحيحة، بل إذا طابقت هذه النظرياتُ الآياتِ كانت صحيحةً»[3].

ووفْق هذا الرأي يمكن أن نحكم أنَّ للأسبوع ـ أو للأيام السبعة ـ أساساً

---

(1) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في كتاب صفة خلق القيامة والجنَّة والنار، حديث 4997، وفيه يقول: «حَدَّثَنِي سُرَيْجُ بْنُ يُونُسَ وَهَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللهِ قَالاَ حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي إِسْمَعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ» قَالَ إِبْرَاهِيمُ حَدَّثَنَا الْبِسْطَامِيُّ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عِيسَى وَسَهْلُ بْنُ عَمَّارٍ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنُ بِنْتِ حَفْصٍ وَغَيْرُهُمْ عَنْ حَجَّاجٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ».

ورواه أحمد في باقي مسند المكثرين، رقم 7991.

العالمية: **موسوعة الحديث**، مادَّة البحث: «موضوع بدأ الخلق».

(2) ابن كثير: **تفسير**، ج3/ ص111.

(3) الأحمر: **الكون والنسبية**، ص70-71. وانظر: علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص165 ـ 166.

في القرآن الكريم، ولعلَّ هذا مِمَّا يفسِّر عدم اختلاف الناس في هذا العدد، مع اختلافهم في تقاويم أخرى مثل: الأشهر، والسنوات. . .

ونحن لا نميل إلى هذا الرأي، للأدلَّة القويَّة التي يستند إليها أصحاب الرأي الثاني، وهم القائلون بأنَّ الأيـَّام الستَّة غير أيامنا التي نعرفها، ومن هذه الأقوال نذكر:

2 ـ **الأيَّام ألف سنة**، وإلى هذا ذهب مجاهدٌ وأحمد بن حنبل، إذ ينقل الطبري عن مجاهد قوله: «ويوم من الأيـَّام الستَّة كألف سنة مِمَّا تعدُّون»[1]. فالأيام في هذه الآيات هي نفسها أيـَّام الله تعالى.

وقد تبنَّى جماعة من المحدَثين هذا التفسير، ومنهم: ابن عاشور[2]، وعماد الدين خليل[3]، الذي حسبَ الألف سنة التي هي من أيَّام الله بـ: 18250000 يوماً من أيامنا الأرضية.

3 ـ **أيَّام الخلق: هي الحقب الزمنية التي تقدَّر بملايين السنين**، ومِمَّن اختار هذا الرأي: العقَّاد[4]، وعبد الرزاق قسُّوم[5]. . . ومن أدلَّتهم:

أ) أنَّ اليوم الأرضي مرتبط بالشمس وبالأرض، وهذين لم يـُخلقا في اليوم الأوَّل من الخلق[6].

ب) بالرجوع إلى معاجم اللغة نتمكَّن من خلال البحث في دلالات كلمة "اليوم" أن نعرف أنَّه بالإضافة إلى اليوم المعهود[7]، يفيد: الوقتَ، والحينَ،

---

(1) الطبري: تفسير، ج 12/ ص482. وانظر: ابن كثير: تفسير، ج3/ ص111.

(2) **التحرير والتنوير**، ج8/ ص162.

(3) **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ص121 ـ 122.

(4) **الفلسفة القرآنية**، ص 182 ـ 183.

(5) **مفهوم الزمان**، ص42 ـ 43

(6) العقاد: **الفلسفة القرآنية**، ص182-183

(7) لليوم معان عدَّة، وليس ذلك مقتصراً على العربيَّة وحدها، ففي الإنجليزية ـ مثلاً ـ نجد من معاني اليوم (day) في: «النهار (a period of light)، 24 ساعة (a period of 24 hours)، مدَّة زمنية (period of time)، مدَّة العمل (a period of work)»

Paul Procter and others: **Longman dictionary,** p 280-281.

والوقت مطلقاً، والأمر العظيم. . .

من هنا تعيَّن على الباحث أن يعرف أنَّ اليوم في آيات الخلق عنى به «المرحلة الزمنية المديدة، كما يفعل علماء الفلك حين يقيسون المسافات الطويلة جدًّا بسرعة الضوء في الثانية، اختصاراً للأرقام»[1] والقرآن الكريم أوجز وأبلغ.

ويعتبرُ العقَّادُ[2] من تعصَّب للرأي الأوَّل قد أخطأ الفهم، وينبغي عليه أن يدرك خطأه قبل أن يبيِّن العلمُ خلاف ما يعتقد، وأمَّا الدكتور قسوم[3] فيعتبر هذا التفسير من قبيل «التفسير الأسطوري، الذي لا يتماشى مع قوَّة منطق القرآن، وسموِّ حكمته، فهو تفسير يدحضه القرآن نفسه في مثل قوله: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ. . . ﴾ (سورة الكهف: 51»).

ويرجِّح هذا الرأي، أنَّ الله تعالى بقدرته اللامتناهية يستطيع أن يخلق الكون كاملاً مستقيماً بمجرَّد الأمر: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ (سورة غافر: 68). . . ولكنَّ حكمته تعالى اقتضت أن يضع ويصوغ سننا كونية وطبيعية للخلق والإبداع، فكما أنَّ الصبيَّ يولد في مدَّة تسعة أشهر، لا لعجز الله تعالى ـ حاشاه عن ذلك ـ وما أمره إلاَّ كلمح بالبصر أو هو أقرب؛ فإنَّ الكون ولد في ملايين السنين، والله قادر على خلقه في أقلَّ من ذلك أو أكثر، إذ لا يحتاج في خلقه تعالى إلى زمن. . . وصدق ربُّنا العظيم: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة غافر: 57).

وبهذا الرأي والذي قبله نستنتج أنَّ الأسبوع لم يذكر في القرآن الكريم، حتَّى ولو بالإشارة، وإنَّما ذكر منه يومان مقدَّسان هما: السبت، والجمعة.

فلنحاول أن نتتبَّع الآيات التي بسطت القول في هذين اليومين، معتمدين

---

(1) سليم الجابي: **النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم**؛ مطبعة نضر، دمشق، سورية؛ ط1: د.ت؛ ص116-117.

(2) ن، م، والصفحة. .

(3) ن، م، والصفحة. .

أساسا على الجدول اللفظي لمادَّة الزمن، ومحاولين إجراء مقارنات لتحليل الآراء المختلفة والمتَّفقة:

ثانيًا ـ أيَّام الأسبوع:

1) السبـت:

ذكر السبت سبع مرَّات في القرآن الكريم، مرَّة مضافا إلى اليهود إضافة بيان[1] ـ لأنَّه عيدهم ـ: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ (سورة الأعراف: 163)، ومرَّة بصيغة الفعل: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾.

وخمس مرَّات معرَّفاً بالألف واللاَّم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ (سورة البقرة: 65)، وقوله جلَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (سورة النحل: 124).

والملاحظ أنَّه ذُكر في جميع المرَّات في معرض الحديث عن اليهود، وعن القرية[2] التي حرَّم الله عليها الصيد في السبت، ولم يأت مقترنا بحكم شرعيٍّ، ولا بعبادة إسلامية، ولعلَّ هذا من قبيل: مخالفة اليهود والنصارى.

ويقال: سبت اليهود، أي تركوا العمل في سبتهم، وأسبتَ اليهود دخلوا في السبت، وسبت يسبِت عظَّم السبت[3].

والسبت من السبوت وهو الراحة، أو من السبت وهو القطع[4]، بمعنى أنَّه اليوم الذي قُطع فيه الخلق، على رأي من يرى أنَّ السبت هو آخر أيَّام

---

(1) اطفيش: **تيسير التفسير** (ط.ع)، ج4/ ص236.

(2) يقال: هي قرية أيلة، و«أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مِمَّا يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأوَّل الشام... وهي مدينة لليهود الذين حرَّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير...» الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الروميّ البغداديّ: **معجم البلدان**؛ دار صادر ـ دار بيروت، بيروت، لبنان؛ ط: 1404هـ/ 1984م؛ ج1/ ص292، مادَّة "أيلة وإيلياء".

(3) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج7/ ص305.

(4) اطفيش: **تيسير التفسير** (ط.ج)؛ ج1/ ص113.

الأسبوع، وأنّه لا خلقَ فيه[1].

وأمّا تسميته فكانت في عهد موسى عليه السلام غير أنَّ «تبديل أسماء الأسبوع بما هي عليه الآن واقع من العرب بعد عيسى عليه السلام»[2].

والاختلاف الذي اشتهر بسبب يوم السبت إنّمَا خصَّ اليهود وحدهم، وتحريمه كان عليهم لوحدهم: «وليس من ديانة إبراهيم عليه السلام، وليس كذلك من دين محمَّد ﷺ السائر على نهج إبراهيم: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ﴾، وأمرهم موكول إلى الله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة النحل: 124)»[3].

ويعتبر يوم السبت يوم راحة بالنسبة لليهود، وبالتالي فإنَّ الأسبوع يبدأ بيوم الأحد، وقد روى بنو إسرائيل روايات غريبة في كتبهم مفادها أنَّ الله تعالى ارتاح يوم السبت، ولذلك اتّخذوه عادة، وردَّ الله سبحانه عليهم في آية الكرسي: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (سورة البقرة: 255).

وقد تناقل الروّاة وبعض المفسّرين روايات تقول: إنَّ موسى عليه السلام سأل الملائكة: «هل ينام الله عزَّ وجلَّ؟»، فأوحى الله إلى الملائكة فأرّقوه ثلاثاً، ولم يتركوه ينام، وفي كلتا يديه قارورة، وحذَّروه من كسرهما فجعل ينعس ويفيق إلى أن كسرهما.

غير أنَّ هذه الروايات لم تثبت عن نبيء الله موسى عليه السلام، بل هي «من أخبار بني إسرائيل»[4].

2) الجمعـة:

واليوم الثاني الذي جاء ذكره في القرآن الكريم هو يوم الجمعة، الذي اقترن - بخلاف السبت - بركن عظيم من أركان الإسلام: الصلاة.

---

(1) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص168.

(2) اطفيش: **نفس المصدر والجزء والصفحة**. .

(3) سيِّد قطب: **في ظلال القرآن**، ج4/ ص2201 .

(4) ابن كثير: **تفسير**، ج1/ ص331.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الجمعة: 9).

ولأهمية هذا اليوم سمِّيت به سورة مدنية وهي: سورة الجمعة، رغم احتوائها على مواضيع أخرى لا تقلُّ أهمية، مثل: النبوَّة، وحال الذين حمِّلوا التوراة ولم يحملوها، والردِّ على مزاعم الذين هادوا. . .

وفي صحيح مسلم رواية لحديث عن رسول الله ﷺ قال: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولاً الْجَنَّةَ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي هَدَانَا اللَّهُ لَهُ وَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ غَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»[1].

أمَّا عن تسمية يوم الجمعة فيذكر الفرَّاء أنَّه يجوز فيه: الجمْعة ـ بإسكان الميم على التحقيق ـ، والجمُعة ـ بضمِّ الميم ـ، والجمَعة ـ بفتحها ـ فتكون صفة لليوم، أي تجمع الناسَ، كما يقال: رجل ضحَكة، للمكثر من الضحِك[2].

وأمَّا عن سبب تسميته بالجمعة، ففيها روايات كثيرة، من بينها:

أ) في رواية عن سلمان الفارسي أنَّه سمِّيت الجمعة جمعة لأنَّ الله جمع فيها خلق آدم عليه السلام[3].

---

(1) رواه مسلم، في كتاب الجمعة، رقم 1413، قال: «حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

ورواه أحمد، في باقي مسند المكثرين، رقم 7381 دون ذكر لفظ الجمعة.

العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: «الآخرون الأوَّلون».

ورواه الربيع بن حبيب: **الجامع الصحيح: مسند الإمام الربيع بن حبيب**؛ ترتيب أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني؛ تحقيق أبو إسحاق إبراهيم اطفيَّش؛ المطبعة العربية، غرداية، الجزائر؛ ط: 1985م، مصوَّرة من طبعة دار الفتح، بيروت؛ حديث رقم 278، باب [46] في صلاة الجمعة وفضل يومها، ص72، بلفظ قريب.

(2) معاني القرآن، ج3/ ص156.

(3) روى الإمام أحمد، في باقي مسند الأنصار، حديثين رقم 22603، و 22613، قال: =

ب) وقيل: لأنَّ الله تعالى فرغ فيها من خلق كلِّ شيء، فاجتمعت فيها المخلوقات جميعا.

ج) قيل: لتجمّع الجماعات فيها.

د) قيل: لاجتماع الناس فيها للصلاة.

وقد روي حديث نصُّه: «**إنَّما سمِّيت الجمعة، لأنَّ آدم جُمع فيها خلقه**»، غير أنَّ السيوطي رمز إلى ضعفه في الجامع الصغير(1).

وأمَّا أوَّل جمعة جمعها النبي ﷺ، فهي بمناسبة هجرته من مكَّة إلى المدينة، وذلك في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم، فجمع عليه السلام وخطَب(2).

وعلى كون يوم الجمعة هو يوم العطلة، يكون أوَّل الأسبوع عند المسلمين يوم السبت، كما هو يوم الأحد عند اليهود، ويوم الاثنين عند النصارى.

وقد فصَّلت مصادر الحديث والفقه القول في فضل هذا اليوم، وذكرت مجموعا من أهمِّ الحوادث في تاريخ البشرية وقعت فيه، أو ستقع فيه، مثل:

= «حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ قَرْثَعٍ الضَّبِّيِّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ؟**»، قُلْتُ: «نَعَمْ» قَالَ: لاَ أَدْرِي زَعَمَ سَأَلَهُ الرَّابِعَةَ أَمْ لاَ قَالَ قُلْتُ: «**هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي جُمِعَ فِيهِ أَبُوهُ أَوْ أَبُوكُمْ**» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلاَ أُحَدِّثُكَ عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ لاَ يَتَطَهَّرُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ثُمَّ يَمْشِي إِلَى الْمَسْجِدِ ثُمَّ يُنْصِتُ حَتَّى يَقْضِيَ الإِمَامُ صَلاَتَهُ إِلاَّ كَانَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الَّتِي بَعْدَهَا مَا اجْتُنِبَتِ الْمَقْتَلَةُ**».

(1) المناوي، محمَّد عبد الرؤوف: **فيض القدير شرح الجامع الصغير**؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ ط2: 1391هـ/ 1972م؛ ج3/ ص3، حديث رقم 2598

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج18/ ص99 ـ 120.

وروى البخاري، في كتاب الجمعة، رقم 843 و 4023. وأبو داود في كتاب الصلاة، رقم 902. ولفظ البخاري (حديث 843): «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ أَوَّلَ جُمُعَةٍ جُمِّعَتْ بَعْدَ جُمُعَةٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ فِي مَسْجِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ بِجُوَاثَى مِنَ الْبَحْرَيْنِ**» وانظر- العالمية: **موسوعة الحديث**، مادَّة: «أول جمعة»

خلق آدم عليه السلام، وإدخاله الجنَّة، وإخراجه منها، وقيام الساعة. . .[1]، روى النسائي عن أوس بن أوس قال: قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمِ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ؛ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ أَرَمْتَ أَيْ يَقُولُونَ قَدْ بَلِيتَ. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلاَمِ».

وفي فيض القدير للمناوي حديث حسَّنه، وفيه إضافات على هذا الحديث، فعن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيِّدُ الأيَّام عندَ اللهِ يومُ الجمعةُ، أعظم مِن يومِ النحرِ والفطرِ، وفيه خمس خِصالٍ: فيه خُلق آدم، وفيه أُهبطَ من الجـنَّةِ إلى الأرضِ، وفيهِ توفيَ، وفيه ساعةٌ لا يسأل العبدُ فيهَا شيئًا إلاَّ أعطاهُ إيَّاهُ، ما لم يسألْ إثماً أو قطيعةَ رحمٍ، وفيه تقومُ الساعةُ؛ وما مِن ملَكٍ مقرَّب، ولا سماء، ولا أرضٍ، ولا ريحٍ، ولا جبلٍ، ولا حجرٍ، إلاَّ وهو مُشفِق من يوم الجمعةِ»[2].

3) أيَّام الأسبوع الأخرى:

لا نجد في القرآن ذكراً للأيـَّام الأخرى سوى هذين اليومين، وأمَّا في الحديث النبويِّ الشريف فقد ذكرت كلّها.

وقد كانت العرب تسمِّيها حسب ترتيبها في العدِّ، وهذا الجدول[3] يبـيِّن كلّ تسمية ومعناها:

---

(1) روى النسائي، كتاب الجمعة، حديث رقم 1357 قال: «أَخْبَرَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ ابْنِ جَابِرٍ عَنْ أَبِي الأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: . . .».

ورواه أبو داود، كتاب الصلاة، حديث رقم 883؛ وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنَّة، حديث رقم 1075؛ والدارمي، كتاب الصلاة، حديث رقم 1526. . . وغيرهم.

وانظر ـ العالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «أفضل أيامكم».

(2) المناوي: **فيض القدير**، ج4/ ص120، حديث رقم 4744.

(3) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص168 ـ 169.

جدول أيّام الأسبوع

الاسم الحالي	الاسم الإنجليزي	الاسم القديم	معنـــــــاه
الأحد	Sunday	أوّل	لأنّه أوّل أعداد الأيّام
الاثنين	Monday	أهون أو أوهد	من الهون أو الوهدة أي المكان المنخفض، لانخفاضه عن اليوم الأوّل في العدد
الثلاثاء	Tuesday	جُبارا	لأنّه جبر به العدد
الأربعاء	Wednesday	دُباراً	لأنّه دبر ما جبر به العدد، أي جاء دبره
الخميس	Thursday	مؤنساً	لأنّه يؤنس به لبركته
الجمعة	Friday	العَروبة	أي البين، من أعرب إذا أبان، والمراد بيِّن العظمة والشرف
السبت	Saturday	شيارا	أخذا من شرت الشيء إذا استخرجته من مكانه، باعتبار أوّليته وآخريته.

وقد جمعت هذه الأيّام العربيّة في بيتي شعر، جاء فيهما:

أومل أن أعيش وأنّ يومي لأوّل أو لأهـــون أو جُبـــار
أو التالي دبار فإن يفتني فمؤنس أو عروبة أو شيار[1]

(1) يورد ابن منظور البيتين في لسان العرب (ج3/ ص392) ون أن ينسبهما، أمّا علي حسن فينسبهما إلى النابغة، غير أنّي لم أجدهما في ديوانه. علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص196

وأمّا عند الشعوب الناطقة باللاتينية وغيرها من الشعوب، سوى العرب والمسلمين واليهود، فتكاد تكون واحدة، وهي مشتقّة من الأسماء التي استعملها الأسكندانفيون القدامى، الذين أطلقوا عليها أسماء آلهتهم، وهذا الجدول[1] بيان لذلك:

العربي	الإنجليزي الحديث	الإنجليزي القديم	اسم الإله	ما يرمز إليه هذا الإله
الأحد	Sunday	Sun's day	Sun	الشمس المقدسة
الاثنين	Monday	Moon's day	Moon	القمر الموالي للشمس في القداسة
الثلاثاء	Tuesday	Tiw's day	Tyr	إله التضحية
الأربعاء	Wednesday	Woden's da	Woden	الإله أودين
الخميس	Thursday	Thor's day	Thor	أقوى الألهة وأشدهم بطشاً
الجمعة	Friday	Frigg's day	Freyu	زوجة أودين وأم طور
السبت	Saturday	Seten's day	Saturn	إله روماني الأصل

والملاحظ أنَّ يوم النصارى: وهو الأحد، لم يرد ذكره في القرآن الكريم، ولم نتمكّن من إدراك الحكمة من ذلك، ومع هذا فقد ورد في عدّة أحاديث نبويّة.

(1) علي حسن: ن، م، ص169 ـ 170.

وهكذا نجد أنَّ الأسبوع بكلِّ أيّامه ارتبط ارتباطاً وثيقا بالديانات المختلفة، وأغلب القداسة كانت مجملة في أيّام: الجمعة، والسبت، والأحد؛ ولا تزال الأمم والشعوب ـ مهما ادَّعت من التنصّل عن تبعات السماء ـ تخضع لهذا التأثير الديني المباشر، في العطل وفي أيّام العمل، إلاَّ أنَّ العرب والمسلمين ـ في عصرنا ـ تذبذبوا في اختيار يوم الراحة، وخضعوا للغالب والأقوى ـ في كثير من تصرّفاتهم الحياتية ـ، وقدَّموا منطق التبعية الاقتصادية على حقيقة الانتماء الديني والعقدي، وصدقت ـ بالتالي ـ فيهم مقولة العلاَّمة ابن خلدون: «ترى المغلوب يتشبَّه بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتِّخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله»[1]، ومن أبرز هذه الأحوال: فلسفة التعامل مع الزمن، وتحديد أوقات العبادة والعمل والراحة. . .

ولعلَّ عنوان الفصل الذي وضعه ابن خلدون في مقدِّمته هو أبلغ معبِّر عن مصير من ولع بغيره في جميع أموره، ولفظ العنوان هو: «فصل في أنَّ الأمَّة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها سارع إليها الفساد»[2]. وأيُّ لفظ أكثر تعبيراً عن تخلُّف المسلمين في عصرنا من لفظ: الفساد.

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد: مقدِّمة ابن خلدون؛ تحقيق: علي عبد الواحد وافي؛ طبعة لجنة البيان العربي؛ ط1: 1378هـ/ 1958م؛ ج2/ ص450.

(2) ن، م، ج2/ ص651.

المبحث الثاني

الشـــهر

أوّلاً ـ الشهـر:

في رواية للكاتب الفرنسي فولتير، يقول عن بطلها "رديخ": إنـّه «كان مقتنعا كلَّ الاقتناع بأنَّ العالم يشتمل على خمسة وثلاثمائة يوم وربع يوم، على رغم الفلسفة الجديدة في عصره، وبأنَّ الشمس هي مركز الكون، وكان يؤثر الصمت في غير غضب ولا ازدراء، إذ قال له كبار الكهنة: إنَّه سيِّء العقيدة، وإنَّ من الخروج عن الدولة أن يعتقد الإنسان أنَّ الشمس تدور حول نفسها، وأنَّ العالَم يأتلف من اثني عشر شهراً»[1].

إنَّ هذا النصَّ الروائيَّ بقدر ما يدلُّ على العلاقة الوطيدة بين التقويم والمعتقد الديني، فإنَّه ينبِّهنا إلى قدم فكرة تقسيم السنَّة إلى اثني عشر شهراً.

والقرآن الكريم يصرِّح في آية هي من أجمع الآيات في مجال التقويم، بأنَّ السنَة ـ عند الله ـ تقدَّر باثني عشر شهراً، وذلك يومَ خلقَ الله السماوات والأرض، ويقول: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (سورة التوبة: 36 ـ 37).

---

(1) فولتير: القدر: قصَّة شرقية؛ ترجمة: طه حسين؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط: 1979م. ص.

ورغم أنَّ السنين الشمسية والقمرية تقسّمان إلى اثني عشر شهرا، فإنَّ الآية خصَّت السنَة القمرية دون الشمسية، وقوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ دليل على ذلك.

ويدلُّ عليه ـ كذلك ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ (سورة يونس: 5) «فجعل تقدير القمر بالمنازل علَّة للسنين والحساب»[1].

وقد جعل القرآن هذا التقويم من الدين، وعلَّق به أحكاماً شرعية: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، ومعناه: «ذلك الشرع الصحيح المستقيم الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل في الحجِّ وغيره، مِمَّا يتعلَّق بالأشهر من الأحكام»[2]. وعدَّ من خالفه أو تلاعب به كافراً، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

ومعلوم أنَّ التقويم الغالب على الناس في عصرنا هو التقويم الشمسيُّ، والسنَة الشمسية طولها 365.25 يوماً، تقسَّم إلى 12 شهراً، تتفاوت بين ثلاثين وواحد وثلاثين يوماً، غير فبراير الذي يقدَّر بثمان وعشرين أو تسع وعشرين يوما، والأشهر الشمسية هي:

(1) الرازي: **التفسير الكبير**، ج16/ ص50.

(2) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج10/ ص482.

اسم الشهر	الاسم الثاني	طوله: يوماً
كانون الثاني	يناير	31
شباط	فبراير	28 يوماً في السنين العادية، 29 في الكبيسة
آذار	مارس	31
نيسان	أفريل	30
أيار	ماي	31
حزيران	جوان	30
تموز	يوليو	31
آب	أغسطس (أوت)	31
أيلول	سبتمبر	30
تشرين الأوّل	أكتوبر	31
تشرين الثاني	نوفمبر	30
كانون الأوّل	ديسمبر	31

وأمّا السنَة القمرية ـ التي تعنيها أغلب الآيات القرآنية ـ فطولها 354.357 يوماً، وتنقسم إلى 12 شهراً كذلك، وطول الشهر المتوسّط هو 29.53 يوماً، والمعمول به اعتبار أحد الشهور ـ دون تحديد ـ بـ 30 يوماً، والذي يليه بـ 29 يوماً.

والأشهر الهجرية هي:

1 ـ محرَّم

2 ـ صفر

3 ـ ربيع الأوَّل.

4 ـ ربيع الثاني.

5 ـ جمادى الأولى.

6 ـ جمادى الثانية.

7 ـ رجب.

8 ـ شعبان.

9 ـ رمضان.

10 ـ شوال.

11 ـ ذو القعدة.

12 ـ ذو الحجَّة.

غير أنَّه ينبغي أن نميِّز كذلك بين الشهر الفلكيِّ الذي «تعتمد بدايته على اقتران الشمس بالقمر»، والشهر الشرعيِّ الذي «يتحدَّد ليس فقط بخروج القمر من المحاق، وإنَّما لا بدَّ من رؤية الهلال»[1]، يقول تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ (سورة البقرة: 189).

وأمَّا الأشهر الحرم التي جاء ذكرها في الآية فقد وردت أحاديث كثيرة في تسميتها، منها قوله ﷺ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ؛ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ»[2].

---

(1) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص74 ـ 75.

(2) روي بعشر طرق في الكتب التسعة، ورواية البخاري: حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ عَبْدِالْوَهَّابِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الزمان...». **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، (العا. =

ثانيًا ـ النسيء:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (سورة التوبة: 37).

بعدما عدَّ القرآن الكريم اعتبار الأشهر الحرم من الدين، وأوجب العمل بأحكامها، تعرَّض إلى عادة جاهليَّة، وهي: النسيء.

فما معنى النسيء؟ وما حكم من عمل به؟

النسيء كما عرَّفه اللغويون هو: من نسأ ينسأ أي زاد، أو من نسأت الشيء أخرجته.

أمَّا اصطلاحاً فاختلف في معناه على قولين:

1 ـ أنَّه الزيادة.

2 ـ أنَّه التأخير[1].

وذكر المفسِّرون الكثير من أسباب هذا التأخير أو التقديم في تقويم الأشهر، ومنها أنَّ «القوم [العرب] عرفوا أنَّهم لو رتَّبوا حسابهم على السنَة القمريَّة، فإنَّه يقع حجُّهم تارة في الصيف وتارة في الشتاء، وكان يشقُّ عليهم الأسفار، ولم ينتفعوا بها في المرابحات والتجارات...»[2].

وقد ذكروا لهذا التوفيق بين السنين عدَّة وجوه، منها «إحلال الشهر المحرَّم بالتأويل، وهو أن ينسئوا تحريمه إلى صفر، لتبقى الأشهر الحرم أربعة كما كانت»[3]، فمن العرب من «يسمِّي المحرَّم صفراً فيحلُّ فيه القتال، ويحرِّم القتال في صفر ويسمِّيه المحرَّم؛ ومنهم من كان يجعل ذلك سنةً هكذا وسنة

= 4294)، (فتح. 4662).

العالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «استدار».

(1) ابن العربي: **أحكام القرآن**، ج2/ ص 941.

(2) الرازي: **التفسير الكبير**، ج 16/ ص 56.

(3) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج10/ ص 486.

هكذا، ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا، ومنهم من يؤخِّر صفرا إلى ربيع الأوَّل، وربيعاً إلى ما يليه، وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجَّة، ثمَّ يعود فيعيد العدد على الأصل»[1].

وجاء الإسلام فأرجع المحرَّم إلى موضعه الذي وضعه الله تعالى فيه، فهذا من معاني قوله ﷺ: «**إنَّ الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض**»[2].

فقد منع تعالى بهذه الآية كلَّ محاولة محتملة للتلاعب بالتقويم، ولولاها لكان من الناس من يتَّخذ التواريخ وسيلة للتنصّل أو التلاعب بتبعاته مع الله تعالى، ومع خلقه.

ثالثًا ـ تعلُّق الشهر بالأحكام الشرعية:

والمتأمِّل في جدول الآيات التي ذكر الشهر فيها مفرداً أو مثنى أو جمعا، يلاحظ أنَّ أغلبها تعلَّق بحكم شرعيٍّ، أو بعبادة من العبادات[3]، ومن ذلك:

---

(1) ابن حجر: **فتح الباري**، ج8/ ص325.

(2) تقدَّم تخريجه.

(3) وانظر مثلاً: الخراسيني عبدالله بن محمَّد بن عامر بن محمَّد بن خنبس النزوي: **فواكه العلوم في طاعة الحيِّ القيُّوم**؛ تحقيق: الدكتور محمَّد ناصر ومهني التيواجيني؛ خدمات الإعلان السريع، مسقط، سلطنة عمان؛ ط1: 1415هـ/ 1994 م؛ ج3/ ص104، المنثورة العشورن في الطلاق والظهار والإيلاء.

الموضوع	نص الآية	السورة: رقم الآية
الصيام	﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ. . . ﴾	البقرة: 185
القتال	﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ. . . ﴾ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ. . . ﴾	البقرة: 194 البقرة: 217
الحجّ	﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ. . . ﴾	الحجّ: 197
العدَّة	﴿ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ. . . ﴾	الطلاق: 4
الإيلاء	﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. . . ﴾	البقرة: 226
قيام الليل	﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾	القدر: 3

فالملاحظ إذن أنَّ الشهر ميزان من أكبر موازين العبادات والمعاملات في القرآن الكريم، ومن هنا يتعيَّن على كلِّ مسلم أن يعرفه ويهتمَّ به، ويجتهد في ضبطه، حتَّى يتسنَّى له القيام بفرائضه في وقتها التي وقَّتها الله؛ والواجب على الأمَّة الإسلاميَّة أن تخضع التقاويم الأخرى إلى التقويم الإسلاميِّ، ولن يتمَّ ذلك إلاَّ بالعلم والتفوُّق الحضاريِّ في جميع المجالات.

المبحث الثالث

السنَة وفصولها

أوّلاً ـ فصول السنَة:

الفصل هو أطول جزء من أجزاء السنَة، ولم يرد ذكر الفصل في القرآن الكريم إلاَّ في آية واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ (سورة قريش: 1 ـ 2).

وإذا كان الشهر مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بحركة القمر، فإنَّ الفصل مرتبط بحركة الشمس ومدارها الظاهريِّ حول الأرض ضمن دائرة البروج، والسبب هو ميلان محور الأرض بمعدَّل 230[1].

ويبقى الإشكال مطروحا: كيف ارتبط الفصل بالشمس، والشهر بالقمر، رغم أنَّ المعهود هو العلاقة الوطيدة بين الشهر والفصل؟ فالفصل يتكوَّن من الشهور، والأشهر تكوِّن في مجموعها فصولاً؟

أوَّل تعليل لهذه المفارقة ـ حسب ما لاحظناه ـ هو كون الأشهر تتعلَّق بها الأحكام الشرعية، فاستمدَّت بالتالي قدسيتها من قدسية الشريعة؛ وأمَّا الفصول فيرتبط بها معاش الناس، ولذا ترك لاجتهادهم، مصداقا لقوله ﷺ: «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»[2]، شرط أن لا يصادم نصًّا شرعياً، ولا يحلّ حراماً أو يحرِّم حلالاً.

---

(1) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص71.

(2) الحديث رواه مسلم، في كتاب الفضائل، رقم 4358، ونصّه: «حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَمْرٌو النَّاقِدُ كِلاَهُمَا عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا=

ولذا كانت حدود الفصول غير واضحة تماماً في تقدير الناس، فوردت بالتالي في الشتاء والصيف عدَّة روايات، منها:

1 ـ أنَّهما متعلِّقان بالأشهر القمرية، وهذا من أغرب ما قرأنا، ونقرأ ذلك عند الرازي، إذ يقول: «القول الثاني: إنَّ المراد رحلة الناس إلى أهل مكَّة، فرحلة الشتاء والصيف عمرة رجب وحجُّ ذي الحجَّة، لأنَّه كان أحدهما شتاء والآخر صيفاً»[1].

ومع ذلك فإنَّ هذا الرأي يحمل وجاهته من كون رجب وذي الحجَّة متقابلين، فرجب هو الشهر السابع، وذو الحجَّة هو الشهر الثاني عشر، فإذا كان زمن أحدهما صيفاً كان الآخر شتاء، خاصَّة إذا اعتبرنا في تقسيم السنَة كونها تقسَّم إلى صيف وشتاء فقط.

2 - نسب إلى الإمام مالك بن أنس أنَّه قال: «الشتاء نصف السنَة والصيف نصفها، ولم أزل أرى ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومن معه لا يخلعون عمائمهم حتَّى تطلع الثريا، وهو اليوم التاسع عشر من بشنس[2]، وهو يوم خمسة وعشرين من عدد الروم والفرس»[3].

وقد رجَّح القرطبي هذا الرأي، وجعله من تقسيم الله سبحانه، فاعتبره بالتالي من الدين، وقال: «والذي قاله مالك أصحُّ، لأنَّ الله قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثاً»[4].

= حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ وَعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ، قَالَ فَخَرَجَ شِيصًا فَمَرَّ بِهِمْ؛ فَقَالَ: مَا لِنَخْلِكُمْ؟! قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».
العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «دنياكم».

(1) التفسير الكبير، ج32/ ص 107.

(2) هو التاسع من أشهر السنَة القبطية المجزَّأة إلى اثني عشر شهراً.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج20/ ص207. وانظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج30/ ص557.

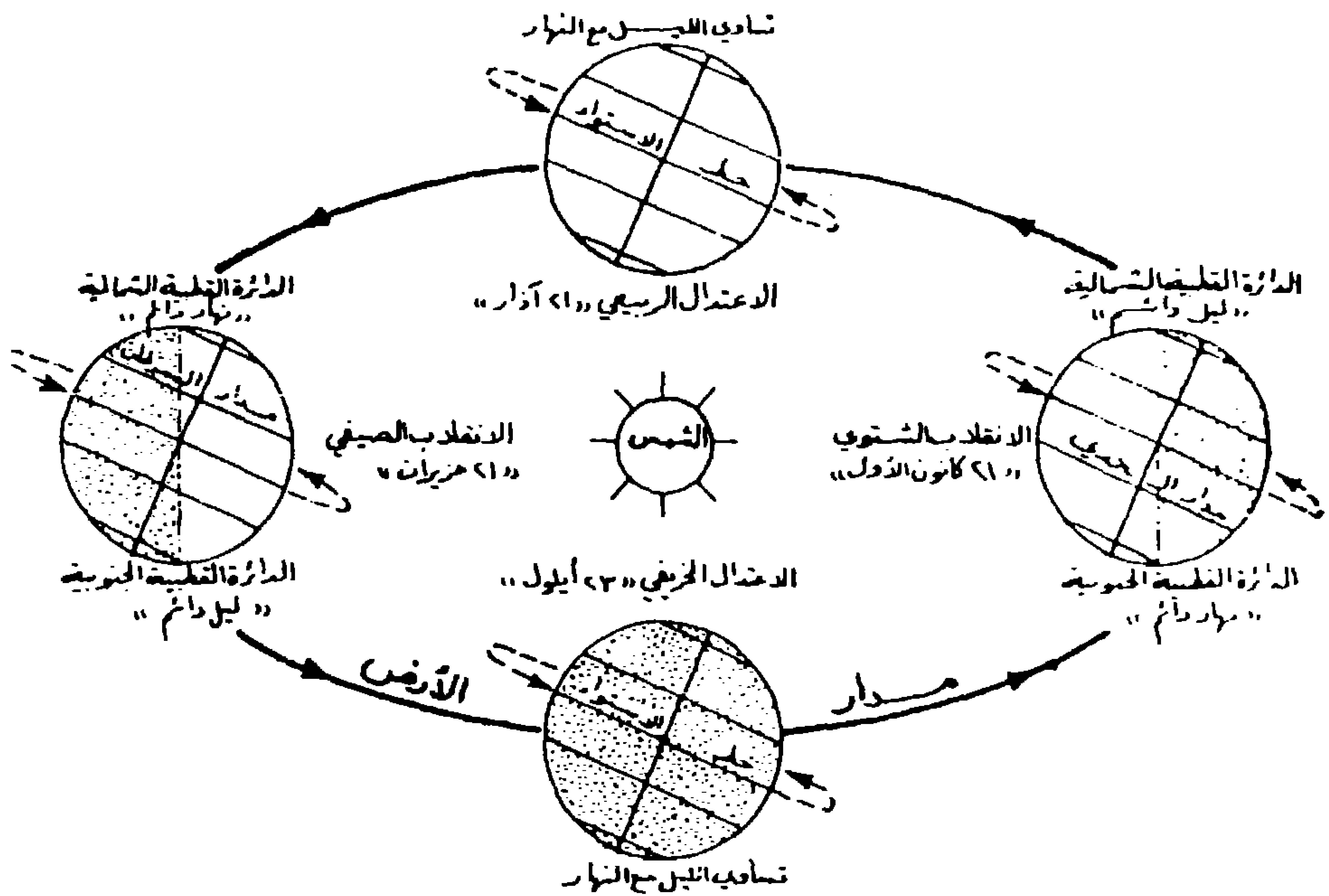
(4) ن، م، ج20/ ص208.

3 ـ إنَّ السنَة الشمسية مقسَّمة إلى أربعة فصول هي: «الصيف ثلاثة أشهر، وهو الذي يسمِّيه أهل العراق وخراسان الربيع، ويليه القيظ وهو شدَّة الحرِّ، ويليه الخريف ثلاثة أشهر، ويليه الشتاء ثلاثة أشهر»[1].

يقول ابن عاشور محاولاً التوفيق بين رأي مالك وهذا الرأي السائد في عصرنا: «وهذه الآية صالحة للاصطلاحين»[2].

الرسم البياني

لميلان محور الأرض بمقدار 32 درجة وأثره في الأيَّام والفصول[3]



---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج3/ ص296. وانظر: ابن عاشور: ن، م، ج30/ ص 558.

(2) ن، م، والجزء والصفحة.

(3) علي حسن: التوقيت والتقويم، ص15.

ثانياً ـ السنَة:

السنَة والعام والحول مترادفات كلّها، وقد ذكرت في القرآن مع فروق دقيقة في التسمية وفي مناسبة اختيار لفظ دون آخر؛ مع الاتّفاق على أنَّها تعني مجموع اثني عشر شهراً، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (سورة التوبة: 36).

فالسنة كيفما كانت ـ شمسية أو قمرية ـ تساوي اثني عشر شهراً، مع اختلافات في تاريخ التقويم لا يعتدُّ بها، وسنحاول أن نحلِّل كلَّ مصطلح على حدة:

1) السنة:

ذكرت في القرآن 19 مرَّة، منها سبع مرَّات بصيغة المفرد والباقي بصيغة الجمع.

ولا تعني بصيغة المفرد إلاَّ السنَة الفلكية[1]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (سورة البقرة: 96)، وقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (سورة السجدة: 5).

أمّا بصيغة الجمع ففيها بالإضافة إلى المعنى الفلكيِّ في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ (سورة يوسف: 47)، معنى آخر هو: الجدب، والقحط، والأزمة[2]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (سورة الأعراف: 130).

وفي هذا المعنى جاء حديث جَبَلَةَ بْنُ سُحَيْمٍ قَالَ: «أَصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَرَزَقَنَا تَمْراً، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ نَأْكُلُ، وَيَقُولُ: لاَ تُقَارِنُوا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْقِرَانِ[3]، ثُمَّ يَقُولُ: إِلاَّ أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ»[4].

---

(1) الألوسي: روح المعاني، ج1/ ص330.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج3/ ص224.

(3) «القران: أن تقرن بين تمرتين تأكلهما، وبابه باب قران الحجِّ»، الرازي: مختار الصحاح، ص 533

(4) رواه البخاري، في كتاب الأطعمة، حديث (5026)، (فتح. 5446)، قال: «حَدَّثَنَا آدَمُ=

يقول الحافظ ابن حجر: «أصابنا عام سنة بالإضافة أي عام قحط»[1]، ويقول: القطب اطفيش: «ومعنى عام سنة عام شدَّة، عبَّر عن الشدَّة بالسنة تعبيرا باسم الزمان عمَّا حدث فيه، ومرادنا بالمحلِّ ما يشمل المكان أو الزمان، إذا قلنا: تعبيرا باسم الحال عن المحلِّ أو بالعكس»[2].

أمَّا الغالب في ذكر السنة، فيعنى بها السنَة الهجرية التابعة للقمر، وليس السنَة الشمسية التابعة للشمس، والدليل على ذلك آية سورة يونس: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ (الآية: 5).

وقد وردت بمعنى السنَة الشمسية في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ (سورة الكهف: 25).

ولكن السؤال الذي نطرحه هو: هل السنَة في القرآن الكريم تعني فقط السنَة الفلكية التي تبدأ بغرَّة محرَّم، وتنتهي في آخر ذي الحجّة؟ أم أنـَّها دوران الحول من أيٍّ من أيَّامها إلى الذي قبله بعد اثني عشر شهراً؟

أمَّا القرآن فقد استعمل لفظ السنَة للمعنيين معاً:

1 ـ فأمَّا الآية ﴿ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ (سورة يونس: 5)، فتعني السنة الفلكيَّة.

2 ـ وفي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ ﴾ (سورة الأحقاف: 15)، أي من يوم ولد إلى يوم بلوغ الأربعين، كما يقول الواحد منَّا مثلاً: بلغت سنَّ الثلاثين في 27 من ذي القعدة من هذه السنَة.

= حَدَّثَنَا شُعْبَةُ حَدَّثَنَا جَبَلَةُ بْنُ سُحَيْمٍ قَالَ... قَالَ شُعْبَةُ الإِذْنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ».
العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «عام سنة».

(1) ابن حجر: فتح الباري، ج9، ص470، حديث رقم 5446.

(2) اطفيّش، امحمدّ بن يوسف (القطب): شرح كتاب النيل وشفاء العليل؛ مكتبة جدَّة ـ دار الفتح، جدَّة ـ بيروت؛ 1392هـ / 1972م؛ ج3/ ص 662.

2) العـــام:

أمَّا العام فقد جاء ذكره تسع مرَّات في القرآن الكريم، كلّها بصيغة المفرد، إلاَّ قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (سورة لقمان: 14)، فقد جاءت بصيغة المثنَّى، أمَّا بالجمع فلم يرد ولو مرَّة واحدة، وإنَّما إذا أريد جمعه أضيف إليه اسم العدد مثل المائة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ (سورة البقرة: 259)، أو الخمسين في قوله سبحانه عن نوح عليه السلام: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾(سورة العنكبوت: 14).

ولقد بحثت في التفاسير العديدة عن الفرق بين السنَة والعام عموما، وفي هذه الآية بالخصوص فلم أجد، وإنَّما ذكروا أنَّ الحكمة من الاستثناء بالعام دون السنَة ـ في هذه الآية ـ هو الابتعاد عن التكرار الذي هو معيب في البلاغة، لأنَّ هذه الصيغة «أخصر وأعذب لفظاً وأملأ بالفائدة»[1]. ولا يكتفى بالسبب البلاغي لتعليل الفرق بين اللفظين، بل ينبغي أن يتعمَّق أكثر في البحث والدراسة.

3) الحـــول:

قال تعالى: ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ (سورة البقرة: 240)، وقال: ﴿ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾﴾ (سورة البقرة: 233). هاتان هما الآيتان اللتان اشتملتا على لفظ الحول في كامل القرآن الكريم.

والحول لغة: السنَة، لأنـّها تمضي وتنقص وتحول[2].

والملاحظ أنَّ الحول استعمل فيهما كمقدار لضبط حكمين من أحكام الشريعة، ففي الآية الأولى كان الموضوع هو عدَّة المتوفَّى عنها زوجها، والمعنى «الذين يتوفَّون منكم، ويتركون زوجات من بعدهم، فليوصوا لهنَّ بوصيَّة، وليمتِّعوهنَّ متاعاً إلى آخر الحول، غير مخرجات من بيوتهنَّ»[3].

أمَّا الآية الثانية فتعلّق بها حكم تمام الإرضاع، فعلى الوالدات، واختلف

(1) الزمخشري: الكشَّاف، ج3/ ص351.
(2) ابن منظور: لسان العرب، ج1/ ص758.
(3) المراغي: تفسير، مج 1/ ج2/ ص 204.

في تحديد هذا التقدير فاختار ابن العربي «أنّه لا حدَّ لأقلّه، وأكثره محدود بحولين مع التراضي بنصِّ القرآن»[1].

هذه هي ألفاظ السنَة الواردة في القرآن، ولم أستطع أن أجد في قواميس اللغة ولا في التفاسير التي اطّلعتُ عليها فروقاً واضحة بينها، وهي عموما يفسِّر بعضها بعضاً، فيقال: الحول هو السنَة، والعام هو الحول، والسنَة هي الحول... إلخ.

(1) أحكام القرآن، ج 1/ص 202

خاتمة الفصل

من خلال هذا الفصل يمكننا استخراج الخصائص العامّة لتضاعيف اليوم في القرآن الكريم، ومن خلالها وضع المعالم الأساسية لمادة الزمن. وقد تَمَّت الإشارة إلى بعض هذه الخصائص في الفصل السابق، ويضاف إليها ما يلي:

1 ـ **الاشتراك**: لقد مرَّ أنَّ الاشتراك من خصائص الزمن في القرآن الكريم، والذي يضاف هو أنَّ هذا الاشتراك يتمثَّل في نوعين أساسيين:

أ) اشتراك لفظين في معنى واحد: وهو قريب من الترادف، ولكنَّه غير الترادف، إذ لا يمكن وضع لفظ مكان آخر مهما كان قريبا منه في المعنى. ومثال ذلك: اليوم بمعنى الساعة والحين؛ والسنة بمعنى العام والحول...

ب) اشتراك معنيين أو عدَّة معان في لفظ واحد، وهو الغالب في ألفاظ الزمن، سواء المقادير الزمنية أو وحدات التقويم، فاليوم مثلا يعني: اليوم الطبيعي، والوقت الحاضر، والزمن الماضي، والساعة والحين... والسنَة تعني: السنَة الفلكية، والجدب...

2 ـ **الزمن كوحدة للقياس في الأحكام الشرعية**: يلاحظ أنَّ أغلب وحدات التقويم لها علاقة وطيدة بأحكام شرعية، وأنَّ هذه الوحدات هي أداة لقياس مدَّة حكم، أو تحديد ابتدائه أو انتهائه... فالشهر ـ مثلاً ـ تتعلَّق به أحكام عدَّة منها: الصيام، والقتال، والحجّ، والعدَّة، والإيلاء... والحول يتعلقّ به حكمان هما: الوصيَّة، والإرضاع...

3 ـ **بعض الزمن من الدين، وبعضه من أمور الدنيا**: بعض المعتقدات في الزمن تدخل في الدين، واعتقاد خلافها، أو العمل بما يناقضها خروج صريح

من الملّة، ومثال ذلك قوله تعالى في النسيّ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ (سورة التوبة: 37). ونذكر فصول السنـَة كمثال لما يدخل في أمور الدنيا، ولا علاقة له بإيمان المرء أو عدمه.

4 ـ **قدم التقاويم**: بعض التقاويم قديمة قدم العالم، وبعضها غير معلومة النشأة، فقد صرّح القرآن ـ مثلاً ـ بعدد الشهور عند الله يوم خلق السماوات والأرض، وأمّا بعضها فيبدو أنّها حديثة حداثة احتياجات الناس المعاشية مثل الأسبوع، والفصل...

5 ـ **التقويم والانتماء الديني**: للانتماء الديني علاقة وطيدة ببعض التقاويم، فقد ارتبط السبت ـ مثلاً ـ بتاريخ اليهودية، والجمعة بتاريخ الإسلام، وكذلك الحال في أيّام الأسبوع الأخرى التي لم تذكر في القرآن الكريم، إذ ارتبط الأحد بالمسيحية، وكذا أسماء الأيّام في بعض الحضارات القديمة اشتقّ من أسماء الآلهة.

6 ـ وممّا يضاف إلى هذه الخصائص، بعضُ الخصائص التي ذكرت في خاتمة الفصل الثاني وهي: **السياق، والدقّة، وحياة الألفاظ**...

الفصل الخامس

وعي الأزمنة الثلاثة ، والتأريخُ في القرآن الكريم

هل الإنسان يعي زمنه؟ وإذا وعاه فما هي الأسباب التي تجعله يعيه؟
وكيف يتمُّ وعي الأزمنة الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل؟
وما هو المنهج القرآني للتعامل مع هذه الأزمنة؟
ما هي موضوعات التاريخ في القرآن الكريم؟
وما هي وحدات قياس الحوادث التاريخية في القرآن الكريم؟ . . .

المبحث الأول
وعي الأزمنة الثلاثة في القرآن الكريم

بما أنَّ الإنسانية غارقة منذ وجودها «في محيط من الزمن، يعجُّ بالتيارات والتيارات المضادَّة»[1] فإنّه يصعب على المرء أن يحدِّد ما إذا كان الزمن هو الذي يحرِّك الإنسان والمخلوقات المتزمِّنة جميعا، أم أنَّ هذه هي التي تحرِّك عجلة الزمن، ذلك أنَّ «الزمن هو أمر هذا الوجود، وسرّه وحياته، فالوجود بما فيه ميِّت إن لم يكن الزمن مقرونا به (. . .) فإذا قرأت الزمن قرأت الحياة على هذه الأرض، وقرأت الأرض بما فيها»[2].

ولهذا الأمر كلِّه جاز أن يقال عن الإنسان: إنَّه «حيوان تاريخيٌّ، بأعرق معاني هذه الكلمة وأشملها، أي بإحساسه الأصيل بمجرى الزمن، وما يحتويه الزمن من أحداث وخبرات ومتطلَّبات: ماضياً وحاضراً ومستقبلاً»[3].

وإذا قلنا عن الإنسان: إنَّه حيوان تاريخيٌّ، فلا نعني بالتاريخ معناه الضيِّق، وإنّما نقصد به أشمل المعاني وأوسعها، وذلك حين يكون لفظ التاريخ

---

(1) محمَّد ضاهر وتر (الدكتور): **دور الزمن في الإدارة**؛ المطبعة العلميَّة، دمشق، سورية؛ ط. د.ت؛ ص27.

(2) Hall Edward T: **La danse de la vie: temps culturel, temps vécus;** Traduit de L`americain par Anne-lise Hacher; ed SEUIL, 1984; p 149.

(3) رزيق: **نحن والمستقبل**، 17.

مرادفاً للفظ الزمن؛ وبالتالي نتجاوز فنقول: الإنسان حيوان يعي زمنه، ذلك أنَّ كلَّ الموجودات المخلوقة متزمِّنة، ولعلَّ الإنسان هو وحده الذي يعي الزمن بأبعاده الثلاثة، وذلك إذا ما حذفنا الكائنات الغيبية من قائمة الدراسة والحكم: الملائكة والجنّ. . . : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (سورة النحل: 8).

وسرُّ وعي الزمن - في القرآن الكريم - يخضع لسببين أساسيين هما:

الأوَّل: مبدأ النظام، الذي يعني الكون في مستواه الشامل.

الثاني: فطرة التذكُّر والتوقُّع، وهما يخصَّان الإنسان في مستواه الذاتي والعقلي.

1) مبدأ النظام:

ويمكن أن نلاحظ ذلك من أجلِّ جزئيات الكون إلى أدقِّها، ويصعب علينا إحصاء كلِّ الآيات الدالَّة على هذا في القرآن الكريم[1]؛ ولعلَّ مِن أكثرها دلالةً قوله تبارك وتعالى:

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ (سورة الملك: 1 - 4).

والناظر في الآية يتبيَّن أنَّ الله تعالى عرض مبدأ خلق الموت والحياة، ونبَّه إلى الغرض الأساسيِّ من إيجادهما، وذكر خلق السماوات، ثمَّ نفى بإطلاق صريح أن يكون في خلقه سبحانه تفاوت، والتفاوت هو «عدم التناسب، فلا يتجاوز حدٌّ منه الحدَّ الذي يجب له زيادة أو نقصاً»[2].

غير أنَّ الإنسان قد يغفل عن هذا المبدأ أو لا يقدِره حقَّ قدره، ولذلك

---

(1) منها للتمثيل لا للحصر الآيات التالية: سورة البقرة: 22؛ سورة آل عمران: 27؛ سورة الأنعام: 96 - 97؛ سورة يونس: 5 - 6؛ سورة الرعد: 2 - 3؛ سورة الأنبياء: 22؛ سورة القصص: 71 - 37؛ سورة الروم: 48.

(2) المراغي: تفسير، مج10/ ج29/ ص6.

أمره الله سبحانه بالنظر وبإرجاع البصر كرَّتين، و«أسلوب التحدِّي من شأنه أن يثير الاهتمام والجدَّ في النظر إلى السماوات والأرض، وإلى خلق الله كلِّه، وهذه هي النظرة الحادَّة الفاحصة المتأمِّلة المتدبِّرة التي يريد القرآن أن يثيرها وأن يبعثها؛ فبلادة الأُلفة تذهب بروعة النظرة إلى هذا الكون الرائع العجيب الجميل الدقيق، الذي لا تشبع العين من تملِّي جماله وروعته، ولا يشبع القلب من تلقِّي إيحاءاته وإيماءاته، ولا يشبع العقل من تدبُّر نظامه ودقَّته»[1].

ولقد ألَّف العالم كريسي موريسون كتابه: العلم يدعو إلى الإيمان، وما كان غرضه من تأليفه إلاَّ أن يسترعي «انتباه المفكِّرين إلى الحقائق التي صار ممكنا إثباتها، والتي ترمي إلى تأييد الاعتقاد بذلك التنظيم، وتدلُّ على الغاية منها»[2].

فلولا النظام لَما أمكن عقلاً التعامل مع الزمن، ولَما وُجد الماضي والحاضر والمستقبل، ولاستحال على العقل ترتيب القبل والبعد، ولاحتمل رؤية الشيخ قبل أن يكون طفلا، أو شهود انحطاط الحضارات قبل قيامها، أو أكل تفَّاحة وبذرتها لـمَّا تزرع... ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ * ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ * ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ * ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ * فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا...﴾ (سورة عبس: 17 ـ 28).

والحقُّ أنَّ «الإسلام ليس مجرَّد دين، أو طريقة حياة فقط، وإنـَّما هو بصفة أساسية مبدأ تنظيم الكون»[3]. وبالتالي فإنَّ القرآن الكريم هو دستور النظام، كما أنَّ الكون الذي خلقه الله هو كتاب النظام: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ

---

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6/ ص3633.

(2) ص 43، وعنوان الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية هو: Man dos not stand alone، أي الإنسان لا يقوم وحده، وهو ردٌّ على كتاب الإنسان يقوم وحده لجوليان هكسلي.

(3) بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ص 41.

﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: 82).

ومن أحدث النظريات عند علماء الحياة تفسيرهم لِللأَّحياة بالقصور في الطـاقـة "الإنتـروبـي"، Entropy، أمَّـا الحيـاة فهـي عكـس هـذا القصـور "اللأَّإنتروبي"، فالخاصية الأساسية للكائن الحيِّ هو قدرته على «خلق المركَّب من البسيط، والنظام من الفوضى، والاحتفاظ بالنظام ـ ولو مؤقَّتاً ـ في أعلى مستوى من الطاقَّة»[1].

2) التذكُّر والتوقُّع:

لو حاولنا أن نتتبَّع الفروق الأساسية بين الإنسان والحيوان، فلا نشكُّ أنَّنا نجد من أبرزها كون الإنسان مفطوراً على حاستي «التذكُّر والتوقُّع؛ إذ إنَّه ينظِّم حياته داخل شبكة نسيجها الماضي والحاضر والمستقبل»[2]. أمَّا الحيوان فلا يمكن أن يتذكَّر ما وقع له في الماضي تذكُّراً عميقاً، إلاَّ ما ارتبط بغرائزه الحيوانية، ولا أن يتوقَّع ما سيحدث له في المستقبل، ولذلك يصف القرآن الكريم من يفقد هاتين الحاستين بأنَّه كالأنعام بل هو أضل منها: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (سورة الأعراف: 179)، وقال في آية أخرى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (سورة الفرقان: 44).

ووصف القرآن الذين يعيشون اللحظة التي هم فيها دون تذكُّر لعبر الماضي، ولا تفكُّر في مصيرهم المستقبليِّ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (سورة محمَّد: 12)، وغنيٌّ عن البيان أنَّ من همُّه المتاع والأكل يعقل حاسَّة العقل والتعقُّل، فـ«بدون تذكُّر لا يمكن لأحد أن

---

(1) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**، ص67، وأحال إلى:
Boris G Kunjetov: **Einstein;** trans Vladimir Talmy; New York, Phaedra, 1970.

(2) بورتر: **تاريخ الزمان**، ص 7.

يكون واعياً بالزمن»[1] ولا بغير الزمن.

والقرآن الكريم ينكر في آيات كثيرة على الذين لا يتذكَّرون، ويأمُرُ المُؤمِن بالتذكُّر في آيات أخرى، وهو بهذا ينمِّي فيهم الإحساس التاريخيَّ، ومن هذه الآيات قوله عزَّ وجلَّ:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ (سورة فاطر: 37)، ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة القصص: 43).

وفي آيات أخرى يَأمُرُ القرآن بإعمال العقل في توقُّع المصير، وبالسعي على أن يكون أحسن وأرقى، سواء المستقبل الدنيوي، أم الأخرويُّ، وذلك مثل قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة غافر: 67).

فالزمن ـ بناء على هاتين الحاستين ـ يعتبر «ظاهرة ينقسم إلى ماضٍ ومستقبل: الماضي هو الجزء الذي نستطيع أن نعرفه، وأن نتذكَّره، والمستقبل هو الجزء الذي لا نعرفه ولا نتذكَّره، والزمن يسير بالاتِّجاه من الماضي إلى المستقبل، ويسمَّى هذا الاتـجاه بالاتِّجاه السيكولوجي، حيث إنَّه يتَّصل مباشرة بالقدرات العقليَّة للإنسان»[2].

والسؤال الذي يترتَّب على هذا الوعي هو: كيف يتمُّ وعي الأزمنة الثلاثة؟ وما هو المنهج الأقوم للتعامل معها؟ ولكي يتمَّ التصوُّر والإجابة ينبغي أن نفصل كلّ زمن على حدة:

الماضي: وعيه والاستفادة منه.

---

(1) De Goeje: **Space, time and life; E.J Brill, Leiden, 1951;** pp9-10، وهو يقول: «Without rememdrance one would not be aware of time».

(2) د/ عبد الله حمد المعجل: **الزمن البعد الرابع؛ مجلَّة العربي**، عدد 4 (يونيو 1990م) ص 40.

الحاضر: وعيه والاستفادة منه.

المستقبل: وعيه والاستفادة منه.

1) الماضي: وعيه والاستفادة منه:

يشكِّل الماضي والتاريخ بجميع أنواعه الحيِّز الأكبر من القرآن الكريم، ويحثُّ المؤمِن على وعيه وإدراكه، فيصعب أن نحصي الآيات التي نبَّهت العقل إلى ضرورة النظر في الماضي، ويكفي أن نشير إلى موطنين يكوِّنان دليلاً كافياً على هذا الاهتمام؛ وهما: الآيات التي جاء فيها الأمر بالسير في الأرض، والآيات التي نبَّهت إلى أهمية قصِّ القصص.

أ) الأمر بالسير في الأرض ووعي الماضي:

أحصيت ثلاث عشرة آية[1] تأمر بالسير في الأرض للتذكُّر والاعتبار، منها:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (سورة آل عمران: 137).

﴿ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ (سورة محمَّد: 10).

ولقد اقترن الأمر بالسير في جميع هذه الآيات بالأمر بالنظر: "فانظروا" و"انظروا" "فينظروا"، و«النظر يحتمل أن يكون بصريا وأن يكون قلبيا (. . .) ولأنَّ هذا النظر محتاج إلى تأمُّل وترسُّم فهو أهمُّ من السير»[2]، فالنظر البصريُّ للاستمتاع كالسياحة والراحة، والنظر[3] القلبي للاعتبار والتذكُّر، ولقد فَسَّرت

---

(1) هذه الآيات هي: سورة آل عمران: 137؛ سورة الأنعام: 11؛ سورة يوسف: 109؛ سورة النحل: 36، 46؛ سورة النمل: 69؛ سورة العنكبوت: 20؛ سورة الروم: 9، 42؛ سورة سبأ: 18؛ سورة فاطر: 44؛ سورة غافر: 21، 82؛ سورة محمَّد: 10. وفي القرآن الكريم فرق بين السير والمشي، إذ غلب على السير مفهوم السياحة، أمَّا المشي فغلب عليه مفهوم التنقل القصير. والفروق الدقيقة الأخرى تحتاج إلى بحث.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج 7/ ص149.

(3) من تعاريف النظر أنَّه: «تقليب البصر أو البصيرة في إدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به=

آية سورة الحج فائدة هذا النظر: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الآية: 46)، فالذي يفيده السير على مناكب الأرض والنظر إلى مواطن الاعتبار هو:

التعقُّل، والسماع، والإبصار، مع التأكيد على أنَّ الإبصار الحقيقيّ هو إبصار القلب لا العين.

وإذا لم يكن مع السير في الأرض تدبُّر ونظر واعتبار فإنّه مِمَّا ينهى الله تعالى عنه: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ (سورة لقمان: 18 ـ 19). ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (سورة يوسف: 105).

وأبرز ما يلاحظ في هذا السياق هو أنَّ الأمر بالنظر إلى الماضي ليس أمرا لمجرَّد لذَّة البحث والمعرفة والاستكشاف، وإنّما المقصد الأساسيُّ هو إرهاف الحواس، وشحذ القدرات العقليّة، لإعداد إنسان يستطيع أن يبني مستقبلاً حضارياً راقياً، ذلك «أنَّ النظر والبحث والتجوال في تاريخ البشرية، إنَّمَا هو جهد إيجابي، لن يكون مردوده إلاَّ على الحاضر والمستقبل، ولن يفيد منه إلاَّ الذين يشحذون حواسهم وقدراتهم العقليّة لكي يستخلصوا المغزى والمعنى ويسيروا على هداهما»(1).

ولـولا التنقُّل يـذكـي شعـوري ويرهف حسِّي، ويبلو رشادي
لغاض معيني، وأجبل فكري وعشتُ بليداً كبعض العباد(2)

ولا يلتفت إلى الذين ينقصون من قيمة كلِّ قديم ليُعلوا من شأن كلِّ جديد، وينكرون الماضي مدَّعين أنَّه يعيق عن بناء الحاضر، وعن التطلُّع إلى

= التأمُّل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية، يقال: نظرت فلم تنظر، أي لم تتأمل ولم تتروَّ».
رشيد رضا: تفسير المنار، ج9/ ص460 ـ 461.

(1) عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 112.
(2) مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر؛ المعهد التربوي الوطني، الجزائر؛ ط: د. ت؛ ص 101.

المستقبل؛ والحقُّ أنَّ الطبيعة نفسها ترفض هذا الزعم، «ألا ترى أنَّ الشمس قد غربت حقّاً، ولكنَّ الدفء الذي يشعُّ في جوف الليل مصدره شمس النهار السابق، إنّنا نظلُّ نستشعر الدفء في الغرفة بعد انطفاء النار في المدفأة.

إنَّ الأخلاق دين مضى، كما أنَّ الفحم في باطن الأرض حصاد قرون ماضية»[1].

ب) قصُّ القصص ووعي الماضي:

القصص في القرآن الكريم من أكثر المواضيع تفصيلا، فكثير من سور القرآن يشتمل على قصص، والرسول ﷺ يقول عن القرآن: «فيه خبر من قبلكم»[2]. بل لأهمية القصَّة في القرآن سمَّى الله تعالى سورة بأكملها: سورة القصص.

ونسوق ثلاث آيات فيها المغزى من قصِّ القصص، والهدف من سرد أخبار من قد سبق:

- قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: 176).

- وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة هود: 120).

- وقال جلَّ من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة يوسف: 111).

وإذا حاولنا - من خلال هذه الآيات - أن نحصر الفوائد التي يجنيها الإنسان من جرَّاء قصِّ القصص، فإنّنا نجدها تصبُّ - في مجملها - في غاية واحدة هي نفسها «غاية القرآن الكريم العامَّة: التي ترتكز على إصلاح الفرد، والمجتمع، والحياة جميعاً»[3].

---

(1) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**، ص209.

(2) تقدَّم تخريجه.

(3) أبو جندي، خالد أحمد (الدكتور): **الجانب الفنِّي في القصَّة القرآنية: منهجها وأسس**=

وأبرز هذه الفوائد والغايات:

ـ **التفكُّر**: وذلك صريح في آية سورة الأعراف، ولقد بيَّن العقَّاد أهمية التفكير وضرورته للإنسان المسلم ـ من خلال القرآن الكريم ـ، في كتابه القيِّم: التفكير فريضة إسلامية. وقد قال بعض العلماء: «إنَّ الفارق الحقيقيَّ بين الإنسان المدني والإنسان الوحشيّ هو التفكير»[1].

وقد سبق أن بيننا أنَّ التفكُّر والتذكُّر هما من دعامات وعي الزمن، ونستنتج من آية الأعراف أنَّ النظر في التاريخ يوقظ في الإنسان ملكة التفكّر: فالتفكُّر إذن ضرورة لوعي الزمن، ووعي الزمن مقدِّمة للتفكّر.

ـ **ثبات الفؤاد**: في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، أي نجعله ثابتاً لا يتزعزع، و«نقوِّيه ونجعله راسخاً في ثباته كالجبل، في القيام بأعباء الرسالة، ونشر الدعوة»[2].

وغنيٌّ عن البيان أنَّ ثبات الفؤاد من أهمِّ خصال الداعي إلى الله، ولذلك يعاقب الله الذين يغفلون عن هذه الوظيفة ـ بناء على أنَّ العقاب في الآخِرَة من جنس العمل في الدُّنْيَا ـ يعاقبهم بزعزعة أفئدتهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (سورة إبراهيم: 42 ـ 43). ويقرِّر سعيد حوى أنَّه «لا شيء يدلُّ على صدق الإنسان مع الله، مثل استمراره في حمل الدعوة في كلِّ الظروف»[3].

ـ **العبرة**: ولولا العبرة لَما قصَّ الله القصص، فهو تعالى منزَّه عن العبث:

= بنائها (نظرية بناء القصَّة الفنية في القرآن)؛ دار الشهاب، باتنة، الجزائر؛ د.ت؛ ص 257.

(1) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج 9/ ص409.

(2) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج 12/ ص195 ـ 196.

(3) سعيد حوى: **في آفاق التعاليم: دراسة في آفاق دعوة الأستاذ البنا، ونظريات الحركة فيها، من خلال رسالة التعاليم**؛ سلسلة دراسات منهجية هادفة، رقم 5؛ مكتبة رحاب، الجزائر؛ ط: 1408هـ/ 1988م؛ ص142.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾، ولكن ليس لكلِّ الناس، وإنَّما عبرة خاصَّة بأولي البصيرة والعقول والنهى: ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

ويقول صاحب كبرى اليقينيات الكونية «إنَّ التاريخ دائما ليس ملكاً إلاَّ للزمن الذي ولد فيه، لا يورث أمجاداً ولا انحطاطاً، وإنَّما يورث شيئًا واحداً فقط هو: العبرة»(1).

فإذا كان الإنسان مفكِّراً، وثابت الفؤاد، ومعتبرا، فهو بالتالي من أولي الألباب، وهو بلا شكٍّ سيسهم في بناء حضارة قائمة على أساس إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل، ولا يتأتَّى له ذلك إلاَّ بالنظر في قصص الأوَّلين، ومن هنا نفهم مقصد القرآن من الأمر بالنظر في الماضي، وما تفسير التاريخ من خلال القصص القرآني إلاَّ إقرار بأنَّ «الحاضر هو نتيجة الماضي، وأنَّ المستقبل متوقِّف على الحاضر»(2).

ولكن: ما هو المنهج الأمثل للاستفادة من الماضي؟

لا شكَّ أنَّ بين الاهتمام بالماضي والتعلُّق به فرقا جوهرياً، تماماً مثل الفرق الشاسع بين الإنسان الراكد والإنسان المتحضِّر.

فالحقيقية التي لا مراء فيها هي أنَّه: لا بدَّ من الماضي.

ولكن: إلى أيِّ حدٍّ نقف في اهتمامنا به؟ وهل يجوز لنا أن نتبنَّى صوابه وخطأه، ونتعصَّب لِما يحمل من حقٍّ أو باطل؟

أمَّا الجواب الذي جاء به القرآن الكريم، فقد صيغ في آية صريحة في هذا الموضوع، هي جِماع منهج التعامل مع الماضي، فيقول تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة: 134، 141). وتفسِّرها آيات أخرى قال فيها جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

---

(1) البوطي، محمَّد سعيد رمضان (الدكتور): كبرى اليقينيات الكونية؛ دار الفكر-الملكية، دمشق ـ الجزائر؛ ط 8: 1402 هـ/ 1982م؛ ص53.

(2) نفرة التهامي (الدكتور): سيكولوجية القصَّة في القرآن؛ رسالة دكتوره الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر؛ الشركة التونسية للتوزيع، تونس؛ ط: 1974م؛ ص180.

(سورة الأنعام: 164) [1].

فالله تعالى «يسأل كُلاًّ عن عمله لا عن عمل غيره»[2]، فلو سئلنا عمَّا اقترف أجدادنا لكان في ذلك عنتا كبيرا، ومع هذا فإنَّ بعض المؤرِّخين ـ وخاصَّة كتَّاب المقالات منهم ـ يحمِّلون الخلَف تبعات السلف، وهذا ليس من آداب القرآن في شيء[3].

والقرآن الكريم سبق في عتاب الذين ينكرون الحقّ لا لشيء إلاَّ لكونه مِمَّا لم يألفوه عن آبائهم، ولم يعهدوه في تاريخهم، فهم بسلطان الماضي يبرِّرون ضلالهم ويتعصَّبون له، ونستشهد من بين الآيات الكثيرة في هذا الموضوع بقوله تعالى:

- ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: 28).

- ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الشعراء: 71 ـ 77).

- ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سورة الزخرف: 23 ـ 24)[4].

---

(1) وانظر الآيات التالية: سورة الإسراء: 15؛ سورة فاطر: 18؛ سورة الزمر: 7؛ سورة النجم: 38.

(2) سعيد بن محمَّد الكندي: **تفسير القرآن الكريم**؛ تحقيق: محمَّد باباعمي ومصطفى شريفي؛ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان؛ 1417هـ/ 1996م؛ ص33.

(3) وانظر مثلاً في نقد من يفعل هذا: علي يحيى معمَّر: **الإباضيَّة بين الفرق الإسلامية**؛ المطبعة العربية، غرداية، الجزائر؛ كلُّه. عمر بن الحاج محمَّد صالح با: **دراسة في الفكر الإباضي**؛ مطبعة العقيدة، سلطنة عمان؛ ط: 1407 هـ/ 1986م؛ ص47 ـ 64.

(4) وانظر الآيات الآتية: سورة البقرة: 170؛ سورة المائدة: 104؛ سورة الأعراف: 70، =

وإذا كان هذا الأسلوب من التعامل مع الماضي منكراً وممنوعا[1]، لما يورث من مضادَّة الحقّ والانتصار للباطل، فإنَّ المنهج الأمثل هو الاعتبار والاتعاظ بالماضي، وتتبُّع سنن الله في الأنفس والمجتمعات، و«تدبُّر أحوال الأمم: كيف تقوم، وكيف تنهار؟ وكيف تتقلَّب بين ازدهار وانحدار؛ والله عزَّ وجلَّ يطلب من الناس أن يلتفتوا إلى هذه الأدوار المتعاقبة، وأن يكون لهم وعي حصيف يوجِّههم إلى الانتفاع بها»[2].

وأصحاب التصوُّف أنفسُهم يقسِّمون الوقت إلى أربعة أوقات ينسبونها إلى أصحابها: أصحاب السوابق، وأصحاب العواقب، وأصحاب الوقت، وأصحاب الحقّ. أمَّا أصحاب السوابق، فقلبهم دوما فيما سبق لهم من ا لله؛ وهم يقولون: «من أقصته السوابق لم تُدنه الوسائل»، ففكرهم في هذا أبدا، ومع هذا يجدُّون في القيام بالأمر واجتباب النواهي[3].

ومجمل القول: إنَّ الماضي ضرورة لصنع الحضارة، كما أنَّ الأساس ضرورة لبناء العمارة، ولكن الركون إلى الماضي والتمسُّح بأطلاله، تماما كمثل بناء الأسس والاقتصار عليها؛ فكما أنَّ هذا لا يعلي العمارات، فإنَّ ذاك لا يصنع الحضارات.

والجمود على القديم من سمات الإنسان المتخلِّف، الذي يعجز عن الإبداع والعطاء، فعيناه في قافيته، وبصيرته رهن ماضيه، فهذا الموقف السلبي

= 95؛ سورة يونس: 78؛ سورة هود: 62، 87؛ سورة المومنون: 24؛ سورة الأنبياء: 52، 53؛ سورة القصص: 36؛ سورة لقمان: 21؛ سورة الزخرف: 22؛ سورة الدخان: 36؛ سورة الجاثية: 25.

(1) القرضاوي، يوسف (الدكتور): **الوقت في حياة المسلم**، الدار المتحدة ـ مؤسَّسة الرسالة، دمشق، سورية؛ ط6: 1413هـ/ 1992م؛ ص46 ـ 47، 50.

(2) الغزالي، محمَّد: **خلق المسلم**؛ دار الشهاب، باتنة، الجزائر؛ ط: 1985 م؛ ص230.

(3) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر: **مدارج السالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**؛ تحقيق وتعليق: محمَّد المعتصم بالله البغدادي؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ ط: 1410هـ/ 1990م.

«ضارٌّ في الدين، كما هو ضارٌّ في أيّة ناحية أخرى من نواحي النشاط الإنساني، فهو يقضي على حرية الذات المبدعة، ويسدُّ المنافذ الجديدة للإقدام الروحاني»[1].

والحقُّ «أنَّنا نملك القوَّة على الطبيعة وعلى التاريخ، إذا كانت لدينا القوَّة على أنفسنا، هذا هو موقف الإسلام من التاريخ»[2]، وهو في حدِّ ذاته ملخَّص موقف القرآن من الماضي.

2) الحاضر: وعيه والاستفادة منه:

هل الحاضر زمن، أم هو شيء غير الزمن؟

ما حدُّ الحاضر: أين يبدأ وأين ينتهي؟...

أسئلة كثيرا ما اشتغلت الفلسفة بالبحث فيها، فأطلقت عليها اسم: الآنات، فكان لأفلاطون ولأرسطو رأيهما، ولابن البركات البغدادي ولابن رشد رأيهما؛ ولنيوتن ولإينشتاين رأيهما[3].

وبعيدا عن الطروحات الفلسفية، وعن البحث في الماهية، يفيدنا القرآن بالبحث في: كيف نعي الحاضر، وكيف نستغلُّه لنخدم به الجانب الإيجابي من حياتنا؟ وكيف نتخلَّص من سلطان الماضي ومن شبح المستقبل بالسعي والجدِّ والثقة في الله تعالى؟.

وفي إحياء علوم الدين لحجَّة الإسلام الغزالي نصٌّ عميق يعين على تصوُّر الحاضر في القرآن الكريم، ونعتبره مدخلا هامًّا لوعيه والاستفادة منه، فهو يقول: «إنَّ الساعات ثلاث:

---

(1) إقبال، محمَّد: **تجديد التفكير الديني في الإسلام**؛ ترجمة: عبَّاس محمود؛ مراجعة: عبد العزيز المراغي؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر؛ ط: 1955م؛ ص211.

(2) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**، ص324.

(3) بدوي عبد الرحمن: **الزمان الوجودي**؛ دار الثقافة، بيروت، لبنان؛ ط: 1973م؛ كلُّه. قسوم عبد الرزاق: **مفهوم الزمان**، ص51 ـ 68.

ساعة مضت لا تعب فيها على العبد، كيفما انقضت: في مشقَّة أو رفاهية.

وساعة مستقبلة لم تأت بعد، لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا؟ ولا يدري ما يقضي الله فيها.

وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه، ويراقب فيها ربَّه؛ فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسَّر على فوات هذه الساعة، وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقَّه منها كما استوفى من الأولى (. . .) بل يكون ابن وقته، كأنَّه في آخر أنفاسه، فلعلَّه آخر أنفاسه وهو لا يدري، وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسك [ه] فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت، وهو على تلك الحالة»[1].

وبتتبُّعنا للآيات القرآنية نستخرج آيات كثيرة تدعو إلى الاهتمام بصناعة المصير واستغلال الحاضر، وتنبذ التحسُّر على الماضي، وتنهى عن الأمل الفارغ الذي لا تكون عاقبته إلاَّ وخيمة: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ* رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ* ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ (سورة الحجر: 1 ـ 3).

فمن الآيات التي تحثُّ على وعي الحاضر وبناء الذات قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (سورة الرعد: 11).

هذه الآية التي تحمِّل الإنسان مسؤولية واقعه ومصيره، بعد أن منحه الله الحريَّة المطلَقة داخل إطار زمنه وحاضره؛ ذلك أنَّه ليس للإنسان سلطان على الماضي، كما أنَّه ليس للماضي سلطان على الإنسان؛ وليس الإنسان مسؤولا عن المستقبل، كما أنَّ المستقبل لا يمكنه أن يحرِّك الإنسان في إطار حاضره.

ومن هنا ينبغي على الإنسان أن يكون فعَّالاً في حدوده الزمانيَّة والمكانية[2]، فالإنسان يمكن أن يعيش في دائرته ويشغل حاضره بالحركة كما

---

(1) الغزالي، أبو حامد محمَّد بن أبي حامد: **إحياء علوم الدين**؛ تخريج الحافظ العراقي؛ دار الثقافة، الجزائر؛ ط1: 1411هـ/ 19991م؛ ج6/ ص16 ـ 17.

(2) في مؤلَّفات الدكتور جودت سعيد ـ سلسلة أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع ـ=

قد يملأه بالكلام، والحقّ أنّه لعدم توفُّر المنطق العمليّ ـ أو الحركة في إطار الحاضر ـ في سلوك المسلم المعاصر، «لا يقال: إنَّ المجتمع الإسلامي يعيش تبعاً لمبادىء القرآن، فالأصوب أن يقال: إنّه يتكلّم تبعا لمبادىء القرآن (. . .) إنَّ الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة، ولكن منطق العمل والحركة، فهو لا يفكِّر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجرَّداً»[1]، وهو لا يتوقَّع ليحضِّر، بل ليشغل الدُّنيا هولاً وتهويلاً.

فالتجربة تدلُّ على أنَّ «المجد والنجاح والإنتاج تظلُّ أحلاماً لذيذة في نفوس أصحابها، ما تتحوّل حقائق حيّة إلاّ إذا نفخ فيها العاملون من روحهم، ووصلوها بما في الدنيا من حركة»[2].

وإذا حاولنا أن نفسِّر هذا المفهوم بلغة الزمن، فإنَّنا نقول: إن الفكرة والكلمة تتحرَّكان بحرية في جميع الأزمنة: من أعمق نقطة في التاريخ، إلى أبعد نقطة في المستقبل؛ أمّا العمل والفعالية فليس مجال حركتهما سوى الحاضر والحاضر وحده. أمّا أثرهما فيتعدّى حدود المسقبل الدنيوي، إلى المستقبل ما بعد الدنيوي: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة التوبة: 105).

ومثل هذا المنطق السقيم في التعامل مع الحاضر[3] ـ أي منطق الكلام عن

= نقرأ دقائق هذه الفعالية، وقد استند فيها على القرآن الكريم، وحلَّل مصطلحات قرآنية مثل: التغيير، والإنسان العدل، والإنسان الكلّ. . . ومن هذه الكتب نحيل إلى:
الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً؛ المطبعة العربية، غرداية، الجزائر؛ 1990م. **حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم**؛ المطبعة العربية، غرداية، الجزائر؛ 1990م.

(1) مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ص96.

(2) الغزالي، محمَّد: **جدِّد حياتك**؛ د.م.ط؛ ط1: 1375هـ/ 1956م؛ ص59.

(3) في ديوانين من دواوين الدكتور محمَّد ناصر، نلاحظ نقده لهذا الموقف السلبي لدى العرب في مواجهة أزمات العصر: أزمة البوسنة والهرسك، أزمة العراق، أزمة ليبيا. . . ففي قصيدة: «رسالة متأزِّمة إلى ولدي»، يقول مخاطبا ابنه:
فاربأ بنفسك أن تكون كجيلنا نبني الكلام، وغيرنا يبني العجاب =

الماضي والتسويف للمستقبل - مِمَّا ينكره القرآن أشدَّ الإنكار، ويسمِّيه: مقتاً ونفاقاً. فيقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ (سورة الصف: 2 ـ 3).

بل إنَّ قصَّة المنافقين في سورة آل عمران، تبيِّن بوضوح أنَّهم قبل الجهاد يخدعون الناس بكلامهم، أي يتعاملون مع الحاضر بالتسويف للمستقبل الذي لا يملكون زمامه؛ وبعد القتال يشكِّكون في حقيقة النصر والجهاد، أي يتعاملون مع الحاضر بذكر الماضي الذي لا يمكلون زمامه: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (الآية: 166 ـ 168)[1].

وللمبالغة في تشنيع النمط السلبي في التعامل مع الحاضر، نهى الرسول ﷺ عن: "لو" التي هي منطاد سحريٌ يركبه الضعفاء للتحرُّر من مسؤولية الحاضر، وقد ينتقلون به إلى الماضي، أو يسبحون به في أغوار

= واحذر وجيلك أن تقولوا مثلنا: كان الجدود، فكان ماض لا يهاب

محمَّد ناصر: **ألحان وأشجان**؛ نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر؛ 1416هـ/ 1995م؛ ص15 ـ 16.

وفي قصدية: «عرب الكلام» يقول:

أواه يا عرب الكـلام، أمصر تثأر أم شتم (. . .)
فعلـوا فقلنـا، فـالبيـان لنـا، بـوادينـا أقـام
نحروا، فحرَّرنا الصحائف، إنَّ حرفتنا كلام

محمَّد ناصر: **في رحاب الله**؛ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، غرداية، الجزائر؛ 1991م؛ ص27-31.

(1) يلاحظ في الآية الجدلية القائمة بين صناعة الحاضر، وضباب الماضي وسراب المستقبل.

المستقبل، والرسول ﷺ يقول: «الْمُؤْمِن الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِن الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ باللَّهِ، وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1].

ومن أبلغ صور الحاضر في القرآن الكريم، قول الله تعالى في آيات عديدة: «اليومَ»، و«الآنَ»، ونورد أنموذجا واحدا لهذه الآيات، وهو قوله عزَّ وجلَّ:

﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ (سورة المائدة: 3).

وهذه الآية وغيرها من الآيات التي جاء فيها هذا اللفظ بهذا المعنى - تعطي الإحساس لدى قارئها ومستمعها بثقل الحاضر ووزنه، وتكرُّر لفظ: «اليوم» في آية واحدة له دلالته البلاغية، خاصَّة وأنَّ المقام مقام قوَّة وعزَّة للمُومنين، وذلَّة ويأس للكافرين، فمعنى الآية الأولى: «لا حاجة بكم الآن إلى مداهنة هؤلاء الكفار، لأنَّكم الآن صرتم بحيث لا يطمع أحد من أعدائكم في توهين أمركم»[2].

وينبغي أن نلاحظ العلاقة بين وعي الحاضر وبين القوَّة والتمكُّن، ذلك أنَّ المتخلِّف لا يفتخر بحاضره، وإنَّما هو ابن أمسه أو سرابِ مستقبله، ووعي الحاضر في أعمق صوره هو: «الوعي اليقظ»[3]، والحرية الفعَّالة.

---

(1) الحديث رواه مسلم في كتاب القدر، الحديث رقم 4816 بسند: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ نُمَيْرٍ قَالاَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ رَبِيعَةَ ابْنِ عُثْمَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.
ورواه ابن ماجه في المقدِّمة بلفظه، حديث رقم 76؛ وفي كتاب الزهد، حديث 4158 بلفظ قريب، وفيه: «فإنَّ اللو تفتح عمل الشيطان».
العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «لو تفتح عمل الشيطان».

(2) الرازي: التفسير الكبير، ج11/ ص 137.

(3) شبنجلر أسوالد: تدهور الحضارة الغربية؛ ترجمة: أحمد الشيباني؛ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ ص54.

ولا يسمح القرآن للإنسان المسلم أن يخلط بين وعي زمنه وحاضره، وبين الاستهتار بدعوى الحرِّيَّة المطلَقة في إطار وجوده، فالمنطق الأشلُّ يتمثَّل بقول الشاعر:

ما مضى فات والمؤمَّل غيب ولك الساعة التي أنت فيها(1)

فنقرأ عن الدهريين قولهم: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ (سورة الجاثية: 24).

فمن الناس «أناس لا ينظرون إلى الماضي، ولا يتطلَّعون إلى المستقبل، إنَّهم يعيشون ليومهم وفي يومهم: الماضي قد فات، وما فات مات، وما مات لايسوغ الانشغال به، أو التفكير فيه؛ والمستقبل عندهم غيب، والغيب مجهول، ولا ينبغي للإنسان الواقعي أن يتعلَّق بالمجهول، لأنَّه كالبناء على الرمل، والكتابة على الهواء. إنَّهم أبناء يومهم»(2).

وقد يصل الشعور والنشوة المفرطة بالإحساس بالحاضر إلى الفرح، والأمن من مكر الله وغضبه، ويكون هذا الشعور غالبا بعد نعمة أو إثر رحمة من الله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس: 22)؛ ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ﴾ (سورة الروم: 36)، ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ﴾ (سورة آل عمران: 188).

ويبدو الأسلوبان: السلبي والإيجابي لوعي الحاضر في القرآن الكريم بجلاء في قصَّتين من قصص القرآن هما: قصَّة قارون، وقصَّة أصحاب الجنَّة.

ونكتفي بقصَّة قارون كأنموذج:

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا

---

(1) البيت لإبراهيم بن يحي الغزّي، وانظر: دندشي، حسن نمر: **معجم الأبيات الشهيرة**؛ جروس برس، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ قافية الهاء، ص250.

(2) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**، ص45.

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ
إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ
يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن
ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ
خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا
كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ
بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ * تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص: 76 ـ 83).

والملاحظ في هذه الآيات:

ـ أنَّ قارون كان ابن وقته ولذلك فرح وبغى على قومه.

ـ نصحه قومُه بالعمل للدار الآخِرَة، أي المستقبل الأخروي.

ـ وأن لا ينسى نصيبه من الدُّنـيَا، أي يعطي للحاضر حقَّه عملا ومتعة.

ـ إنَّه أنكر فكرة الفناء بنسيانه لمصيره، وفي قصَّة أصحاب الكهف صرَّح الظالم بهذا في قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ (سورة الكهف: 36).

ـ إنَّ الله تعالى ذكر المنهج الأمثل للتعامل مع الماضي، وذلك بمعرفة مصير الأولين خاصَّة مِمَّن هو أشدُّ قوَّة منَّا.

ـ إنَّ ضعاف العقول يتعلَّقون بمظاهر الحاضر، دون وعي لمصير تلك المظاهر ومآلها، أمَّا العلماء العقلاء فينظرون إلى عاقبة الأمور، أي لهم وعي بالمستقبل بشقيه: الدنيوي، والأخروي.

ـ إنَّ عامَّة الناس تعرف مصير الأمور بعد فوات الأوان، فهم تمنوا مكانه بالأمس، وندموا على هذا الفعل بعد هلاكه.

ـ إنَّ المصير والدار الآخِرَة هي للذين يستغلُّون حاضرهم في فعل

الخيرات، ولا يتعالون على الناس: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

واليهود ـ عبر التاريخ ـ لم يرتبطوا بفكرة الخلود والمصير الأخروي، ولم يتقبلوها «ويقرِّر موسى بن ميمون ـ وهو أكبر مفكِّر يهوديٍّ ظهر في العصور الوسطى ـ أنَّ الخلود فكرة غير ذات موضوع، لأنَّها تنقض نفسها بنفسها، وذهب بندكت سبنوزا ـ وهو فيلسوف يهودي آخر ـ أبعد من ذلك، فصرَّح بأنَّ العهد القديم لا يذكر شيئًا عن الخلود، لقد لاحظ رينان ومِن بعده برديائيف أنَّ اليهود لم يستطيعوا أن يتقبَّلوا فكرة الخلود لأنَّها لا تنسجم مع فكرتهم عن العالم، الذي لا يرون فيه سوى هذا الجانب الدنيوي، ويعملون على إقامة جنَّة أرضية، لا في العالم الآخر، وإنَّما: هنا، والآن»[1]. وهذا من أخسِّ أنواع التعامل مع الحاضر، إذ يلبسونه لبوس الخلد والدوام، وينكرون الخلد والدوام الحقيقيين، ولهذا عنون شهود يهوه كتابهم الدعائي بعنوان يمثِّل هذا المنحى: «يمكنكم أن تحيوا إلى الأبد في الفردوس على الأرض»، وفيه نطالع العجب العجاب من محاولة تكريس فكرة الحاضر الأرضيِّ[2] على حساب المصير الأخرويِّ المحتوم.

أمَّا الصواب فهو أنَّ فكرتي الخلود ووعي الحاضر لا تتناقضان وإنَّما تؤثِّر الواحدة منهما في الأخرى، فبدون الأولى لا نفهم الثانية، وبدون الثانية لا نتصور الأولى، و«حينما يكون [الوقت] لازما للمحافظة على البقاء، أو لتحقيق الخلود، والانتصار على الأخطار، يسمع الناس فجأة صوت الساعات الهاربة، ويدركون قيمتها التي لا تعوَّض، ففي هذه الساعات لا تهمّ الناس الثروة أو السعادة، أو الألم، وإنَّما الساعات نفسها، فيتحدَّثون حينئذٍ عن ساعات

---

(1) بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، 271 ـ 272. وقد أحال إلى المصادر الأساية لهذه الفكرة.

(2) نشـــر هـــذا الكتـــاب: U.S.A,. Watchtowr Bible and Tract society, New York, 1985-1990. وقد نشروا منه 47 مليون نسخة بـ 93 لغة من لغات العالم. ويوزِّعونه مجَّانا في أغلب دول العالم.

العمل، عن العملة الوحيدة التي لا تبطل»[1].

إنَّ هذه الساعات لا يمكن أن تكون إلاَّ الحاضر في أبلغ معانيه وأسماها.

3) المستقبل: وعيه والاستفادة منه:

قصَّة آدم عليه السلام تشغل حيزا هامًّا من قصص القرآن، ذلك أنـَّها تضع الأسس لمفاهيم وقيم هي الركيزة في تركيبة ذهنية الإنسان عبر العصور، هذا المخلوق «الذي خلق من تراب (...) وارتقى بالخلق السويِّ إلى منزلة العقل والإرادة»[2].

وقصَّة نشأة آدم هي إحدى قصص الخلق والتكوين «وفي هذه القصص جميعا من أمر الغيب ما هو حقّ الإيمان، وفيها من أمر الحياة الإنسانية ما يسعه خطاب العقل»[3].

ويلاحظ في أطول مشهد من مشاهد قصَّة آدم عليه السلام ـ مشهد سورة البقرة ـ أنَّ المستقبل ـ وحقيقته ـ يبدو ماثلا بمعالمه ومفاهيمه الدقيقة، ويكفي أن نقرأ هذه الآيات قراءة تحليلية لنتبيَّن مدى قيمة هذا الحكم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(...) وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ(...) قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (الآيات: 30 ـ 39).

بما أنَّ هذا «العرض يضع حجر الزاوية لكافة العروض القرآنية التالية في الزمن»[4] فإنـَّنا سنحاول استنباط مفاهيم للمستقبل من خلاله: كيف تتم معرفته؟ ما هي أنواعه؟ ما هي أهمُّ سماته؟:

---

(1) مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ص139 ـ 140.

(2) العقَّاد: **الإنسان في القرآن**، ص 54 ـ 56.

(3) العقَّاد: **الإنسان في القرآن**، ص 54 ـ 56.

(4) عماد الدين خليل: **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ص99.

1 ـ العلم بالمستقبل وتوجيهه صفة من صفات الله عزَّ وجلَّ، وخاصية من خصوصياته، لا يشاركه فيه أحد: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وللتوكيد في الآية دلالته، إذ لا يستطيع أيُّ إنسان أن يعلن عن فعل شيء في المستقبل دون مشيئة الله، فالله تعالى يأمُرُنا ـ من خلال أمر نبيِّه محمَّد ﷺ ـ في آية أخرى بقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (سورة الكهف: 23) فهو جلَّ جلاله «أكَّد النهي بنون التوكيد: لا تقل أبدا؛ فهو توكيد من جهة، وتعميم من جهة أخرى، التوكيد في النهي، والتعميم في كلمة شيء، مهما صغر الشيء وحقر، ومهما ظننت أنَّه طوع أمرك، وطوع يدك، وأنَّه لا يفوتك»[1] فلا تقل: سأفعله، إلاَّ إذا قلت: إن شاء الله.

2 ـ في إمكان الإنس والجن والملائكة أن يتوقَّعوا ما سيقع في المستقبل بناء على ملاحظات وقراءات في الماضي والحاضر، وهذا ما لا ينهى الله سبحانه عنه، ولكنَّ هذا التوقُّع ـ مهما وصف بأنَّه علميٌّ وصادق ـ يحتمل الخطأ والصواب، ففي هذه الآيات توقَّع الملائكة أنَّ الناس سيفسدون في الأرض ويسفكون الدماء.

فصدقوا في هذا التوقُّع، وقد يكونون نظروا إلى أنواع من الحيوانات الشهوانية تتقاتل في الأرض قبل خلق الإنسان الأوَّل ـ آدم عليه السلام ـ الذي أضاف إلى الشهوة العقلَ، فظنُّوا أنَّ الإنسان سيكون مثلها، أو قد يكونون علموا أنَّ الإنسان صاحب شهوات ـ لا كالملائكة ـ ولذا فإنَّه سيتصرَّف استجابة لها، فيتقاتل ويسفك دم أخيه الإنسان.

وهذا التوقُّع كان صادقاً إلى حدٍّ، غير أنَّه نظرٌ إلى الجانب السلبي دون الإيجابي، فوصف بأنَّه: متشائم. والحقّ أنَّ الله أعطى الإنسان ميزات ستتغلَّب في كثير من الأحيان على الجانب الشهواني منه، ومن هذه الميزات: الوحي، وتوبة الله على المذنب، والعلم...

وهنا نستنتج فكرة أخرى عن التصوُّر المستقبلي، وهي: أنَّ على الإنسان

(1) بيّوض: في رحاب القران تفسير سورة الكهف، ج2/ ص129.

أن يتصوَّر المستقبل ويحتمله، ولكن لا يقبل منه الميل إلى التشاؤم المفرط ولا إلى التفاؤل المهلك، ويكفي أن نتتبَّع الآيات التي جاء فيها لفظ «عسى» لنفهم هذه الفكرة. ومنها:

- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 216).

- ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: 19).

- ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ (سورة المائدة: 52).

- ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] (سورة التوبة: 102).

ولا شكَّ أنَّ كلّ مظهر من مظاهر اليأس مرفوض، ولا يتمُّ إيمان المرء إلاَّ يالإيمان بمستقبل يرضي به ربّه، غير أنَّ التراث الإسلامي في عصور الضعف، أقنع عامـَّة المسلمين بـ «أنّنا اليوم في آخر الزمان، وأنَّ علامات الساعة قد ظهرت، وأنَّ الخير في إدبار والشرَّ في إقبال، وأنَّ التديُّن يخبو مصباحه يوما بعد يوم حتَّى يتمَّ انطفاؤه، وأنَّ الكفر سيعمُّ الأرض، حتَّى لا تقوم الساعة إلاَّ على كافر بن كافر، وإذن لا أمل في علاج ولا رجاء في إسلام»[2]، ويستدلُّ هؤلاء بأحاديث الفتن وأشراط الساعة، معطِّلين آيات كثيرة تنهى عن الخنوع والإستكانة، وتأمر ببذل الجهد في تمكين الإسلام في الأرض.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (سورة الزمر: 53).

---

(1) وانظر الآيات الآتية: سورة النساء: 84، 99؛ سورة المائدة: 52؛ سورة الأعراف: 129، 185؛ سورة التوبة: 18؛ سورة يوسف: 21، 83؛ سورة الإسراء: 8، 79؛ سورة الكهف: 24، 40؛ سورة مريم: 48؛ سورة القصص: 9، 22، 67؛ سورة الممتحنة: 7؛ سورة التحريم: 5، 8؛ سورة القلم: 32.

(2) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**، ص42.

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (سورة الحجر: 56).

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (سورة النور: 55).

والغريب أنَّ التشاؤم بالمستقبل ومصير الإنسان ليس ملازماً ـ دائماً ـ للتجمُّعات المتخلِّفة، بل الصواب أنَّه «كلَّما زيدت الرفاهية والرخاء كلَّما تعاظم الشعور باليأس والخواء. . . وعلى عكس ذلك، يمكن أن تكون المجتمعات البدائية فقيرة تتفاقم فيها الاختلافات الاجتماعيَّة الحادَّة، ولكن كلّ ما نعلمه عنها يشير إلى أنَّ حياتها مليئة بمشاعر قوية خصبة (. . .) وقد كشفت أبحاث جالوبو Galupo والتي أجراها تحت عنوان The whole Maukind's opinion سنة 1975 عن أنَّه بعكس الروح التشككية التي تطبع الناس في البلاد المتقدِّمة، نجد الشعوب الفقيرة في أمريكا الجنوبية وإفريقيا ينظرون إلى المستقبل بطريقة تفاؤلية»[1].

3 ـ إنَّ المستقبل مستقبلان: مستقبل دنيويٌّ ومستقبل أخرويٌّ، وكلاهما غيب، ففي الآيات السابقة نقرأ.

أ) المستقبلَ الدنيوي في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (سورة البقرة: 36)، و﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة: 38).

هذا المستقبل تتحكَّم فيه سنن الله الكونية، وهو كلُّه صراع بين الحقِّ والباطل، بين الأرضيِّ والسماوي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ (سورة الانشقاق: 6).

فليس على من اتبَّع هدي الله من خوف ولا حزن، و«الخوف هو الذعر،

(1) بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ص127.

ولا يكون إلاّ في المستقبل (. . .) والحزن ضدّ السرور ولا يكون إلاّ على ماض»[1].

ب) أمّا المستقبل الأخروي، فنقرأه في قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: 38 ـ 39).

ومعلوم أنَّ المهمّة الأساسية للدين هي إعداد الإنسان للخلود ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الحشر: 18). «فالنظرة المستقبلية [إذن] نظرة أساسية في أصل الدين»[2].

وفي الأثر: «العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي[3] لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته[4]، ومن الشبيبة قبل الهرم، فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلاّ الجنّة أو النار»[5].

ومع أنَّ الله تعالى مستأثر بعلم الغيب إلاّ أنَّ النصوص تواترت بأنَّ الإنسان هو الذي يقرِّر مستقبله بإصلاح حاضره، ويقرِّر مآله ومصيره بالعمل في آنه ويومه.

أشكال التنبؤات المستقبلية:

لسائل أن يسأل: هل بين المستقبل الدنيوي والأخروي تضادّ وتنافر؟ أم أنّهما يتكاملان؟

---

(1) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج1/ ص 329.
(2) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**، ص51.
(3) إشارة إلى المستقبل الدنيوي للإنسان.
(4) إشارة إلى المستقبل الأخروي.
(5) بعد بحث في عدّة مصادر من الحديث النبوي الشريف لم أجده بهذا اللفظ ولا بلفظ قريب منه، وقد عده محقّق شرح النيل الشيخ عزّ الدين بليق حديثاً، وذكر في الهامش أنّه رواه مسلم، غير أنّي لم أجده عند مسلم.
اطفيش: **شرح كتاب النيل**، ج16/ ص 630 ـ 631.

في كتاب لقسطنطين زريق عنوانه: نحن والمستقبل، يقسّم التنبؤات المستقبلية إلى عدّة أنماط منها:

1) النمط البدائي[1]:

ويتمثّل في نوعين من التنبؤات:

أ) يقوم على أساس الاتـّصال بالآلهة، أو الأرواح، أو الجنّ، أو سواهما من قوى الغيب.

ب) يقوم على أساس الاستدلال بالظواهر الطبيعية، كمواقع النجوم ودرجاتها، وأحوال الطقس، ووجهات الطير في طيرانها، ومنه: التنجيم.

ولا شكَّ أنَّ هذا النمط يلقى رفضا قويا من القرآن الكريم، غير أنَّ زريق يتجاهل هذا الموقف الإيجابي، ليصل إلى نتيجة تقضي بأنَّ الغرب هو الذي حطَّم هذا النمط، متناسيا الآيات التي عالجت هذا الموضوع، ومنها:

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سورة سبأ: 14).

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (سورة الفرقان: 3).

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] (سورة العنكبوت: 17).

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: 131)[3].

---

(1) زريق قسطنطين: نحن والمستقبل؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط 1: 1977؛ ص65 ـ 69.

(2) وانظر الآيات الآتية: سورة الأنعام، 74؛ سورة الأعراف، 138؛ سورة مريم، 42؛ سورة الأنبياء، 52، 57؛ سورة الحج، 30؛ سورة العنكبوت، 25؛ سورة سبأ، 13.

(3) وانظر في الطيرة الآيات: سورة النمل، 74؛ سورة يس، 18-19.

=

2) النمط العقائدي:

وتحت هذا النمط يحشر موقف الإسلام من المستقبل، دون الرجوع إلى المصادر الموثوقة: القرآن والسنَّة. ويقول: «فمستقبلية الإسلام هي في نهاية الأمر أخروية، وتماثلها من هذا القبيل مستقبلية المسيحية».

ولم يقف عند هذا الحدِّ من الخلط، وإنَّما ادّعى أنَّ الغرب هو الذي حرّر العقل للعمل وصناعة المستقبلية الدنيوية، فقال: «عندما حدثت النهضة في غربي أوروبا في نهاية تلك العصور انبعثت مستقبلية من نوع آخر، مستقبلية نستطيع أن ندعوها: دنيوية (. . .) ففي الغرب جرت تحوّلات ثلاث:

- التحوُّل إلى الاعتقاد في أهمية العالم الدنيوي، ليصبح وسيلة لا غاية.
- التحوّل إلى الإنسان، والتركيز عليه فردا وجماعة، فهو فاعل ومسؤول.
- التحوّل من الإيمان بالوحي إلى الإيمان بالعقل»[1].

والناظر في هذا المنطق يتبيَّن له سقمه، فالإسلام هو الذي حوّل الناس من الاهتمام بالغيبيات المزيّفة إلى وعي الحاضر الدنيوي، مع التأكيد على أنَّ الدنيا وسيلة لا غاية، أمَّا الغرب فاتخذ الدنيا وسيلة وغاية[2].

= ورويت أحاديث كثيرة في الطيرة، وقد أحصيت الأحاديث التي جاء فيها لفظ "الطيرة" معرَّفا في الكتب التسعة، فوجدت عددها أربعاً وثلاثين مرَّة (34)، ومن هذه الأحاديث حديث رواه الترمذي جاء فيه: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ عَنْ عِيسَى بْنِ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا مِنَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» قَالَ أَبُو عِيسَى، وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَابِسٍ التَّمِيمِيِّ وَعَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ وَسَعْدٍ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ وَرَوَى شُعْبَةُ أَيْضًا عَنْ سَلَمَةَ هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ سَمِعْت مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَعِيلَ يَقُولُ كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ «وَمَا مِنَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» قَالَ سُلَيْمَانُ هَذَا عِنْدِي قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَمَا مِنَّا. كتاب السير، حديث 1539. ترقيم برنامج موسوعة الحديث.

العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «طيرة».

(1) زريق: نحن والمستقبل25 ـ 27، 70 ـ 75.

(2) وانظر ـ العلواني، طه جابر (الدكتور): إصلاح الفكر الديني؛ سلسلة محاضرات المعهد=

ولا يعرف كتاب ركَّز على قيمة الإنسان مثلما ركَّز القرآن الكريم[1].

أمّا التحوُّل من الإيمان بالوحي إلى الإيمان بالعقل، فقد بناه صاحبه على افتراض التناقض والتضاد بينهما، والصواب أنَّ الوحي والعقل مصدران للمعرفة ليس بينهما تنافر[2].

3) النمط التخيُّلي:

ويشتغل هذا النمط بتخيل المستقبل من جميع المناحي، خاصَّة العلميَّة منها والاجتماعيَّة، ولقد تأسَّست مدارس (فكرية)، ومحاولات (علمية) من عدد من العلماء الذين ألّفوا في هذا الاتجاه، منهم:

- بيكون في: أطلنطس الجديدة، The new Atlantis.
- جول فيرن (Jules verne) في: خمسة أسابيع في المنطاد.
- ولز H. G Wells في: آلة الوقت[3].

ولقد تطوَّر هذا النمط في جميع الاتجاهات إلى ما يسمَّى بـ: علم الخيال (Science Fiction)، وأُلِّفت فيه ما لا يمكن حصره من الكتب، فأخرجت الكثير منها في شكل أفلام سينمائية أو تيليفزيونية.

ومن عجيب المفارقات أنَّ القرآن الكريم الصادر من علم الله الكامل،

= العالمي للفكر الإسلامي 1 ـ 3؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ د.ت؛ ص56ـ 96، فصل بعنوان: «مكوّنات الواقع الإسلامي المعاصر بين القدرات والمعوقات».

(1) وانظر: العقَّاد: الإنسان في القرآن الكريم، كله.

مالك بن نبي: شروط النهضة، ص73 ـ 128، وهو عبار تحليل للعنصر الأوَّل من عناصر الحضارة: الإنسان.

جودت سعيد: الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً؛ المطبعة العربيَّة، غرداية، الجزائر؛ ط: 1990 م؛ كله.

(2) وانظر ـ أحمد أبو سليمان، عبد الحميد (الدكتور): أزمة العقل المسلم؛ سلسلة المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ د.ت؛ ص101 ـ 146، مبحث: مصادر الفكر والمنهجية الإسلامية: الوحي، العقل، الكون.

(3) زريق: نحن والمستقبل، 76 ـ 82.

ومعرفته المحيطة بمجريات الزمن كله: الماضي، والحاضر، والمستقبل. لم يسرف في الإخبارات التاريخية والمستقبلية، واكتفى بنماذج قليلة، ليدلَّ بها على صدق نبوءة محمَّد ﷺ «غير أنَّ العديد من كبار الوضعيين كهيغل وشبنجلر وماركس، أسرفوا إسرافا خياليا في التنبؤات أثناء تفسيرهم للتاريخ، وهم بشر؛ وأعجب من ذلك أن يوصف هذا النوع من الخيال بالعلمي، وهذا ما يتناقض أساسا مع المنهج التجريبي، ومن قبله المنهج القرآني الذي يرفض الظنَّ والتخمين»[1].

4) النمط العلمي الريادي المعاصر:

هكذا يعنون زريق هذا النمط الرابع من أنماط التنبؤات، وإذا تساءلنا عن سبب وصف هذا النمط دون غيره من الأنماط بالعلمي الريادي؟ فإنَّ الإجابة هي: «علميٌ لأنَّه يحرص أن يظلَّ ملتصقا بالواقع، ويتتبَّع أسلوبا تجريبيا، ويخضع نتائجه وأسلوبه للنقد والامتحان، فهو علم المستقبل (Futurology) أو علم الريادة (Prospective»)[2].

أمَّا عن خصائص هذا النمط فتتلخَّص في ثلاث نقاط هي:

- عمل الفريق (Teamwork)، خلاف الأنماط الأخرى الفردية، مثل النمط العقائدي.

- تعدّد اختصاصات العاملين فيه، وفق تعقّد مناحي الحياة (Interdisciplinary)، فتطوّرت علوم مثل تحليل الأنظمة (Systems analysis) أو هندسة الأنظمة (Systems engineering).

- محاولة أصحابه أن يبقوا ملتصقين بالواقع، يتفحَّصون المتغيِّرات الفاعلة، ويمدُّون النتائج إلى المستقبل (Extrapolation)[3].

إنَّنا لا ننكر على زريق إشادته بهذا النمط، وإنَّما ننكر عليه قصره إيَّاه على

---

(1) عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص105 ـ 106.

(2) زريق: ن، م، 58 ـ 92.

(3) زريق: نحن والمستقبل، ص93 ـ 94.

الغرب، واعتباره من خصوصياته، وننكر عليه ـ كذلك ـ تفضيله على النمط العقائدي.

والصواب أنَّ القرآن قد وضع أسس هذا النمط، وأنَّ النمط (العلمي) والعقدي لا ينفي الواحد منهما الآخر، وإنَّما يتكاملان، بل إنَّ النمط العقدي هو نمط علميٌ بكلٍّ ما تحمل هذه اللفظة من معنى؛ ولا يحكم على الفكر الإسلامي من خلال ملاحظات في واقع المسلمين في عصور التخلُّف، وإنَّما الصواب هو الانطلاق من النصوص الثابتة، والبحث في واقع المسلمين في أرقى مستوياتهم، وعدم تحميل الإسلام ـ أو أي اتجاه آخر ـ أخطاء المنتمين إليه.

وما الخصائص التي ذكرها زريق للنمط العلمي سوى جزئيات تقنية في العمل المستقبلي، يمكن أن تتوفَّر في أيِّ نوع من أنواع الدراسة، وفي أي شكل من أشكال البحث العلمي[1].

وفي قصَّة يوسف أنموذج دقيق للنمط (العلمي) في التنبُّؤ المستقبلي: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ (. . .) أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (. . .) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ . . . ﴾ (سورة يوسف، الآيات: 37، 49).

---

(1) وانظر: روزنتال فرانتز (الدكتور): **منهجية البحث عند العلماء المسلمين**؛ ترجمة الدكتور أنيس فريحة، مراجعة الدكتور وليد عرفات؛ الدار العربيّة للكتاب؛ ط4: 1403هـ/ 1983؛ ص175 ـ 178، مبحث: التجربة والملاحظة.

بقردج: **فنّ البحث العلمي**؛ ص32-50، مبحث: إجراء التجارب، وص220 ـ 251، مبحث: العلماء.

وليام أوري: **فنُّ التفاوض: اختراق الحواجز في طريق التعاون**؛ ترجمة: نيفين غراب؛ الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر-كندا؛ ط 1: 1994م؛ كله.

وتتمثَّل خصائص هذا النمط (العلمي) لهذه التنبُّؤات في عدَّة نقاط منها:

ـ أنَّها لا تنبني على الظنِّ، وإنَّما أساسها العلم اليقيني: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ أي أنَّه بعض مِمَّا علَّمني ربِّي بوحي منه «لا بكهانة ولا عرافة ولا تنجيم ولا ما يشبههما»[1].

ـ إنَّ هذا العلم بالمستقبل أورث الحركة والعمل والتخطيط، ولم يقتصر على مجرَّد التنظير والتخمين، بل إنَّ هذا التخطيط كان دقيقاً جدّاً، إذ قسَّم المراحل إلى مخطَّط يمتدُّ زمنيا إلى خمس عشرة سنة: سبع للعمل والزرع والدأب: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾؛ وسبع شداد يأكلن ما قدِّم لهنَّ؛ ثمَّ عام فيه الغوث والنجاة.

ـ إنَّ التفسير للرؤيا والتنبؤ بالمستقبل لم يرتبط بالغيبيات مثل: الجن، والشياطين... وغيرها، بل ارتبط بالواقع، وتأسَّس على أسس من العمل والتفكّر والتخطيط، ونفّذه من وصف بأنّه ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف: 55).

فهذه بعض معالم وعي الأزمنة الثلاثة في القرآن الكريم، وهي في مجملها تبين مدى عمق فكرة الزمن وتأصّلها في كتاب الله العزيز، تأصلاً وعمقاً يسمحان بالقول: إنَّ مجال دراسة الأزمنة ووعيها في القرآن لا يزال بكراً، يحتاج إلى دراسات تلو دراسات، ولا شكَّ أنّه مجال ثري وجادٌّ ومفيد لمسيرة الحضارة الإنسانية عامَّة، والإسلامية على الخصوص.

---

(1) رشيد رضا: **تفسير المنار**، ج12/ ص 305.

المبحث الثاني
التأريخ في القرآن الكريم

أوَّلاً ـ مواضيع التاريخ في القرآن الكريم:

بناء على المنهج الذي التزم به هذا البحث، والذي يفرض اعتبار المصدر الوحيد هو: القرآن الكريم؛ فسيحاول أن يضع جدولا للموضوعات التي أرَّخ لها كتاب الله، باعتبار القرآن «أوَّل المصادر الموثوق في صحَّتها حول توجيه المسلمين إلى الاهتمام بالتاريخ»[1]. ولقد قصد عدم التعرُّض للمناهج الكلاسيكية إلاَّ عرضا، تاركا المقارنة والنقد بين المنهج القرآني والمناهج الأخرى لدراسات أكثر تخصُّصا في مجال التاريخ.

فأول ما توصَّل إليه البحث هو كثرة الموضوعات التي أرَّخ لها القرآن، بحيث يستعصي حصرها جميعا.

فقد تَمَّت الاستعانة ببرنامج القرآن الكريم، فاستُخرجت منه الموضوعات الرئيسية والجزئية والثانوية، مع محاولة تعيين المساحة الزمنية التي شغلها القرآن من خلال تأريخه للعالم وللإنسان، والجدول الذي انتهت إليه هذه المحاولة هو كالتالي:

---

(1) قويدر بشار (الدكتور): **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه**؛ دار الوعي، الجزائر؛ ط1: 1413هـ/ 1993م؛ ص16.

الغيبيـات

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
خلق ما سوى الإنسان	خلق العرش، خلق الكرسي، خلق اللوح . . .	في الأزل، وزمنه غير محدَّد.

التاريخ الطبيعي

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
خلق ما سوى الإنسان	خلق السماوات والأرض، الجبال، البحار والأنهار، الحيوان، الطيور، الحشرات، الكائنات المائية، الزواحف، النبات، النجوم، الرياح، الشمس والقمر، السحاب والغيوم، الليل والنهار . . .	قبل خلق الإنسان، وقد ذكر ستَّة أيّام، غير أنَّها غير محدَّدة بمدة معيَّنة . . .

التاريخ الجغرافي

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
البلدان، والأمصار	البلدان، مكَّة والحرم، بيت المقدس والشام، مصر، القرية التي كانت حاضرة البحر . . .	عهد إبراهيم، عهد موسى . . . والعلاقة غالباً بالأنبياء

تاريخ الملائكة والجن والشياطين

	الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
العوالم الأخرى سوى الإنسان	الملائكة، الجن، الشياطين . .		غير محدَّدة، ومن نماذجها: عصر آدم، عصر محمَّد ﷺ . . .

ظهـور البشريـة

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
الإنسان الأوّل	آدم وحواء في الجنَّة، في الدنيا، أبناؤهما. . .	في الجنَّة، ثمَّ القرون الأولى في الأرض

مدخل إلى تاريخ الأنبياء

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
تاريخ النبوّات	خصائصهم، معجزاتهم، تفضيل بعضهم على بعض، ميثاق الله عليهم، نزول الوحي، اختلاف شرائعهم. . .	محدّد بالقرون، من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء، وهو معلوم الترتيب غير معلوم المدَّة. . .

تاريخ الأنبياء

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
تاريخ النبوات	آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، الأسباط، يوسف، شعيب، أيوب، ذو الكفل، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس، اليسع، يونس، زكرياء، يحيى، عيسى. . .	محدّد بالقرون، من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء، وهو معلوم الترتيب غير معلوم المدَّة. . .

ملحق: تاريخ الأنبياء

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
تاريخ النبوات	صالحون مختلف في نبوتهم: لقمان، ذو القرنين، الخضر	معلوم المرحلة: مثل عهد موسى في قصّة الخضر . . .

تاريخ الأمم السابقة

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
تاريخ النبوات	أصحاب الأخدود، أصحاب الكهف، الثلاثة الذين تكلموا في المهد، عزير . . .	معلوم المرحلة غير معلوم المدّة بالتحديد . . .

العبرة من تاريخ الأنبياء والأمم السابقة

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
تاريخ النبوات	الدعوة إلى الله، تبشير الأنبياء قومهم وإنذارهم، سياسة الأنبياء مع أقوامهم، عاقبة الخير والشر . . .	كلّ المرحلة النبويّة من آدم إلى محمّد ﷺ

مدخل إلى السيرة النبوية: سيرة محمّد ﷺ

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
السيرة النبويّة	الجاهلية، بشريات بعثة النبي ﷺ، سيرة ما قبل البعثة . . .	بين عيسى ومحمّد ﷺ

السيرة النبوية

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
السيرة النبويَّة	بدء الوحي، السيرة المكية: موقف قريش والمكذبين، الإسراء والمعراج، العقبة الكبرى، الهجرة؛ السيرة المدنية: ابتلاء المسلمين في المدينة، أحداث السنوات: الثانية، الثالثة، الخامسة؛ الغزوات: بدر، أحد، الخندق، الحديبية، بني النضير، تابوك؛ فتح مكة، فتح خيبر...	معلوم المدَّة والترتيب خاصَّة من المصدر الثاني وهو: الحديث النبوي الشريف، غير أنَّه لا يخلو من اختلافات في بعض التواريخ

العبرة من السيرة النبوية

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
السيرة النبويَّة	شمائل الرسول ﷺ، أخلاقه، عباداته، معجزاته، فضائله، خصوصياته، زواجه	

المناقب والفضائل

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
السيرة النبويَّة	مناقب المهاجرين، الأنصار، الخلفاء الراشدين، آل البيت، بعض الصحابة، قريش...	العهد النبوي

التأريخ للقرآن الكريم

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
التأريخ للقرآن الكريم	الكتب الأخرى ، ما قبل القرآن، نزوله، معارضوه، ناصروه، حججه، مغيباته، الأخلاق. . .	من اللوح المحفوظ إلى عهد النبي ﷺ

ما بعد النبي ﷺ

الموضوع الرئيسي	الموضوعات الثانوية	المساحة الزمنية
التأريخ المستقبلي	مستقبل الإسلام، مستقبل القرآن، ظهور الدين الحقّ، الفتن، الساعة وفناء الكون، الحساب، الجنّة والنار . . .	من عهد محمَّد ﷺ إلى الأبد. . .

ملاحظات على موضوعات التاريخ في القرآن الكريم:

1 ـ نلاحظ أنَّ الحيّز الزمني الذي يشغله التاريخ في القرآن الكريم، يبدأ من **الأزل** وينتهي إلى **الأبد**، ولكن لكلٍّ ما ذكر من المعلومات علاقة وطيدة بالإنسان، إمَّا في خلقه أو علاقته بالوحي، أو بالعوالم الأخرى. . . وميزة هذا الطرح أنَّه لا يحدُّ من نظر المسلم في المساحة الزمنية، وإنَّما يوسّع إدراكه الزمني فيمتدّ من أبعد نقطة نحو الأزل إلى أبعد نقطة نحو الأبد، ثمَّ يعترف أخيراً أنَّه لا يدرك حقيقة الأزل والأبد.

2 ـ التاريخ الطبيعي هو بمثابة تمهيد لخلق الإنسان، وكل ما خلقه الله مسخَّر له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 54).

3 ـ أوَّل ظهور للإنسان في مسرح التاريخ كان في الجنَّة، مع ذكر القرآن لتفاصيل دقيقة عن هذا الظهور، ونسفِه بالتالي لكلّ الآراء المتقوّلة في حقيقة الإنسان الأوَّل، وأيُّ تخمين في هذا الموضوع لا يمكن أن يقوم أمام وثوق المصدر الإلهي: القرآن الكريم[1].

4 ـ القرآن الكريم لا يؤرّخ للإنسانية ـ من حيث هي إنسانية ـ وإنَّما يؤرّخ للإسلام، ولذلك فإنَّ محور حركيته هو: الصراع بين الحقّ والباطل، بين الكفر والإسلام، بين الصلاح والفساد... والتحقيق أنَّ للإسلام تاريخين: «تاريخ سابق على ظهور محمَّد ﷺ، وتاريخ بعد ظهوره. هذا التاريخ اللاحق هو تاريخ الإسلام بمعناه الضيق، ولا يمكن فهمه فهما كاملا إذا لم يكن الدارس على معرفة كافية بتاريخ الإسلام السابق، وعلى الأخص فترة اليهودية والمسيحية»[2].

وبهذا المعنى الشامل نفسّر انتقال الآيات القرآنية من مرحلة زمنية إلى مرحلة أخرى ـ سابقة أو لاحقة ـ دون حواجز زمنية، ولا تواريخ معيقة لهذا الانتقال، ذلك أنَّ الفكرة لا الواقعة في حدّ ذاتها هي المقصد والغاية من التاريخ في القرآن الكريم.

فلنقرأ مثلا قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا * رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء: 163 ـ 165).

لو حاولنا أن نرسم الحدود الزمنية لهذه الآيات الكريمة لوجدنا أنَّها تشغل

---

(1) الجابي: النظرية القرآنية الكونية، ص80 ـ 90.

(2) بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ص 271.

كلّ تاريخ البشرية، غير أنَّ المنهج القرآني قضى أن لا يذكر التواريخ، بل وحتى الترتيب في سرد الأنبياء لم يراعِه، فقد ذكر سليمان ـ مثلاً ـ قبل أبيه داود، وعيسى قبل موسى، ومحمَّد ﷺ قبل الجميع، والحكمة هي كون «التاريخ في القرآن الكريم وحدة زمنية (...) تتهاوى [فيها] الجدران التي تفصل بين الماضي و لحاضر والمستقبل، وتتعانق هذه الأزمان الثلاثة عناقا مصيريا، حتَّى الأرض والسماء: زمن الأرض وزمن السماء، قصَّة الخليقة ويوم الحساب، تلتقي دائما عند النقطة الحاضرة في عرض القرآن، فهذا الانتقال السريع بين الماضي والمستقبل، بين الحاضر والماضي، وبين المستقبل والحاضر، يوضّح حرص القرآن على إزالة الحدود التي تفصل بين الزمن باعتباره وحدة حيوية متَّصلة، فتغدو حركة التاريخ التي يتسع لها الكون حركة واحدة تبدأ من خلق السماوات والأرض وتتجه نحو يوم الحساب (...) إنَّ الحياة الدنيا فعل تاريخي مستمرٌّ»[1]، كما أنَّ الفعل التاريخي ـ في القرآن ـ حياة وحيوية، ينبض قلبها بفعل الصراع بين الإسلام والكفر، وهذا الصراع هو سرُّ الحياة فبدونه ينعدم معنى وجود الإنسان.

ولو حاولنا ـ عبثاً ـ أن ندرج في الآية السابقة التواريخ ودقائق الزمن والمكان، حسب منهج التاريخ الكلاسيكي، فإنَّ أوَّل ما يسترعي الانتباه أنَّ جمال ومغزى الآية يضيع بين الجزئيات والدقائق، فنقول مثلاً: ... كما أوحي إلى نوح الذي عاش في زمن كذا وفي مكان كذا، وإبراهيم الذي ظهر في عصر كذا في مكان كذا...

وبهذا سيكبر حجم القرآن آلاف المرات مِمَّا هو عليه الآن، ويفقد معجزته ورسالته، مع العلم أنَّ علم الله بالجزئيات غير متناه ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَالَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ (سورة الجن: 28). «فهو عالم بالأشياء تفصيلا وإجمالا ومعلومات الله لا تتناهى، ومع ذلك قد عدَّها وحصرها وهذا

---

(1) عماد الدين خليل: **التفسير الإسلامي للتاريخ**، ص14.

مختص بالله»[1] سبحانه وتعالى.

فلو افترضنا أنَّ الله جلَّ ذكره سردَ جزئيات التاريخ فإنَّ القرآن الكريم سيكون كتابا غير متناه، ولن يستطيع الإنسان إدراكه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (سورة الكهف: 109). ولضاع بالتالي دوره الذي أنزل من أجله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (سورة القمر: 17، 22، 32، 40)، : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (سورة الإسراء: 9).

5 ـ محور التاريخ في القرآن الكريم: لو سألنا التاريخ الكلاسيكي عن محور التاريخ البشري، فسنجد الجواب الذي فرض نفسه بفعل التسلّط والادّعاء هو: أوروبا. فما تطوّرُ البشرية إلاَّ من تطوّرها، وما تخلّف الإنسان إلاَّ من تخلّف الإنسان الأوروبي.

ولذا فالحقيقة التي لا تخفى هي «أنَّ الذي كتب التاريخ أناس متحضّرون، ولم يكتبه برابرة، ولابدَّ أن نعزو إلى هذه الحقيقة ما ساد من عصبيات في التاريخ»[2].

فتقسيم التاريخ إلى: قديم، ووسيط، وحديث... يخفي محورية قد تنكشف في مصطلحات مثل: القرون الوسطى[3]، عصور الانحطاط ... إلخ. بل إنَّ علماء الغرب ـ المنصفين ـ قد تفطّنوا لسذاجة هذا التقسيم، فهو يصدر من «منهج تافه سقيم، غير ذي معنى، إلى حدٍّ لا يصدِّقه العقل، لكنّه منهاج ـ على كلّ حال ـ سيطر على تفكيرنا التاريخي سيطرة مطلَقة، وبفضل هذا التقسيم فشلنا في إدراك المركز الحقيقي للجنس البشري في التاريخ العامّ (...)

(1) اطفيّش، محمّد بن يوسف: داعي العمل ليوم الأمل؛ معدٌّ للطبع: معهد القضاء الشرعي، سلطنة عمان؛ تحقيق: محمّد باباعمي ومصطفى باجو ومصطفى شريفي؛ ص627.

(2) بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ص223.

(3) ن، م، ص224.

والحضاراتُ القادمة ستجد من الصعوبة عليها أن تصدّق بصحّة منهاج كهذا، بما له من تتال بسيط، محدود بخطوط مستقيمة (Rectilinear)، وتناسبات عديمة من كلّ معنى»[1].

والقرآن لا يسير وفق هذا التتالي الساذج، بل يتنقَّل بحيوية بين الأزمنة الثلاثة، ولا يحدّ بُعده بزمن خطّي بسيط، وإنـَّما زمنه زمن حلزوني متشابك تلتقي بدايته مع نهايته دون صعوبة في التنقل والمصطلحات، محوره نبوَّة محمَّد ﷺ[2]، ولُحمته الأزل، وسداه الأبد.

وقد حاولنا أن نضع الرسم البياني لهذا الخط الزمني، فكان كالتالي.

---

(1) شبنجلر أسوالد: تدهور الحضارة الغربية؛ ترجمة: أحمد الشيباني؛ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ ص 60.

(2) مِمَّا يؤيّد كون عهد النبي ﷺ هو محور الزمن والتاريخ، حديث الرسول ﷺ المتواتر الذي يقول فيه: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ». وقد تقدَّم تخريجه.

1) محور التاريخ في القرآن الكريم: يوم استدار الزمان كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض.

2) التاريخ من الأزل إلى زمن سيّدنا محمَّد عليه السلام.

3) المستقبل من زمن سيِّدنا محمَّد عليه السلام إلى الأبد.

ليس التاريخ في القرآن الكريم من نوع التاريخ البشري المعهود، الذي يتميَّز بمنهج متتال بسيط، محدود بخطوط مستقيمة، وتناسبات عديمة المعنى.

ولكن التاريخ في القرآن الكريم يكسر الحواجز بين جميع الأزمنة، ويسير فوق نسيج لحمته الأزل وسداه الأبد، ومحوره زمن محمَّد عليه السلام، وهو زمن نزول القرآن. فكثير من الآيات المؤرِّخة للأحداث أو النبوؤات لا نستطيع أن نقول: إنَّ مسحاتها الزمنية هي من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا.

وإنَّما تجمع بين المنطلق والمصير، وبين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، بمرونة فائقة يستحيل على الإنسان أن يأتي بمثلها، فاقرأ قوله تعالى ـ مثلاً ـ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً . . . ﴾ (سور البقرة: 29 ـ 37) تجد جميع أنواع الأزمنة متعانقة بحيوية عجيبة، ولا تحسُّ بصعوبة الانتقال من زمن لآخر.

ثانيًا ـ وحدات قياس التاريخ في القرآن الكريم:

لكلّ فنٍّ أو علم وحدات خاصّة به يستعملها للقياس: فللفزياء وحداته كما لعلم الفلك وحداته، ولعلم النفس وحداته كما للتاريخ وحداته... وما القياس في حقيقته إلاّ «تقدير المادّي أو المعنويّ بواسطة وحدة معينة لمعرفة عدد ما يحتويه من هذه الوحدة»[1].

والمؤرّخون يستعملون في كتبهم وحدات مثل: القرون، والسنين، ففي التاريخ الطبيعي يقيسون بملايين السنين، أمّا في التاريخ البشري فبآلاف السنين عموماً.

وبتتبُّع الآيات القرآنية توصّلت إلى جمع الوحدات التالية: القرن، الأمّة، السنَة، اليوم؛ وأمّا في تعاقب الأحداث فيستعمل: قبل وبعد، الفاء وثمّ...

ولنحاول عرض حجم كلّ وحدة على حدة:

1) القــرن:

يجمع على قرون، فيقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ (سورة الأنعام: 6).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ (سورة المؤمنون: 31).

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ (سورة يونس: 13).

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ (سورة الفرقان: 38).

ولقد اختلف في تفسير معنى القرن في هذه الآيات، مع اتفاقهم على

---

(1) خياط يوسف: معجم المصطلحات العلميّة والفنية: عربي ـ فرنسي ـ إنكليزي ـ لاتيني؛ دار الجيل ـ دار لسان العرب، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ ص 566. وهو الجزء السابع من لسان العرب المحيط.

الحفني عبد المنعم (الدكتور): المعجم الفلسفي: عربي ـ انجليزي ـ فرنسي ـ ألماني ـ لاتيني؛ دار ابن زيدون ـ مكتبة مدبولي، بيروت ـ القاهرة، لبنان ـ مصر؛ ط1: 1992م؛ ص222. والترجمة الإنجليزية للقياس: Measurement والفرنسية Mesure.

إمكانية الجمع بين الآراء، فنلخّص هذه الآراء كلّها في رأيين أساسيين هما:

أ) القرن: القوم المقترنون في زمن من الدهر(1)، أو أهل كلّ زمان؛ أُخذ من الاقتران، باعتباره المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم(2). وهو الأمم أو القرى، فيقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (سورة هود: 102).

ودليل من ذهب إلى هذا الرأي حديث: «خير القرون قرني ثمَّ الذين يلونهم ثمَّ الذين يلونهم»(3)، وقد رجَّح هذا المعنى الإمام القرطبي فقال: «هذا أصح ما قيل»(4).

ب) القرن: عدد من السنين محدّد، واختلف في مقداره فقيل: عشر سنين، وقيل: عشرون، وقيل: ثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: ستون، وقيل: سبعون، وقيل: ثمانون(5)، وقيل: مائة سنة «وعليه [أي مائة سنَة] أكثر أصحاب الحديث»(6).

والملاحظ أنَّ تقدير القرن(7) بمائة سنة هو الغالب في استعمال المؤرّخين

---

(1) الرازي: التفسير الكبير، ج 12 / ص158.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج5/ ص74.

(3) روي الحديث بعدَّة طرق، ورواية البخاري: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِاللَّهِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ». صحيح البخاري، كتاب الشهادات، حديث 2458، وشرح هذا الحديث في فتح الباري، كتاب الشهادات، باب [9] كتاب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث 2650.

العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «قرني».

(4) الجامع لأحكام القرآن، ج6/ ص391.

(5) ابن منظور: ن، م، ج5/ ص74.

(6) القرطبي: ن، م، ج6/ ص391.

(7) والملاحظ أنَّ لفظ القرن يعني ـ كذلك ـ في اللغة الفرنسية معنيين، فاللفظ هو Siecle ومعناه: temps أي زمن، و âge أي عمر، بالإضافة إلى المعنى المتداول: أي 100 سنة. ريغ دانيال: السبيل معجم عربي ـ فرنسي، فرنسي ـ عربي؛ مكتبة لاروس، باريس، فرنسا؛ 1983م؛ مادَّة قرن، رقم 4239.

=

والعامة على السواء، فيقال ـ مثلاً ـ: القرن الخامس عشر بالتقويم الهجري موافق للقرن العشرين بالتقويم الميلادي؛ ويقال: نحن على مشارف القرن الواحد والعشرين. . .

2) الأمّـة:

الأمّة في اللغة الجيل من الناس، وردت مرتان في القرآن الكريم بمعنى الزمن:

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ (سورة هود: 8).

﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ (سورة يوسف: 45).

فالأمة: الحين والدهر[1]، أو جماعة الأوقات[2]، غير أنّا لا نعرف بالتحديد مقدار هذا الحين، ولكن «أصل إطلاق الأمّة على المدّة الطويلة، هو أنّها زمن ينقرض في مثله جيل، والجيل يسمّى أمّة، كما في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (سورة آل عمران: 110)، وإطلاقه في آية سورة يوسف للمبالغة في زمن نسيان الساقي، وفي التوراة كانت مدّة نسيانه سنتين»[3].

3) السنَة والعام[4]:

وقد أرّخ القرآن للعديد من الحوادث بالسنة أو العام، غير أنّ البعض منها قيّد عدده والبعض لم يقيّد، فممّا قيّد عدده نذكر قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (سورة المائدة: 26).

= وفي اللغة الإنجليزية كذلك نجد لفظ Century يدلُّ على معان عدَّة، منها: مائة سنة، ومنها مجموعة من الناس تحوي مائة من الناس: «In the army of Rome: a company of about 100 men».

Paul Procter and others: **Longman dictionary, p166.**

(1) الفراء: **معاني القرآن**، ج2/ ص47.

(2) الزمخشري: **الكشّاف**، ج2/ ص298.

(3) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج12/ ص283.

(4) وانظر ـ الفصل الرابع منذا البحث، ص138 وما بعدها

﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (سورة العنكبوت: 14).

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ (سورة الكهف: 25).

وأمّا غير المعلومة بالتحديد، فمثل:

﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (سورة يوسف: 42).

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (سورة الكهف: 11).

أمّا العام فقد جاء كلُّه محدّدا بالعدد معلوم المقدار، مثل:

﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ (سورة البقرة: 259).

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (سورة يوسف: 49).

4) اليوم والليلة(1):

وقد كثر كذلك استعمال اليوم والليلة كوحدة للتأريخ، فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ (سورة آل عمران: 41).

﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾(سورة الأنفال: 41). ويوم الفرقان هو يوم بدر(2). كما تذكر المصادر.

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾(سورة الحاقة: 6 ـ 7). وقد قيل إن «أوّلها صبيحة الأربعاء من آخر الشهر، وآخرها إربعاءٌ»(3).

5) قبل وبعد، والفاء وثم(4):

هي كذلك وحدات تفيد تتالي الحوادث التاريخية، ويجمع بينها أنّها غير

(1) وانظر ـ الفصل الثالث من هذا البحث.
(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج8/ ص20.
(3) اطفـيّش: **داعي العمل**، ص125.
(4) وانظر ـ الفصل الثاني من هذا البحث.

محدَّدة المقدار أساسا، وإنـَّما السياق هو المحدِّد لمقدارها، وقد وردت بكثرة في القرآن الكريم.

فلا يقال في القرآن: حدث هذا في سنة كذا، وحدث ذلك بعده في سنة كذا؛ أو بعد كذا سنة وقع هذا... مِمَّا يستعمل في ترتيب الحوادث التاريخية في علم التاريخ، وإنـَّما يكتفى بترتيبها حسب اقتضاء حاجة الفهم، إذ المقصد ليس هو سرد الحادثة، وإنـَّما العبرة من تلك الحادثة.

خاتمة الفصل

إضافة إلى الخصائص التي توصَّلت إليها في الفصول السابقة، أستنتج في هذا الفصل بعض الخصائص والمميزات التي تصبّ في الدلالة على عمق مادَّة الزمن في القرآن الكريم، ومنها:

1 ـ وعي الزمن: وعي الزمن في القرآن الكريم ـ وفي الكون كلِّه ـ يرجع إلى سببين اثنين هما:

أ) ـ النظام: ولولاه لمَا أمكن أن نتصورَّر شيئًا يسمَّى الزمن، وهي الخاصية التي يتميَّز بها كلّ ما خلق الله سبحانه، وقد ركَّز القرآن عليها تركيزا شديدا.

ب) التذّكّر والتوقّع: فالتذكُّر هو سرُّ معرفة الماضي ووعيه، والتوقُّع هو سرُّ معرفة المستقبل ووعيه؛ وبدونهما لا يمكن أن نتصوَّر للزمن معنى لا في الكون ولا في القرآن، وقد ركَّز القرآن الكريم أيّما تركيز على هاتين الحاستين.

2 ـ الأزمنة الثلاثة: للأزمنة الثلاثة في القرآن الكريم مكانة خاصَّة، إذ أكَّد على ضرورة وعيها، وبدون هذا الوعي الشامل لا تكمل إنسانية الإنسان، وقد ركَّز القرآن على منهج التعامل مع هذه الأزمنة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تغليب لزمن دون زمن، وهذه هي وسطية الإسلام في أسمى معانيها.

3 ـ الحدود بين الأزمنة الثلاثة: يحرص القرآن الكريم على كسر الحواجز بين الأزمنة الثلاثة: الماضي، الحاضر، والمستقبل. فيمكن أن تقرأ في آية واحدة جميع أنواع الأزمنة، وتتنقَّل بينها بمرونة فائقة، يعجز المرء عن وصفها، دون إحساس بهذا الانتقال.

4 ـ الزمن المتناهي والزمن اللامتناهي: هي لحمة وسَدَى التاريخ والزمن القرآني كله، فلا تكاد تجد آية واحدة في التاريخ لا تشير إلى المصير وإلى الجـنَّة أو النار. فكلٌّ الأزمنة المتناهية مرتبطة باللامتناهي ارتباطا وثيقا؛ ولا يتصوَّر تضادٌّ بينهما كما هو الشأن في بعض الحضارات وفي بعض الفلسفات، بل يخدم الواحد منهما الآخر: فالزمن المتناهي سبب لوجود الزمن اللامتناهي، والزمن اللامتناهي نتيجة للزمن المتناهي.

5 ـ موضوعات التاريخ: أمَّا موضوعات التاريخ في القرآن الكريم فهي مختلفة تمام الاختلاف عن موضوعات التاريخ الكلاسيكي، إذ تبدأ من ما قبل الإنسان، ولا تنتهي إلاَّ في الآخرة.

والقرآن لا يؤرّخ للإنسان بقدر ما يؤرّخ للنبوءات، فمحور التاريخ عنده هو محور تاريخ النبوءات: محمَّد ﷺ؛ وهذا التاريخ يسير في شكل حيوي متشابك.

الفصل السادس

الحركة في الزمن من خلال القرآن الكر يم

مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ من الأبعاد الأساسية للطبيعة: المكانُ والزمان، وأنَّ الحركة سمة من سمات الطبيعة الأساسية، فلا يتصوَّر كون بدون زمان ومكان، كما لا يتصوَّر زمان ومكان بدون حركة.

ولكن، ما هي العلاقة بين الزمن والحركة في القرآن الكريم؟

وما هي الحركة السنَنية التي ينساب بها الزمن؟

وهل يمكن أن توجد حركة تخالف سنَن الله في الكون والطبيعة؟

وهل يمكن للمخلوقات ـ عموماً ـ وللإنسان بالخصوص أن يتحرَّك بحرية في إطار زمنه؟

أي: هل يعقل أن يسرع إنسان نحو المستقبل بطلاقة، أو ينتقل من الحاضر إلى الماضي ومن المستقبل إلى الحاضر بلا قيود؟ أم أنَّ ذلك مِمَّا يستحيل؟

هذه وغيرها من الأسئلة التي تصبُّ في الإشكال العامِّ لتحديد المفهوم الشامل للزمن في القرآن الكريم، ولنحاول أن نجيب عليها حسب ترتيبها:

المبحث الأول

العلاقة بين الحركة والزمن

تعرَّف الحركة في قواميس اللغة بأنّها: «ضدّ السكون»[1]، أمّا الجرجاني فيعرِّفها تعريفا أكثر شمولا، ويقول: «الحركة: شغل حيِّز بعد أن كان في حيِّز آخر، وقيل: الحركة كونان في آنين في مكانين، كما أنَّ السكون كونان في آنين في مكان واحد»[2]، وبهذا التعريف تظهر العلاقة الوطيدة بين الزمان والمكان والحركة.

أمّا في القرآن الكريم فلم ترِد مادَّة: "ح.ر.ك" إلاَّ مرَّة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾[3] (سورة القيامة: 16)، أي «لا تحرِّك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه؟السلام يقرأ»[4]، فاللفظ قد يفهم حقيقة لأنَّ الكلام لا يكون إلاَّ بتحريك اللسان في الفم، وقد يفهم مجازاً إذ كنيَّ

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ص615؛ الرازي: **مختار الصحاح**، ص132

(2) الجرجاني علي بن محمَّد الشريف: **كتاب التعريفات**؛ مكتبة لبنان، بيروت، لبنان؛ ط: 1985م؛ ص88.

(3) روى البخاري في صحيحه، حديثا فيه تفسير هذه الآية قال: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ وَكَانَ ثِقَةً عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ، وَوَصَفَ سُفْيَانُ: يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾». كتاب تفسير القرآن، رقم 4546.

العالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «التعجل».

(4) الزمخشري: **الكشاف**، ج4/ ص529.

عن الإسراع في الكلام بتحريك اللسان.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تضبط العلاقة بين الحركة والزمن، ولعلَّ أكثرها وروداً تلك التي تبيِّن أنَّ حركة الأرض والشمس والقمر سببٌ ومقدِّمة للزمن الطبيعي، وتلك التي تجعل من الزمن وحدة لقياس سرعة الحركة أو بُطئها.

غير أنَّه توجد آيات أخرى تحدِّد الحركة في الزمن نفسه، وتضبط الجائز وغير الجائز من أنواع هذه الحركة، أو بالأحرى الحركةَ السَّننية والحركة غير السَّننية في الزمن، وسنحاول أن نمثِّل لِكُلٍّ نوع من هذه الأنواع:

أوَّلاً ـ حركة الشمس والقمر والأرض سبب للزمن الطبيعي:

ارتبط ذكر الشمس والقمر بذكر الليل والنهار في القرآن الكريم في آيات كثيرة، غير أنَّه لولا حركة الشمس والقمر، وكذا حركة الأرض لَما كان الليل والنهار، فالحركة إذن سبب في تحديد هذا النوع من الزمن: **الزمن الطبيعي**.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ (سورة يونس: 5)، ويقول الرازي باللفظ «**بحركة** الشمس تنفصل السنَة إلى الفصول الأربعة، وبالفصول الأربعة تنتظم مصالح هذا العالَم، **وبحركة** القمر تحصل الشهور (. . .) وبسبب **الحركة** اليومية يحصل النهار والليل (. . .) وذلك يدلُّ على أنَّ جميع المنافع الحاصلة في هذا العالَم بسبب **حركات** الأفلاك، ومسير الشمس والقمر والكواكب»[1].

رغم أنَّ الرازي لم يذكر في هذا التفسير حركة الأرض، لأنَّ الاعتقاد كان سائدا بِأَنَّ الأرض كانت هي المحور، والشمس تدور حولها، غير أنَّه ركَّز على أنَّ **الحركة** هي المسبِّبة في حصول الليل والنهار، والشهر، والفصول،

---

(1) التفسير الكبير، ج17/ ص36.

والسنَة. . . فمجرَّد وجود الشمس والأرض لا يسبِّب في إحداث هذه الأوقات، وإنـَّما حركتهما هي المسبِّبة.

وممـَّا يدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى عن الشمس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ (سورة يس: 37-38) فذكر سلخ الليل من النهار مع ذكر جريان الشمس لمستقرٍّ لها، وكذا استعمال فعل «تجري»[1] دليل على أنَّ الليل والنهار من آثار حركة الشمس.

وقوله عن القمر: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ (سورة يس: 39)، ومعناه «قدَّر له أو قدَّر سيره في فلكه في منازل، ينزل في كلّ ليلة في واحد منها لا يخطئه ولا يتخطَّاه، وهي ثمانية وعشرون منزلا معروفة، تسمـِّيها العرب بأسماء نجومها المحاذية لها»[2].

أمـَّا في علم الفلك المعاصر، وبعد أن تبين أنَّ الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، وليست محورا للكون، وضبطت العلاقة بين حركتها وحركة الشمس والقمر، في التوقيت ومعرفة الأزمنة، فقد «كانت حركة الأرض حول محورها، وحركتها حول الشمس، الأساسَ في حساب الوقت اليوميِّ، وفي تحديد الأيـَّام والشهور، وفصول السنَة، بل وفي تحديد عدد أيـَّام السنـَة»[3].

فالمعروف أنَّ التوقيت الشمسي هو الذي يعتبر الأرض والشمس في

---

(1) «الجري حقيقته: السير السريع وهو لذوات الأرجل، وأطلق مجازا على تنقُّل الجسم من مكان إلى مكان تنقّلاً سريعا، بالنسبة لتنقل أمثال ذلك الجسم (. . .) وهذا استدلال بآثار ذلك السير المعروفة للناس، معرفة إجمالية، بما يحسبون من الوقت، وامتداد الليل والنهار» ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج23/ ص19.

ويلاحظ أنَّ أصحاب اللغة يسمُّون الشمس بالجارية: «لجريها من القطر إلى القطر».

وانظر ـ ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ ص449، مادَّة جرا.

فالحركة إذن هي سمة من سمات الكون.

(2) رشيد رشا: **تفسير المنار**، ج11/ ص302.

(3) علي حسن: **التوقيت والتقويم**، ص9.

حركتهما، وأنَّ التوقيت القمريَّ هو الذي يعتبر الأرض والقمر في حركتهما، والتوقيت النجميَّ هو الذي يعتبر الأرض والنجوم في حركتها[1].

فالإجماع حاصل إذن بين القدامى والمحدَثين على أنَّ **الحركة** هي السبب في معرفة الأيـّام والشهور والفصول والسنين. . . وغيرها.

وتأتي آيات أخرى لتدعِّم هذا المعنى، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ (سورة الأعراف: 54)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾[2] (سورة الفرقان: 45).

ثانيًا ـ الزمن كوحدة لقياس الحركة:

تختلف حركة الأشياء سرعة وبطأً، حسب قوَّتها وضعفها، وكبرها وصغرها، وعظمتها وحقارتها. . . وتختلف وحدة قياسها تبعاً لهذا، فقد تقدَّر بالسنين، أو بالشهور، أو بالساعات، أو بالأيـّام؛ وقد تقاس بالغدوِّ والرواح، أو بلمح البصر أو دون ذلك أو أكثر؛ وقد تكون محدَّدة القدر أو غير محدَّدة.

وهذا ما يلاحظ في قياس الحركة في القرآن الكريم.

ولا بدَّ لأيِّ حركة من مقدار زمنيٍّ غالباً ما يذكر في الآية، وقد يُضمر أو يفهم ضمنياً:

فيقول تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ * ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾(سورة فصلت: 9-12).

فوحدةُ القياسِ في هذه الآية هي: اليومُ.

ويتضمَّن الجدول التالي تفصيلا للقياس المعتبر في هذه الآية:

---

(1) وانظر التفاصيل في: ن، م، ص5-61.

(2) وانظر الفصل الثالث من هذا البحث.

الحـــركة	زمنها
حركة الأرض من وجودها بالقوّة إلى وجودها بالفعل	يومان
وإرساء الرواسي والجبال، وتقدير الأقوات	يومان آخران
وخلق السماوات السبع والوحي في كلّ سماء بأمرها وتزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً	يومان
المجموع:	**ستّة أيّام**

لكن وحدة القياس في هذه الحركة ليست هي باليوم الطبيعي المقدّر بأربع وعشرين ساعة، بل هي أيّام من أيّام الله تعالى التي قال عنها: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾[1] (سورة الحج: 47).

فتمام مدّة هذا الخلق هو:

س = 1000 سنة ستّة أيّام = 6000 سنة = 2191500[2] يوما

---

(1) يفسّر هذه الآية حديث رواه ابن ماجه في سننه، قال: «حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَنْبَأَنَا أَبُو غَسَّانَ بَهْلُولٌ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «اشْتَكَى فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ أَغْنِيَاءَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ أَلاَ أُبَشِّرُكُمْ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ ثُمَّ تَلاَ مُوسَى هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾». كتاب الزهد، رقم 4114.

العالمية: موسوعة الحديث، مادّة البحث: «يوماً عند ربّك».

(2) باعتبار السنَة تساوي تقريبا 365 يوماً وربع يوم.

وهذا ما نقرأه في سبع آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (سورة الأعراف: 54)، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[1] (سورة ق: 38).

أمّا عن قياس الحركة بالسنين والأعوام، فمثال ذلك قوله تعالى عن اليهود: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة المائدة: 26).

وقيل: «كانوا يسيرون في فراسخ قليلة (...) يومهم وليلتهم، فيصبحون حيث أمسوا، ويمسون حيث أصبحوا، فكانوا سيارة لا قرار لهم»[2] أي متحرِّكين لا سكون لهم.

وفي حركات هي أسرع من ذلك يقول تعالى: ﴿۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (سورة البقرة: 203)، والأيـّام المعدودات هي أيـّام التشريق، والمقصود مَن تعجَّل في النفر أو تأخَّر فلا إثم عليه[3]، وواضح أنَّ الآية تتناول الحركة التي تكون في الحجِّ بغضِّ النظر عن تفسيرها. فوحدة القياس إذن هي **اليوم الطبيعيُّ**.

ولعلَّ من أسرع الحركات في القرآن الكريم ما جاء في قصَّة نبيء الله سليمان عليه السلام: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (سورة النمل: 38-40).

فالحركة هنا من الشام إلى اليمن، وتقدَّر المسافة بـمئات الكيلومترات، وزمن الذهاب والإياب عند العفريت يقدَّر بعدَّة ساعات «ولا بدَّ فيه من عادة معلومة حتىَّ يصحَّ أن يؤقَّت، فقيل: المراد القيام من مجلس الحكم بين الناس،

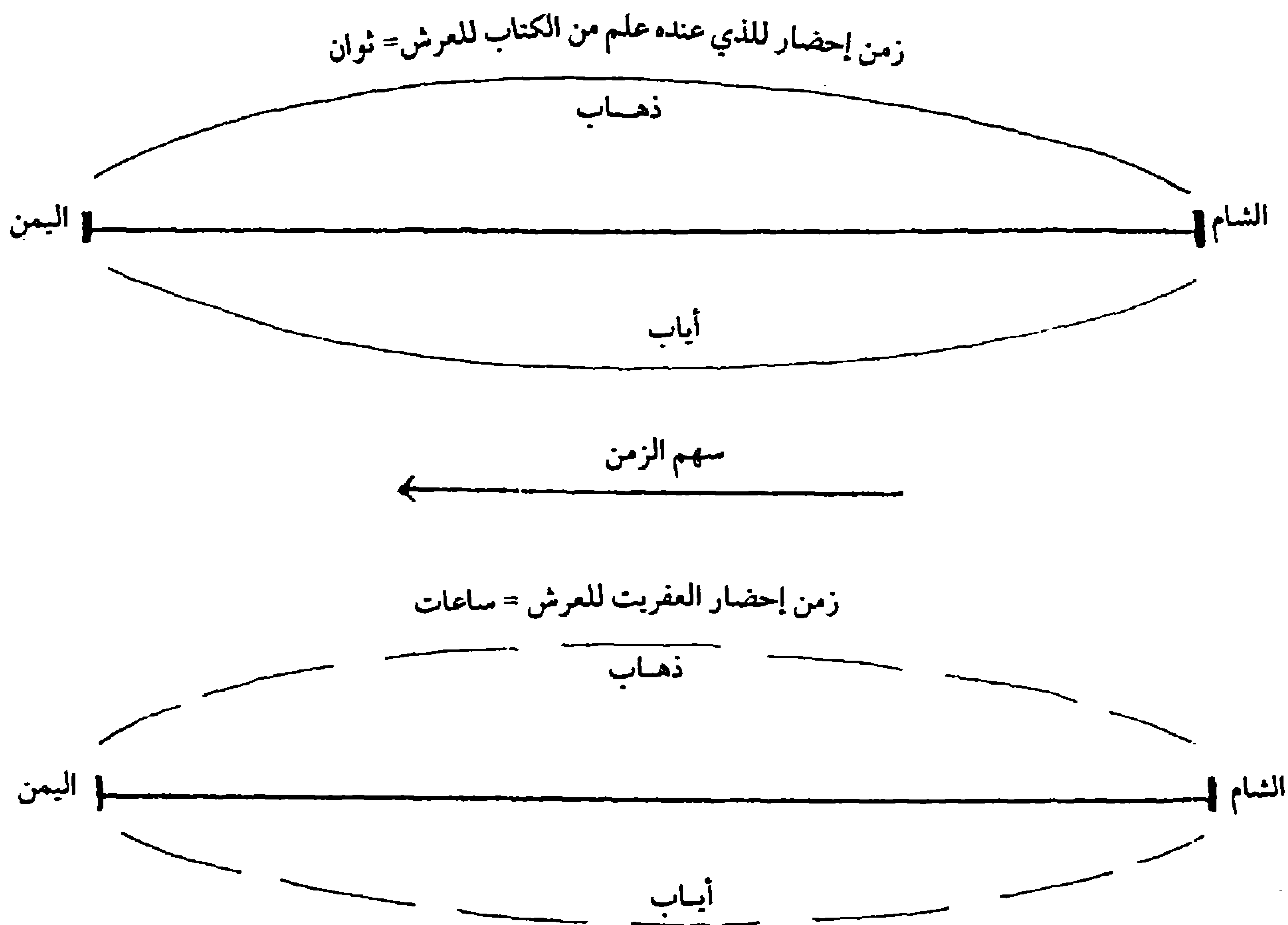
---

(1) هذه الآيات هي بالإضافة إلى التي ذكرنا: سورة الأعراف: 54: 7، الفرقان: 59، السجدة: 4، الحديد: 4، المجادلة: 4.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج6/ ص121.

(3) الزمخشري: **الكشّاف**، 1 ج/ ص188.

وقيل: الوقت الذي يخطب فيه الناس، وقيل: إلى انتصاف النهار»[1]؛ وأمَّا عند الذي عنده علم من الكتاب فيقدَّر وقت قطع هذه المسافة بثانية أو أقلّ، أي قدرَ إغماض الطرف وارتداده، والرسم يُبَيِّنُ النسبة بين الحركتين:



نسبة حركة العفريت والذي عنده علم من الكتاب من الشام إلى اليمن

---

(1) الرازي: التفسير الكبير، ج24/ ص197

المبحث الثاني
الحركة في الزمن

الحركة السنَنية في الزمن:

لو تأمَّلنا الآيات القرآنية، وتأمَّلنا الكون وما خلق الله فيه، لوجدنا أنَّ كلَّ شيءٍ يسير في زمنه، وأنَّ هذا الزمن ينساب إلى الأمام فلا يتوقَّف في مكانه، ولا هو يرجع إلى الوراء.

ففي إطار الكون الشاسع تتكرَّر أمور مثل: أن يولَد إنسان فيكبر ويموت، وتنبت شجرة فتثمر ثَمَّ تصبح كالهشيم، وتقوم الأمم وتسود فتنقضي، وكذلك الأمر بالنسبة للحيوانات والجمادات...

وفي القرآن الكريم تبرز هذه الحركة الدائبة الدائمة، والتي لا يعدمها عصر ولا مكان؛ مع الملاحظة أنَّ إيقاعها وتسارعها ليس واحداً، فلكلِّ مخلوق إيقاع خاصٌّ به لا يخرق إلاَّ في حالات نادرة وبأمر من الله وحكمة. وهذا الإيقاع هو الذي نسمِّيه بالحركة السنَنية لأنَّها تسير وفق سنَن الله تعالى في الأنفس وفي الكون، ومن هذه الحركات نذكر:

حركة الإنسان: الذي يكون في العدَم، ثمَّ يُخلق في بطن أمِّه ويعيش مراحل الجنين المعيَّنة، ثمَّ تلده أمُّه وتضعه، ثمَّ يعيش مراحل العمر من الصبا إلى الشباب إلى الكهولة فالشيخوخة فالممات، وبعد الموت سيبعث، كلّ هذا في معدَّل زمنيٍّ لا يقلُّ عنه ولا يتعدَّاه، إذ لم يرو أنَّ إنساناً - مثلا - شاخ بعد عامين من ميلاده، أو أنَّ مدَّة مكوثه في البطن لم تتعدَّ الأسبوع... أو غير ذلك مِمَّا يخالف إيقاع حياة الإنسان الزمنيّ، وفي هذا يقول تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (سورة الإنسان: 1-2).

وقال جلّ من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ (1) لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ (سورة الحجّ: 5).

وغير هاتين الآيتين كثير في القرآن الكريم، وانظر الرسم البياني لمراحل الجنين:

---

(1) وعمر أمّة محمّد ﷺ والبشرية من بعده قد لا يتعدّى المائة إلاّ نادراً، فلا يحتمل أن يعيش إنسان ألف سنة - مثلاً -، أمّا المعدّل فيقول عنه سيّد الخلق محمّد، فيما روى الترمذي قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَبِيعَةَ عَنْ كَامِلٍ أَبِي الْعَلَاءِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ ﷺ: «عُمْرُ أُمَّتِي مِنْ سِتِّينَ سَنَةً إِلَى سَبْعِينَ سَنَةً».

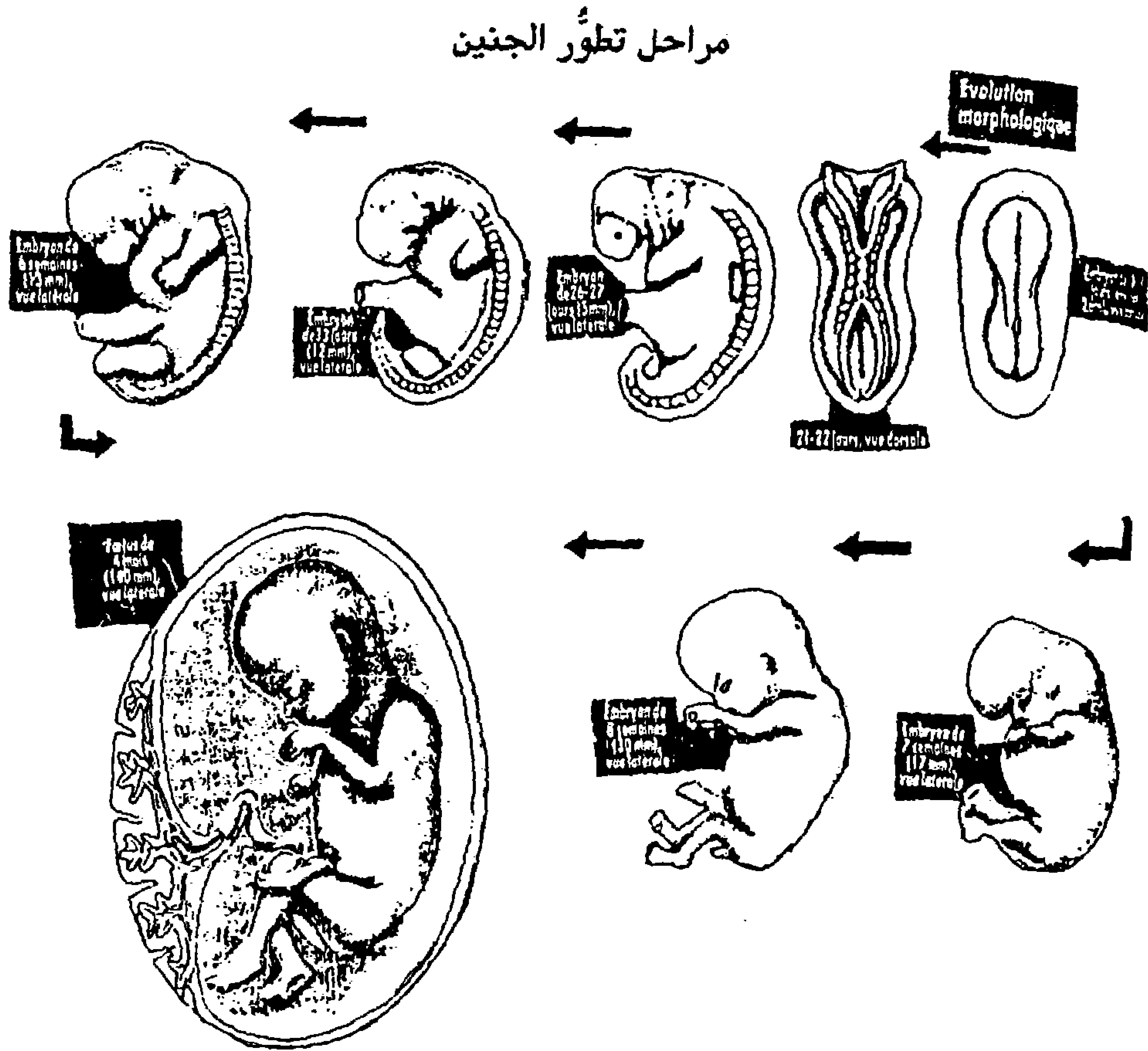
قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. كتاب الزهد، رقم ٢٢٥٣. وانظر موسوعة الحديث، مادّة البحث: «عمر أمتّي».

فهذا التحديد لمعدّل عمر أمّة محمّد ﷺ دليل على الإيقاع المنسجم لحياة الإنسان، حسب ما كتب الله له. إذ من المخلوقات ما يعيش أسبوعا أو أقلّ، ومنها ما يعيش المئات من السنين، ولكلٍّ حركيته وإيقاعه، ففي بحث للدكتور أمين رويحة، عرض أقصى حدٍّ من عمر بعض الحيوانات، منها: «السلحفاة العملاقة (300 سنة)، الحوت (200 سنة)، الفيل (120 سنة)، الخيل والحمير (20-30 سنة)، الحمام (20 - 30 سنة)، الضفادع الخضر (10 - 20 سنة)، الفأر في المختبر (1 سنة)».

وفي نفس البحث، عرض الدكتور رويحة آراء العلماء حول متوسط عمر الإنسان، إلى أن يصل إلى قوله: «فمتوسّط العمر البشري لم يزد حتّى وقتنا الحاضر عن 73 سنة» وهذا قريب جدًّا مِمَّا ذكره الحديث الشريف، ومن يدري لعلَّ الدراسات في المستقبل ستحصر هذا العمر بين الستين والسبعين، فتوافق بذلك ما جاء في كلام خير البرية.

أمين رويحة: شباب في الشيخوخة؛ دار القلم، بيروت، لبنان؛ ط2: 1972م؛ ص24-25.

مراحل تطوّر الجنين



1) هذا رسم يبيِّن مراحل تطوّر الجنين كما عرضها القرآن الكريم، ولا يحتمل عقلا ولا واقعا أن يولد جنين دون أن يمرَّ على هذه المراحل، أو أن يبدأ من مرحلة متطوِّرة فيرجع إلى مراحل سابقة مخالفا سهم الزمن. . . وهذا ما نسمِّيه بالحركة السَّننية.

2) انظر:

Charles roux: **Six semaines ou tous se construit;** Science et vie, hors serie, no 190 (mars 1995) 38-41.

وأمّا الحركة الزمنية للنبات: فهي كذلك تتميَّز بإيقاع معيَّن حسب تقدير محكم من الله تعالى، وفي ذلك يقول سبحانه ـ تتمّة للآية السابقة من سورة الحجِّ ـ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (الآية: 5).

ويقول في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة يونس: 24).

فلو رسمنا حركة هذه النباتات في شريط لظهر لنا الإيقاع والحركة الدقيقة لِكُلِّ نبات على حدة، ولجميع النباتات مجملة، فلا يمكن لأيٍّ منها أن يخالف هذه السنَّة بِأَن يثمر قبلَ أن ينبت، أو أن يقف أمام الأمر بالفناء المحتوم فيخلد. . . والذي يظهر هذا الإيقاع هو الأسلوب القرآنيُّ الحيُّ، الذي يضاهي حياة المشهد في عالَم الطبيعة.

أمّا **حركة السماوات والأرض**(1)، فيبيِّنها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ (سورة الأنبياء: 30)، ثمَّ مرّتا بمراحل الخلقِ كلّها إذ خُلقتا في ستَّة أيّام، ثمَّ قال عنهما تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾(سورة الذاريات: 47).

ثمَّ سيأتي هلاكهما حتماً: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (سورة الأنبياء: 104).

---

(1) انظر في مراحل خلق السماوات والأرض وفنائهما ـ الجابي: **النظرية القرآنية الكونية**، ص51 ـ 164. ود افيد برجامي: **الكون**؛ سلسلة لايف المكتبة العلمية؛ ترجمة دار الترجمة والنشر لشؤون البترول، بيروت؛ نشر لايف؛ ط عربية: 1971م، كله. فقد اقتصرنا هنا على التمثيل لا الحصر، لأنّه ليس موضوعنا.

وعن مصير السماء والأرض جميعاً يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (سورة الزمر: 67).

والسؤال الذي طرحناه أوَّلاً: هل يمكن لأحدى هذه المخلوقات المذكورة أن تسير عكس هذا النظام السَنَني للكون، أو أن تسير في نظامٍ زمني وإيقاعٍ مخالفٍ للإيقاع المقدَّر لها؟

لا نجد أيَّ آية تدلُّ على هذه الإمكانية، ومع ذلك فإنَّ الإنسان اتَّسم من بين هذه المخلوقات بالتطلُّع - أحياناً - إلى مخالفة النظام السَّنني لحركته الزمنية، وذلك يتمثَّل في عدَّة محاولات، يمكن تسميتها بالحركات غير السننية، نذكر منها:

1) الاستعجال أو التسارع نحو المستقبل:

قضى الله سبحانه وتعالى في الأزل، وقبل خلق الزمن نفسه أنَّه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾(سورة الرعد: 38)، فكلُّ أمر قدَّر الله وقته، لا يتأخَّر عنه ولا يتقدَّم، و«لكلِّ واقع أجلٌ يقع عنده، ولكلِّ أجلٍ كتابٌ أي تعيين وتحديد لا يتقدَّمه ولا يتأخَّر عنه»[1]. وممَّا نشاهده أنَّه تعالى «يخلق حيواناً عجيب الخلقة، بديع الفطرة، من قطرة من النطفة، ثمَّ يبقيه مدَّة مخصوصة، ثمَّ يميته، ويفرِّق أجزاءه وأبعاضه»[2] ولا يحتمل أن يخرق هذا النسق، وهكذا «لِكُلِّ حادث وقت معيَّن، فقبل حضور ذلك الوقت لا يحدث ذلك الحادث»[3] وبعد انقضاء أجله لا يمكن أن يحدث.

غير أنَّ الإنسان كثيرا ما يستبطىء وقوع شيءٍ، فيحاول أن يستعجله ويسرع به عن وقته المكتوب، وهذا الاستعجال وإن لم يكن مخالفاً للاتجاه الطبيعي

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج13/ ص164.
(2) الرازي: التفسير الكبير، ج19/ ص63.
(3) ن، م، والجزء والصفحة.

لانسياب الزمن (من ـ ما لا نهاية إلى +ما لا نهاية)، غير أنّه مخالف لإيقاع هذه الحركة وسرعتها.

والاستعجال[1] - كما تدلُّ عليه الآيات القرآنية - من صفات الإنسان الخلقيّة التي ركِّبت فيه: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (سورة الأنبياء: 37)، ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ (سورة الإسراء: 11)، أي أنَّ الإنسان «ركِّب على العجلة فخلقَ عجولاً (...) أي طبعُ الإنسان العجلة، فيتعجَّل كثيراً من الأشياء وإن كانت مضرَّة»[2].

وهذا ما يلاحظ في طبع الناس عموما، وإنّما التفاوت بينهم في نسبة هذا الاستعجال ونوعه، وفي سببه والغاية منه.

ومن بين مواطن الاستعجال في القرآن الكريم، ما يلي:

أوّلاً ـ استعجال الرسول ﷺ:

يحكي لنا القرآن الكريم ثلاثة مواقف استعجل فيها النبيء ﷺ، فنهاه الله تعالى عن هذا العَجَلِ، وإن كان استعجاله عليه السلام أساسه الحرص والاهتمام، ومع ذلك طمأنه الله تعالى أنَّ كلَّ الأمور مقدَّرة، ولكلٍّ أمر وقته. وهذه المواقف هي:

أ) **العجل بالقرآن**: وهذا النوع من العجل نقرأه في عدّة آيات منها: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ (سورة طه: 114)، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ (سورة القيامة: 16)، فعن ابن عبَّاس رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ حَرَّكَ بِهِ لِسَانَهُ» وَوَصَفَ سُفْيَانُ: «يُرِيدُ أَنْ يَحْفَظَهُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾»[3].

---

(1) الاستعجال لغة: الاستحثاث وطلب العجلة، والعجل السرعة خلاف البطء. ابن منظور: **لسان العرب**، ج4/ ص694

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ج11/ ص288.

(3) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، حديث رقم 4546، قال «حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا=

والحال أنّه «لاقتناع النبيء ﷺ وامتلاء قلبه بقيمة كلام الله تعالى كان شديد الحرص على حفظه، شديد الحرص على إتقانه، يخاف أن تضيع منه كلمة، أو ينسى منه حرفاً، فإذا كان جبريل يتلو عليه القرآن فإنّه يصغي إليه بِكُلِّ قلبه، ويسرع إلى إعادة ما يسمع خوف النسيان»[1].

ومع أنَّ الغاية والسبب - كما نرى - شريفين، غير أنَّ الله سبحانه نهاه عن هذا الاستعجال، ولذلك طمأنه فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ (سورة القيامة: 17 ـ 19)، إذن فالغاية ستبلغها دون عجل.

ب) **استعجال طلب العذاب للكافرين**: يقول تعالى مخاطباً نبيئه محمَّداً عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (سورة مريم: 83-84)، أي: لا تطلب العذاب المعجَّل لهم، وانتظر أجل إهلاكهم ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ وفي هذا يقول« الكلبي: [نعدُّ لهم] آجالهم، يعني الأيّام والليالي والشهور والسنين إلى انتهاء أجل العذاب»[2].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ (سورة الأحقاف: 35).

ج) **استعجال النصر**: يقول الله عزَّ وجلَّ مخاطباً رسولَه والمؤمنين في موضوع القتال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (سورة البقرة: 214).

= سُفْيَانُ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ وَكَانَ ثِقَةً عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: . . . ».

وفي البخاري كذلك، كتاب التفسير، رقم 4547، 4547.

العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «لا تحرك به لسانك».

(1) بيوض: في رحاب القرآن تفسير سورة مريم وطه، ج4/ ص399.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج11/ ص150.

وقد ذكر كثير من المفسِّرين «أنَّ هذه الآية نزلت في غزوة الخندق، حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدائد»[1]، إلاَّ أنَّ هذا الاستعجال للنصر غير مقتصر على مناسبة بعينها، فطبيعة الإنسان أنَّه يستعجل النصر والنعمة، ولكن الله الحكيم لا يخرق سننه، فلا نصر حتَّى تكتمل الأسباب، ولا نصر إلاَّ في الزمن المحدَّد للنصر.

ثانياً ـ استعجال موسى عليه السلام لقاء ربِّه:

وهذا النوع من الاستعجال دافعه هو نفسه دافع استعجال الرسول ﷺ، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ واعد موسى في الأوَّل ثلاثين ليلة، ثمَّ زاد له في الميعاد فكان تمامه أربعين ليلة: ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (سورة الأعراف: 142)، ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (سورة البقرة: 51)، غير أنَّ موسى عليه السلام استبطأ مسير قومه، فاستخلف عليهم أخاه هارون عليه السلام، وعجَّل الخطوات فأسرع إلى ربِّه، ولهذا وبَّخه الله عن هذا التعجيل، فإنَّه ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾، ولكلِّ موعد أجل محدَّد ومسمَّى، فللموعد ولحركة الزمن قيمته خاصَّة إذا كان مع الله العليِّ الحكيم خالق الزمن؛ ولهذا قال لموسى بأسلوب الاستفهام الانكاريِّ[2] المستعمل في اللوَّم: ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾، فأجاب قائلاً: ﴿ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[3] (سورة طه: 84).

وخلاصة القول إنَّ هذا الاستعجال مرفوض بغضِّ النظر عن الهدف أو الغاية، وهذا مِمَّا يدعِّم قيمة الزمن، وأهميَّة انسيابه في إيقاع محكم في القرآن الكريم.

---

(1) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج2/ ص314.
(2) الزمخشري: **الكشَّاف**، ج 3/ ص64.
(3) انظر تفاصيل القصَّة في القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ج11/ ص232 وما بعدها.

ثالثاً ـ استعجال الكفّار العذابَ والساعة:

كان نوع الاستعجال السابق مِمّا يوجد له مبرِّر وهدف سامٍ، غير أنَّ استعجال الكفَّار دافعه التكذيب والاستخفاف وإنكار الحقّ، وإذا كان الأوَّل غير مقبول فإنَّ الثاني منهي عنه من باب أولى، وفي هذا نقرأ قوله تعالى حكاية عن الكفَّار المكذِّبين بالقرآن: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا[1] قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ (سورة ص: 16)، أي قالوا: «عجِّل لنا نصيبنا من العذاب الذي وعدته»[2].

وفي آية أخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ (سورة الشورى: 17 ـ 18).

ويقول الله تعالى للنبيء محمَّدٍ ﷺ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ﴾[3] (سورة الرعد: 6). ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ﴾(سورة الحج: 47).

والنتيجة أنَّ الله سبحانه لا يستجيب لهؤلاء استعجالهم، ذلك أنّه قضى وقدَّر أنَّ كلَّ أمر يأتي في زمنه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ﴾ (سورة الأعراف: 34)، والأجل عند الله مسمًّى ومحدَّد بدقَّة لا يملك الإنسان تصوّرها، وهذا من تمام قدسية حركة الزمن عند الله خالق الزمن والحركة جميعا.

ونقرأ كتبكيت لهؤلاء الكفَّار المستعجلين قولَه تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ

---

(1) القطّ لغة: من معاني "قطّ" لغة: الزمان، والقِطُّ: النصيب، والصكّ بالجائزة، والقطّ: الكتاب، وقيل: كتب المحاسبة.
ابن منظور: لسان العرب، ج5/ ص116

(2) الزمخشري: **الكشّاف**، ج4/ ص59. وانظر تفصيل الآية في ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج23/ ص224 ـ 226.

(3) «المثُلة: بفتح الميم وضمّ الثاء، العقوبة والجمع المثُلات» الرازي: **مختار الصِّحاح**، ص615.

تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (سورة يونس: 51). والمعنى «أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون (. . .) إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه، حين لا ينفعكم الإيمان»[1].

وفي آية أخرى قال: ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ (سورة الشعراء: 204-207)، ويفسِّر هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (سورة هود: 8).

ونظير هذه الآيات في القرآن كثير، وكلُّها مجمعة على الحكم بالضلال والإجرام والكفر على من يستعجل العذاب.

رابعاً ـ لولا كتاب من الله سبق:

رغم أنَّ الله تعالى هو خالق الزمن والآجال، وأنَّه سبحانه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (سورة الأنبياء: 23)؛ وهو القادر - وحده - أن يقدِّم أمراً عن أجلِه أو يؤخِّره عن أجله، إلاَّ أنَّه في آيات كثيرة يبيِّن لنا أنَّه سنَّ سننا، وقضى وقدَّر، وقدره أسبق من قدرته[2]، فقضاؤه نافذ لا لعجز وإنَّما لحكمة أرادها، وليس على الإنسان أن يقترح على الله خرق قضائه أو قدره، وإنَّما عليه أن يبحث عن الحكمة من إنفاذ قدره، سبحانه هو العادل في حكمه.

وأغلب هذه الآيات جاءت شرطية، وذكر فيها: "لو" الذي هو حرف امتناع لامتناع[3]، و"لولا" الذي يفيد الامتناع للوجود[4]. ومنها قوله تعالى:

(1) الزمخشري: ن، م، ج2/ ص275.
(2) يقول ابن العربي في رسائله :«لا سبيل إلى عدول القدرة عمَّا عدل به القدر»، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (سورة ق: 29)، كتاب الشأن، ص6.
(3) يعرِّفها الرازي في مختار الصحاح بأنَّها : «حرف تمنٍّ، وهو لامتناع الثاني من أجل امتناع الأوَّل»، ص607.
(4) وهي: «مركَّبة من معنى إن ولو، وذلك أنَّ لولا يمنع الثاني من أجل الأوَّل» المصدر السابق، ص609. والمهمُّ أنَّ الثاني ممتنع في كلا الحالين، وهو ما نحن بصدده. =

﴿ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ (سورة يونس: 11).

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] (سورة الأنفال: 68).

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (سورة يونس: 19).

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (سورة طه: 129).

ففي هذه الآيات دليل على أنَّ حركة الزمن والآجال تسير وفق نظام وإيقاع لا ينفصلان عنهما، وهي دليل على أن لا حريّة للإنسان في التحرُّك في زمنه حسب اختياره، بل هي كلمة سبقت، وكتاب من الله سبق، فيه تدبير دقيق، وتقدير محكم لمسيرة الزمن، فسبحان ربّنا الأعلى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۞ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ (سورة سبح: 1-2).

وهذا رسم لمفهوم الاستعجال في سهم الزمن:

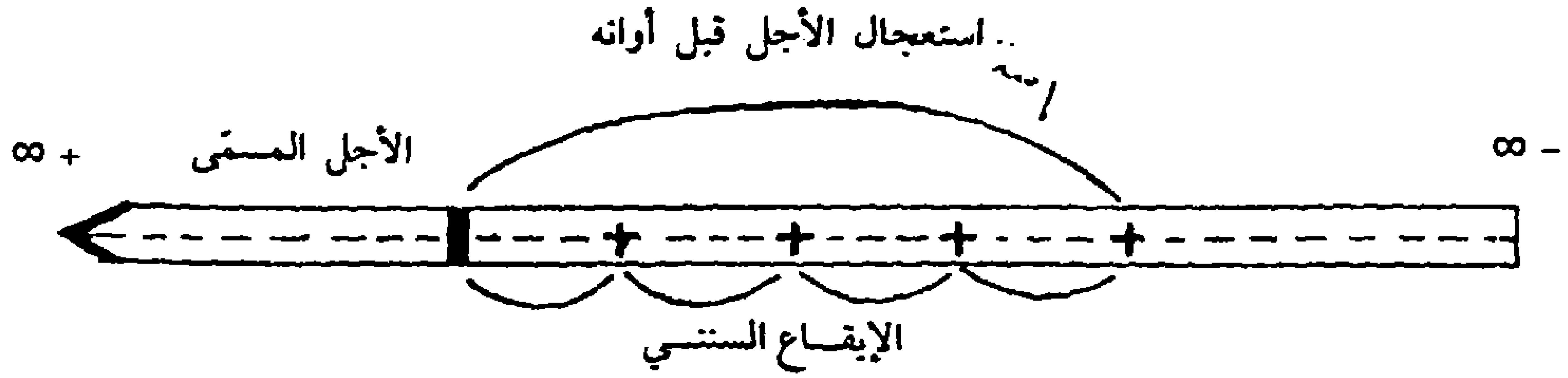
= وانظر كذلك ـ قصّار: معاني الحروف في القرآن، ص101.

(1) وسبب نزول هذه الآية نفسها هو الاستعجال، فيروي الترمذي حديثا نصُّه: حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو عَنْ زَائِدَةَ عَنِ الأعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لأَحَدٍ سُودِ الرُّءُوسِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَتْ تَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا» قَالَ سُلَيْمَانُ الأعْمَشُ: «فَمَنْ يَقُولُ هَذَا إِلاَّ أَبُو هُرَيْرَةَ الآنَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَقَعُوا فِي الْغَنَائِمِ قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ لَهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾».

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الأَعْمَشِ. كتاب تفسير القرآن، رقم 3010؛

العالمية: موسوعة الحديث، مادّة البحث: «لولا كتاب من الله سبق».

فوقعوهم في الغنائم قبل أن تحلّ لهم هو من قبيل الاستعجال.



بيان الاستعجال في سهم الزمن

هذه نماذج من المواطن التي نهى الله فيها عن مخالفة إيقاع حركة الزمن، هذه الحركة التي سنّ لها قوانينها، وهي في مجملها لا تحاول أن تسير في الاتجاه المعاكس لحركة الزمن؛ أمّا المواطن التالية ففيها تطلُّع من الإنسان للسير نحو الوراء، ومخالفة حركة انسياب الزمن، وهي:

2) **الاستقدام والاستئخار:**

لِكُلِّ شيء خلقة الله تعالى أجل ومقدار زمنيٌّ ينتهي فيه وجوده، وللإنسان أجله المحدَّد، كما للمخلوقات آجالها، ولم يعرف في القرآن ولا في غيره أنَّ خلقاً من خلق الله احتجَّ على الله وطلب منه تأخير أو تقديم أجله، إلاَّ الإنسان الذي أعطاه حريّة القبول أو الرفض، حرية الإيمان أو الكفر: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (سورة الكهف: 29)، فإنّه أحياناً يطلب استقدام أجله وأحياناً يطلب استئخاره.

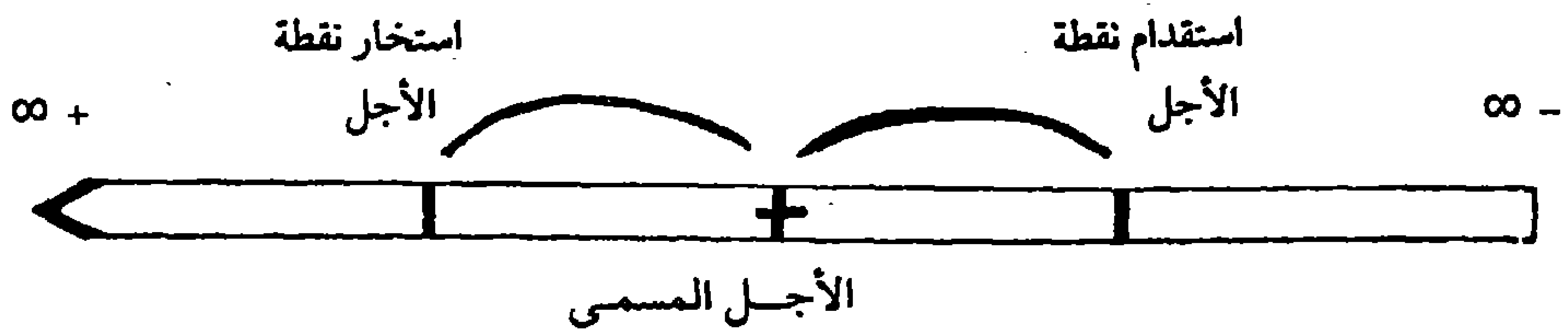
والله سبحانه يمهل الناس ويؤخِّرهم إلى أجلهم المكتوب لهم، ولا يؤخِّرهم عن أجلهم، فمن الآيات الدالَّة على التأخير إلى الأجل المسمَّى قوله تعالى:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (سورة فاطر: 45).

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (سورة النحل: 61).

وأمّا الاستقدام والاستئخار عن الأجل فيعتبر في لغة الزمن محاولة فاشلة لتحريك نقطة الأجل في سهم الزمن نحو الأمام أو نحو الوراء، وهذه المحاولة يرفضها العقل ويرفضها الواقع، وهي مخالفة لسنَن الله في خلقه، إذ ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (سورة الرعد: 8)، ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (سورة فاطر: 43)، و«الإهلاك ليس سنّة الأوّلين وإنّما هو سنّة الله في الأوّلين»[1]، وهو سنّة الله في الآخرين كذلك – كما تفيده هذه الآية وغيرها–، ولا يكون إلاّ في أجل معدود.

فلو رسمنا سهم الزمن لكان الاستقدام والاستئخار فيه على النحو التالي:



الاستقدام والاستئخار في سهم الزمن

وتجمع الآيات أنَّ الله لا يخلف وعده ولا وعيده، ولا يقدِّم أجلا أو موعداً عن وقته المحدَّد، ولا يؤخِّره عن أجله المعيَّن، فلو كان ليؤخِّر أجل أحدٍ لأخَّر أجل رسول الله ﷺ، أو أجل المؤمنين من عباده: ففي صحيح البخاري نقرأ حديثاً قدسيا يفيد هذا المعنى وهو قول الله تعالى على لسان نبيّه: «**مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ**

(1) الرازي: التفسير الكبير، ج26/ ص35.

وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[1] /ومع هذا فإنه إذا جاء أجل المؤمن لا يقدَّم ساعة ولا يؤخَّر.

ومن بين الآيات التي تفيد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سورة سبأ: 30).

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ (سورة الحجر: 5)، (سورة المؤمنون: 43).

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سورة الأعراف: 34).

وتروي لنا مصادر الحديث قصَّة الرجل الذي شهد غزوة مع رسول الله ﷺ، وأبلى فيها البلاء الحسن، فلمَّا جُرح استعجل الموت فكان حظُّه النار - والعياذ بالله -، وهي في مجملها دليل على أنَّ استعجال الآجال حرام [2].

---

(1) تمام الحديث: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وما تردَّدتُ...». حديث رقم 6021، كتاب الرقاق.

العالمية: موسوعة الحديث، مادَّة البحث: يكره الموت.

(2) روى البخاري في الرقاق، قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ الأَلْهَانِيُّ الْحِمْصِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْمُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».

فَتَبِعَهُ رَجُلٌ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ الْمَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا».

رقم 6012؛ ورواه البخاري كذلك في المغازي، رقم 3885؛ ومسلم في الإيمان، رقم 163...

=

3) طلب الرجوع إلى الماضي:

هل يعود ما مضى من الزمن؟ وهل يمكن للإنسان أن يرجع من حاضره إلى ماضيه، أو من مستقبله إلى حاضره؟

أسئلة تحيِّر كلَّ إنسان، وترد في ذهن كلِّ واحد منّا، والإجابة عنها تحمل عدَّة أوجه: دينية، وفلكية، وفلسفية، وفزيائية...

يقول الحسن البصري: «ما من يوم ينشقُّ فجره إلاَّ وينادي: يا ابن آدم، أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوَّد منّي، فإنّي إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة». فحكم - من خلال هذا القول الخالد، الذي عدَّه البعض حديثاً[1] - أنَّ الرجوع إلى الوراء في حركة الزمن أمرٌ مستحيل، والعودة إلى الماضي حلم ضائع.

ويعبِّر نيكلسون عن هذه الاستحالة في مجال الطبيعة بقوله: «قد يكون ذلك مضحكاً لو أنّه فعل، فسوف يتطوَّر الطاعنون في السنِّ متّجهين صوب الطفولة، والمباني المنهارة سوف ترتفع من التراب لتستأنف حالاتها الأصلية القديمة، وسوف تتلاقى الأمواج على حبّات الحصى التي سوف تقفز في أيدي الناس الذين قذفوا بها ذات يوم إلى الماء، وهلمَّ جرًّا؛ وتكون الحياة أشبه بشريط سينمائيٍّ يدور إلى الوراء، إذا انعكس حقًّا اتّجاه الزمان، ولا تقوم أيّة شواهد لتأييد إمكانية وقوع هذا الحدث، كما لا يوجد أيُّ احتمال على أنَّ العمليات الزمنية سوف تعكس لو أنَّ الكون كفَّ عن التوسُّع ودخل مرحلة الانقباض»[2].

أمّا في مستوى الخيال فقد اتّخذ هذا الحلم - أي الرجوع إلى الماضي - شكل آلة للزمن[3]، كما أنّه اتّخذ شكلاً خرافيا لدى الشعوب المتخلِّفة: من

= العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «استعجل الموت».

(1) تقدَّم ذكره.

(2) الزمان المتحوِّل، ص255.

(3) وقد عرض مؤلِّف كتاب الإنسان والزمن التطوّر التاريخي لفكرة آلة الزمن، منذ أوَّل من=

قصص خارقة، وكرامات ملفّقة، فإنّه «ما بين الحلم الإنسانيّ بالعودة إلى الماضي، والحلم بالانتقال إلى المستقبل نما كثير من الخرافات والأوهام والآمال، استند بعضها على خزعبلات، وبعضها على خيال علميّ، اتّخذ شكل نفق للزمن، يتجوّل فيه الإنسان بين عصور انقضت وأخرى ستأتي»(1).

غير أنّ الإجماع بين كلّ العقول على أنّ هذا التنقُّل الخارق لسنن الكون، لا يمكن تحقُّقه، وليس إلاّ ضرباً من الوهم.

أمّا فيزيائيا فيفسَّر هذا الانتقال من الحاضر إلى الماضي في حالة ما إذا وُجدت جسيمات تفوق في سرعتها سرعة الضوء، أي: 300000 كيلومتر في الثانية، وقد افتُرض وجودها وسمِّيت بالتكيونات «tachgons» ودرست دراسة فيزيائية نظرية. «والآن تبين النسبية العامّة بوضوح لا مزيد عليه أنّه من المحال أن ينتقل أيُّ جسم ماديّ بسرعة الضوء (...) ولم تَظهر بعد شواهد تجريبية على إمكانية وجود التاكيونات»(2).

ومن ثمَّ تقرَّر في علم الفيزياء أنَّ السفر إلى الماضي مستحيل استحالة لا خلاف فيها، وعلى افتراض إمكانية ذلك بالمشاهدة، فإنّه يستحيل بالشهود، ولن تكون هذه المشاهدة إلاّ بمثابة مشاهدة فلم سينمائي لأحداث مضت، فلا يمكن أن يقال شهدت هذه الأحداث، وإنّما الصواب أن يقال: شاهدت هذه الأحداث؛ ومن الفروق بينهما أنّك تستطيع أن تؤثّر في الأولى، وأمّا الثانية فيستحيل أن تؤثّر في مجرى الحادثة.

وللقرآن الكريم رأي قاطع لا مرية فيه في هذه النقطة، فتتظافر الآيات على

= ألف فيها وهو (1866-1946) H.G Wells، وبين خصائص أهمّ المصادر في هذا المجال. وانظر ـ

Priesstly: **L'homme et le temps, p 121-135**

(1) د. عبد الله المعجل: **الزمن البعد الرابع**؛ مجلّة العربي؛ عدد 379 (يونيو 1990م) ص39 .

(2) نيكلسون: **الزمان المتحوّل**، ص204.

استحالة انسياب الزمن نحو الماضي، رغم بعض التطلُّعات من الكافرين خاصـّة.

وقد صنَّفنا هذه الآيات إلى صنفين:

الرجوع إلى الماضي في الدنيا.

الرجوع إلى الماضي من الآخرة إلى الدنيا.

أوَّلاً ـ الرجوع إلى الماضي في الدنيا:

ويتمثَّل في نوعين هما:

أ) **الرجوع التاريخيُّ**: ومن خلاله ينفي الله تعالى عن محمَّد ﷺ أنـّه رجع إلى الماضي واستقى الأخبار عن الأمم السابقة، ولو لم يصدر هذا النفي في القرآن الكريم لأمكن أن يدَّعي البعض أنَّ لمحمَّد ﷺ القدرة على الرجوع إلى الماضي، خاصـّة مِمـّن آمن به وانتصر له انتصارا غير مبني على العلم واليقين، كما ألَّه المسيحَ أتباعُه من بعده، فضلّوا وأضلُّوا.

فقد قال تعالى في معرض قصَّة مريم عليها السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (سورة آل عمران: 44).

فنفي الله تعالى الرجوعَ، ونفيه هذه المشاهدة العينية عن الرسول عليه السلام مع أنَّ انتفاءهما معلوم بغير شبهة جاء «من قبيل التهكُّم بالمنكِرين للوحي»[1]. وهو كذلك يعزِّز قول محمَّدصلى الله عليه وسلم لقومه متعجِّبا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ (سورة الإسراء: 93)، أخضع للقوانين التي يخضع لها البشر، ومن أوكد هذه القوانين: الزمن والمكان.

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (سورة يوسف: 102). ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ

---

(1) الزمخشري: الكشّاف، ج1/ ص278.

﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (سورة القصص: 44)

وفي هذه الآيات بيان لقريش - الذين يعلمونَ بالمشاهدَة والإدراك - أنَّ محمَّداً ﷺ يعيش في زمنهم، ومع ذلك جاءهم بأخبار مضت في تفصيل عجيب، لم يتلقَّاها عليه السلام بالسماع من أحد، لأنَّه لم يكن من أهل السماع، وبهذا ثبت الوحي وقيل لِلكُفَّارِ تهكُّما: «علمتم يا مكابِرة أنَّه لم يكن مشاهِدا لمن مضى مِن القرون الخالية»[1].

ويدعِّم هاتين الآيتين قوله تعالى لمحمَّد ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (سورة القصص: 44)، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ (سورة القصص: 46).

فإن كان هذا الحكم بعدم إمكانية الرجوع التاريخي إلى الماضي، بالنسبة إلى محمَّد خير خلق الله، فهو من باب أولى شامل لغيره من الناس.

ب) **الرجوع من لحظة الموت إلى الماضي**: الإنسان غافل بطبعه إلاَّ مَن ذكَّره الله، ولذلك قال تعالى عنه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ (سورة يونس: 92)، ومن آيات الله: الموتُ، فكثيراً ما جاء الإنسانَ وهو عن أمره ساهٍ لاهٍ، وشأنه شأن مَن جاءه موعد السفر ولم يحضِّر متاعه، فما يكون منه إلاَّ أن يطلب تأخير موعده.

وقد تبيَّن بالإجماع والمشاهدَة استحالة ذلك، وقد يَطلب من الملائكة ويدعو الله أن يرجعه إلى الماضي، فيجدِّد حقبة من عمره على الطريق القويم، لكنَّ أمر الله صريح في استحالة هذا الرجوع.

يقول تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة المؤمنون: 99-100).

تصف الآية الكريمة هذا المشهد الحيَّ «مشهدَ الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتداركِ ما فات، والإصلاح

(1) ن، م، ج2/ص395.

فيما ترك وراءه من أهل ومال؛ وكأنّما المشهد معروضٌ اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان! فإذا الردُّ على هذا الرجاء المتأخِّر لا يوجَّه إلى صاحب الرجاء، إنّما يعلَن على رؤوس الأشهاد: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ كلمة لا معنى لها، ولا مدلول وراءها، ولا تنبغي العناية بها ولا بقائلها»[1].

إذن فالرجوع من لحظة الموت إلى الحياة أمرٌ مستحيل، وطلبه طلب مردود مرفوض، إذ لحركة الزمن عند الله قدسيتها، ولسننه سبحانه إلزامها على الناس، فلا يخرقها لأجل رجاء فلان، أو دعاء آخر.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ دليل على هذه الاستحالة، ومعناه «مِن خلفهم حاجز، يمنعهم من العودة في الزمن كما طلبوا»[2]، وقد أجمع المفسِّرون أنّ هذا الحاجز ليس حاجزاً ماديًّا، فيقول مجاهد: «البرزخ هو الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا»، ويقول الضحَّاك: «هو ما بين الدنيا والآخرة»، ويقول ترجمان القرآن ابن عبَّاس رضي الله عنه: هذا البرزخ «حجاب»... وكذا يقول غيرهم من التفاسير التي عدَّدها القرطبي في جامعه[3].

ثانياً ـ طلب الرجوع من الآخرة إلى الدنيا:

يقصُّ علينا القرآن الكريم مواقف كثيرة من عذاب الكفَّار يوم القيامة، ومن أشدِّ أنواع العذاب حسرتُهم، حتَّى سمَّى الله هذا اليوم بيوم الحسرة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (سورة مريم: 39)، وممَّا يحاول المتحسِّر فعلَه - نتيجة لهذه الحسرة - تذكّره ما أسرف في الدنيا وطلبه الرجوع إليها حتَّى يعمل صالحا على زعمه، وهذا بالطبع مخالف لسنَّة الله، ولهذا لا يجاب المسرفون في طلبهم هذا، وقد أكَّدت الآيات الكريمة استحالة هذا التنقل والسفر إلى الماضي: من يوم الآخرة إلى الدنيا.

---

(1) سيِّد قطب: في ظلال القرآن، ج4/ ص2480.
(2) الأحمر: الكون والنسبية، ص31.
(3) ج12/ ص150.

ومن أمثلة هذه الآيات، قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (سورة الأنعام: 27-28).

﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ (سورة الشورى: 44).

والله سبحانه وتعالى ينبّهنا إلى أنَّ هذا الرجاء باطل، فإذاً يجب أن نستجيب لله في الدنيا - ما دمنا أحياء -: ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ (سورة الشورى: 47).

ويصف لنا القرآن ذلك الموقف الرهيب الذي يقفه المنافقون والمنافقات يوم القيامة، وتقابله البشرى التي ينالها المؤمنون والمؤمنات: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (سورة الحديد: 12-13) أي: يقول المنافقون للمؤمنين انتظرونا «لأنَّهم يسرَع بهم إلى الجنّة كالبروق الخاطفة على ركاب تذفُّ[1] بهم، وهؤلاء مشاة»[2]، فالفرق بين السرعتين كالفرق بين سرعة الضوء وسرعة السلحفاة، لا مجال للمقارنة بينهما.

وفي خضمّ هذا المشهد المثير ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ فهذا من قبيل التهكّم بالمنافقين، ومعناه «ارجعوا إلى الموقف، إلى حيث أعطينا هذا النور، فالتمسوه هنالك، فمن ثمَّ يقتبس؛ أو ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا نوراً بتحصيل سببه وهو: الإيمان (. . .) وقد علموا أن لا نور

(1) من ذَفَّ على وجه الأرض ودفَّ، أي أسرع وخفَّ. وانظر ـ ابن منظور: لسان العرب، ج2/ ص1070

(2) الزمخشري: الكشّاف، ج4/ ص378 ـ 379.

وراءهم، وإنّما هو تخييب وقنوط»[1].

إذن، فلولا القرآن الكريم لَما علمنا علم اليقين، أنّه يستحيل على من يغشى عتبات الآخرة أن يرجع إلى الدنيا، إذ لا يوجد مصدر آخر يفيدنا بأحوال الآخرة يقينا؛ فلا يسمح أن نشكّ في هذا الحكم، مهما اجتهد من ادَّعى نقيضه في التنقيب عن الدليل.

3) نسبيّة الحركة في القرآن الكريم :

سبق أن ذكر أنَّ الزمن يعتبر وحدة لقياس الحركة سرعة وبطأ، ولكن هل زمن الحركة مطلق يتّفق فيه كلّ الراصدين، مهما كان موقعهم؟ أم أنَّ اختلاف المراصد يؤثّر في اختلاف نتيجة الرصد؟ وبالتالي: هل الحركة مطلَقة أم هي نسبية؟

هذا السؤال أطلقه العالم لورانتس فيما يعرف بتحوّل لورانتس (Lorentz transformation) وأجاب بِأَنَّ موقع الراصدين يرتبط بعدة معادلات، وبالتالي تختلف النتائج باختلاف المراصد، خلافا لِما عُرف بالتحوّل الجاليلي (Galilean transformation) الذي يدلّل على أنَّ اختلاف مواقع المراصد لا يؤثّر في المقاييس التي يأخذها الراصدان.

فإذا كان الزمن مطلقا فإنَّ الراصدين سيتفقان على الزمن الذي وقعت فيه الحادثة.

وجاءت نظرية النسبية لتؤكّد ما ذهب إليه لورانتس بأدلّة علميّة أقوى وأوكد، حتّى إنّه أصبح حاليا من البديهي أنَّ لمكان الراصد أثرا في نتيجة الرصد، وهكذا فإنَّ الحركة نسبيّة وليست مطلقة[2].

وفي القرآن آيات كثيرة دالّة على نسبيّة الحركة، وهذا يعتبر من الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم، ومن هذه الآيات نذكر قوله تعالى:

---

(1) الزمخشري: **الكشّاف**، ج4/ ص378 ـ 379.

(2) وانظر للتفصيل أكثر ـ نيكلسون: **الزمان المتحوّل**، ص185.

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (سورة النمل: 88).

والآيات دالَّة على أنَّ هذا يكون في الدنيا، وليس في الآخرة إذ الجبال تسير «فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ مراً حثيثاً كما يمرُّ السحاب، وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد، إذا تحرَّكت لا تكاد تبين حركتها، كما قال النابغة في صفة الجيش:

بأرعن مثلَ الطودِ تحسَبُ أنَّهم   وقوفٌ لحاجٍ والرِّكاب تهملجُ»[1].

مع العلم أنَّ الجبال ثابتة بالنسبة إلى الأرض، وذلك من معاني قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (سورة النحل: 15)، فأرسى يرسي بمعنى ثبَّت، و«الرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ»[2].

ولذلك قال سبحانه للرسول ﷺ: ﴿ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ﴾، لأنَّه يقف على الأرض ويتحرَّك بسرعة الأرض مع دورانها.

﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ مع العلم أنَّ السحب تتحرَّك بفعل الهواء، ويراها الإنسان ويرى حركتها من الأرض، وإذن فبالنسبة لراصد من الفضاء يرى الأرض تتحرَّك وتدور، ويرى بالتالي الجبال تدور وتتحرَّك وتسرع[3].

فهذا دليل على أنَّ الحركة نسبية، وأنَّها تتعلَّق بمكان الراصد، ففي حالتنا:

الراصد من الأرض يرى الجبال ثابتة جامدة.

الراصد من الأرض يرى السحاب يمرُّ ويسرع.

الجبال بالنسبة إلى الأرض ثابتة.

والأرض بالنسبة إلى الكون تدور وتتحرَّك بسرعة.

---

(1) الزمخشري: **الكشَّاف**، ج3/ ص304. والبيت نسبه الزمخشري للنابغة الذبياني، غير أنني لم أجده ضمن ديوان النابغة.

(2) الرازي: **مختار الصحاح**، ص243.

(3) وانظر ـ الأحمر: **الكون والنسبية**، ص18 ـ 20.

والراصد من الفضاء يرى الأرض تدور، وبالتالي يرى الجبال تمرُّ مرَّ السحاب.

وإذا كان الراصد في السحاب فإنّه يرى السحاب ثابتا والجبال مسرعة.

فالحركة إذن نسبية، وزمن تحقّقها يختلف باختلاف المراصد.

ودليل آخر على نسبيّة الحركة قوله تعالى في قصّة سليمان عليه السلام: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (سورة سبأ: 12).

فالغدوُّ والغدوة لغة هو السير أوّل النهار، نقيض الرواح الذي هو السير آخر النهار أو بالعشيّ [1]. وفي الحديث[2] «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». أي تخرج في الصباح جائعة، وترجع في المساء شبعانة.

فنسبة الحركة تظهر جليا في المقابلة بين: الغدوّ والشهر من المسير، وبين الرواح والشهر الآخر من المسير، إذ تقطع هذه الرياح المسافات التي يقطعها الـمُشاة في شهرين بسرعة تعدُّ بالساعات و«هذه الآية الكريمة توحي لنا بالسرعة الكبيرة جدًّا للرياح، وهي ذات حركة نسبية»[3]. وهي بالنسبة لسرعة الإنسان راكبا أو راجلا تعتبر سرعة كبيرة جدًّا، وتعادل أكثر من 60 مرّة سرعة الغادي والرائح، وبالنسبة للراكب فوقها تعادل صفراً وتبدو ساكنة، والذي يبدو مسرعا هو الثابت على الأرض. تماما كما يشاهِد الراكب على متن الطائرة - في عصرنا - الأرض وما عليها متحرّكة، وأمّا الطائرة فيعتبرها ساكنة.

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج2/ ص1251؛ ج4/ ص963.

(2) رواه الترمذي قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الْكِنْدِيُّ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ عَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ ﷺ: «لو أنّكم...».

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَأَبُو تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيُّ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِك..

(3) الأحمر: الكون والنسبية، ص21.

والآن وبعد اكتشاف الوسائل السريعة، فإنَّ هذا الأمر يبدو بديهيا، والسباق نحو الأسرع بات سمة من سمات هذا العصر، فالأسرع ضمن الأمم هو الأكثر تحضُّراً في كلٍّ المجالات.

هذا باعتبار نسبة الحركة، وسنحاول في الفصل التالي إن شاء الله أن نتعرَّض بشيء من التفصيل لنسبة الزمن في القرآن الكريم، ولها علاقة وطيدة مع نسبة الحركة، إذ هما متلازمان تلازمهما في المعادلات الفزيائية.

خاتمة الفصل

نستنتج من خلال هذا الفصل، ما يلي:

1 ـ للحركة في القرآن الكريم علاقة بالزمن.

2 ـ حركة الأرض والشمس والقمر سبب في معرفة الأوقات والأزمنة: من ليل ونهار، ويوم، وشهر، وفصل، وسنة...

3 ـ الزمن وحدة لقياس الحركة: سرعتها وتباطئها، خفَّتها وثقلها.

4 ـ الحركة تسير وفق نظام معيَّن، وتخضع لقوانين إلهيَة مقدَّرة تقديراً محكماً، وهي ما يسمَّى: بالسنن الكونية. وهذه القوانين تضبط الاتجاه والإيقاع الذي يتحرَّك فيه أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى.

5 - لا يمكن لأي مخلوق أن يسير في إيقاع مخالف للإيقاع الذي كتب له، وبالتالي فإنّه لا يمكنه أن يخالف الحركة السَننية في إيقاعها، ومن نماذج ما تظهر فيه هذه الاستحالة: الاستعجال. بِكُلِّ أنواعه بغضِّ النظر عن الدافع إليه.

6 - لِكُلِّ أجل كتاب: قاعدة في حركة الزمن في القرآن الكريم، ولا يتأخَّر أمر عن أجله، كما لا يتقدَّم أمر عن أجله، فزمن الآجال مقدَّر عند الله في الأزل، وبالتالي فإنَّ استعجال الأجل أو استئخاره مِمَّا يرفضه القرآن.

7 - لسهم الزمن اتجاه يسير فيه، وقد أجمعت الآيات أنّه يستحيل على أي مخلوق - ولو كان نبيئا مرسلاً - أن يتحرَّك في اتجاه زمني مخالف لاتّجاه سهم الزمن، ومن هنا استحال الرجوع من الحاضر إلى الماضي، أو من المستقبل إلى الحاضر.

8 - يستحيل على الخلق أجمعين أن يخالفوا سهم الزمن فيرجعوا من الآخرة إلى الدنيا، فرغم إلحاح الكافرين الطلب، إلاَّ أنَّ الآيات مجمعة على الاستحالة.

9 - الحركة نسبِيَّة باعتبار سرعتها، فتختلف باختلاف الراصدين، وقوَّة أدوات الاتِّصال، إذ ليس قياس الحركة مطلَقاً.

10 - ومجمل هذه الخصائص تدلُّ على قدسية:

أ) الزمن.

ب) الموعد، والأجل.

ج) اتِّجاه الزمن في سهمه.

د) إيقاع الحركة في الزمن.

الفصل السابع

الزمن المبارك، والنفسي، والنسبي

ما هي عناصر الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم؟

ما هو مفهوم الزمن المبارك؟

ما هو مفهوم الزمن النفسي؟

ما هو مفهوم الزمن النسبي؟

وما هو الفرق - أو الفروق - بين هذه الأزمنة؟

ما هي الخاصية - أو الخواص - المشتركة بينها؟

ما هي نماذج وتطبيقات كلّ منها؟ . . .

هذه أسئلة صغتها بعد قراءة متأنية في الزمن القرآني، وبعد تفكير طويل، وحاولت أن أجيب عنها مستعينا بالمصادر والمراجع المتوفِّرة بين يديَّ، غير أنـّي وجدت هذه المصادر والمراجع تنقسم إلى قسمين:

أولاً: تفاسير القرآن المختلفة:

وهي في مجملها لا تتعرَّض لهذه الأسئلة إلاَّ لِماماً. فعند القدامى لا نلاحظ توسُّعا في تفسير النسبية، ولنأخذ كمثل على ذلك قصَّة صاحب القرية في سورة البقرة، والتي هي من أدلِّ القصص على نسبيَّة الزمن في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (سورة البقرة: 259).

فيكاد يجمع المفسِّرون[1] أنَّه «مات أوَّل النهار، ثمَّ بعثه الله آخر النهار، فلـمَّا رأى الشمس باقية ظنَّ أنَّها شمس ذلك اليوم»، فلا نجد إشارة ولو بعيدة إلى إمكانية نسبيَّة الزمن، ولعلَّ هذا لأنَّ مفاهيم النسبية - ومنها المفاهيم الزمنية المعقَّدة - لـمَّا تعرف بعد في عصر أولئك المفسِّرين.

وأمَّا عند المحدَثين، فنلاحظ مرورهم على موضوع النسبية مرور الكرام، إذ لا يتعرَّضون إليه إلاَّ من الباب الذي يميِّز تفسيرهم، ففي قصَّة أصحاب الكهف مثلا - وهي من أعقد الآيات في نسبِيَّة الزمن في القرآن الكريم -، وبعد تصفُّح عدَّة تفاسير لم نعثر على مصطلح النسبية ولو إشارة، بله تحليلا ومناقشة، بل إنَّ موضوع نسبِيَّة الزمن تُنوول بسطحية تامَّة، فتلوَّن بصبغة التحقيقات اللغويَّة عند العلاَّمة ابن عاشور[2]، وبصبغة أدبية وبلاغية وفنية عند الداعية سيِّد قطب[3]، وأمَّا الشيخ بيوض فقد شرح الكلمات دون أيِّ إضافة

---

(1) ابن كثير: تفسير، ج1/ ص337. وانظر- : الكشاف، ج1/ ص234. و التفسير الكبير، ج7/ ص31. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج3/ ص292.

(2) التحرير والتنوير :ج15/ ص284.

(3) في ظلال القرآن، ج4/ ص2262.

تذكر في المعنى العامِّ لنسبية الزمن في هذه الآيات[1].

ولعلَّ الذي يشفع للمفسِّرين في عدم تناولهم لهذا المفهوم الكونيِّ العميق، أنـَّهم في صدد تفسيرهم لا يمكن أن يعرضوا لِكُلِّ النظريات والأفكار، وإلاَّ أصبح تفسيرهم موسوعة كونية وعلمية شاملة، وهذا مستحيل طبعاً.

ثانياً: في الابحاث المختلفة حول النسبية في القرآن الكريم:

والحقُّ أنـَّنا لم نعثر على أيِّ بحث متخصِّص في الموضوع، وملمٍّ بجميع جوانب النسبية في القرآن، بل هي إشارات عابرة في كتب تعنى بالدراسات الكونية في القرآن الكريم أساساً[2]، أو في مراجع تهتمُّ بمنهج التأريخ في القرآن الكريم[3]، أو عبارة عن تأمُّلات قرآنية[4].

ولعلَّ أبرز ما استفدنا منه في هذا الموضوع هما: كتاب موجزٌ، ومقال مركَّز.

أمـَّا الكتاب فهو: الكون والنسبية في القرآن الكريم[5]، الذي امتاز بالإيجاز، والإلمام بعدَّة جوانب من الموضوع.

وأمـَّا المقال فهو عبارة عن محاولة مركَّزة للدكتور عبد الحميد ناجي، عنونه بـ: أصحاب الكهف والبعد الزمني[6]. وقد تمكَّن من التوصُّل إلى آراء جادَّة ومعتبرة، فيكون بالتالي مصدراً في قصَّة الكهف فقط، لا في غيرها.

---

(1) في رحاب القرآن :تفسير سورة الكهف، ج2/ ص112.

(2) وانظر مثلا: أبو الخير: الكون والأرض والإنسان، ص82-85. الجابي: النظرية القرآنية الكونية، ص33.

(3) وانظر مثلا: عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص118-120، 124.

(4) وانظر مثلاً: مصطفى محمود: القرآن محاولة لفهم عصري، ص178. نفسه: من أسرار القرآن، كلّه.

(5) خير الأحمر، ص13 ـ 36.

(6) عبد الحميد ناجي (الدكتور): أصحاب الكهف والبعد الزمني؛ مجلَّة الدعوة، تصدر عن كُلِّيـَّة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا؛ عدد 11 (1413هـ/ 1994م)؛ ص24-43.

والذي ألاحظه عليهما أنـّهما لم يحدِّدا مفهوما للزمن النسبي في القرآن الكريم، بل قدمًا بعض ملامح هذا المفهوم، مِمَّا جعل طرحهما يفتقد شمولية ودقَّة أكثر.

ثمَّ إنـّهما لم يفصلا بين أنواع الأزمنة النسبية (بالمعنى العامّ): من زمن مبارك، وآخر نفسي، وثالث نسبي (بالمعنى الخاص).

وسنحاول أن نستفيد من بعض هذه المصادر والمراجع، ونتفادى أخطاءها، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، بغية التوصُّل إلى مفهوم قرآني لنسبية الزمن. ولنبدأ بمسلَّمات - بين يدي الموضوع - لا بدَّ منها:

مسلَّمات بين يدي الموضوع:

قبل الوصول إلى أيِّ رأي أو نظرية علميـّة، ينبغي للباحث أن يضع مقدِّمات هي بمثابة المسلَّمات حتَّى ينطلق منها، تماماً كما ينطلق البنَّاء في إعلاء عمارته من أساس ولبنات هي المعتمد مهما كان نوع العمارة التي يشيِّدها.

وهذه المسلَّمات المستنتجة من القرآن الكريم لا بدَّ من أخذها بعين الاعتبار قبل محاولة تحليل مفهوم الزمن النسبي:

1 - أنَّ الله تعالى لا يتزمَّن، بل هو خالق الزمن، وهذا ما تدلُّ عليه الآيات والأحاديث المتواترة، وهو جزء من عقيدة المسلم.

2 - أنَّ الله تعالى يحيط بالمخلوقات كلِّها في أزمنتها مهما دقَّت أو طالت، سواء أكانت متناهية أم لا متناهية «فسبحان من لا يشغله آن عن آن، ولا شأن عن شأن»[1]، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾(سورة الرحمن: 29).

3 - أنَّ كلَّ المخلوقات تخضع للزمن مهما عظمت أو حقرت، وهذا بصريح آيات القرآن الكريم، فلا يذكر مخلوق من المخلوقات إلاَّ مقرونا بزمن معيَّن طال أم قصر.

---

(1) ابن العربي: رسائل، رسالة أيـّام الشأن، كلّها.

وإذا ما سلّمنا بهذا، فإنّنا سنحاول أن نحدّد عناصر الظاهرة الزمنية في القرآن بناء على الزمن الأرضي الذي ندركه، ثمّ نحاول أن نقارنه بالأنواع الأخرى من الأزمنة المختلفة:

العناصر الأساسية للظاهرة الزمنية(1) في القرآن الكريم:

اخترنا مجموعة من الآيات القرآنية على أساس أنّه يجمع بينها أمر واحد، هو كونها تتناول الفعل في زمن ما، وحاولنا أن نحلّلها ونستخرج منها عناصر الظاهرة الزمنية، وهذه الآيات هي قوله تعالى:

1- ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ (سورة يوسف: 47).

2- ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ (سورة البقرة: 196).

3- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (سورة يونس: 3).

4- ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ (سورة الحاقة: 6 ـ 7).

5- ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (سورة النمل: 40).

6- ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (سورة العنكبوت: 14).

---

(1) نعني بالظاهرة أبسط معانيها اللغوية، وهو ما ظهر من الأمور ولم يخفَ، وفي مجالنا: ما ظهر فيه الزمن ولم يخفَ.
فتعرَّف الظاهرة ـ جمعها ظواهر ـ phènomène بأنّها: «ما يدرك بالحواس أو الشعور»، مع العلم أنّ اللفظ يحمل دلالات فلسفية عديدة لا نعنيها في بحثنا هذا.
ابن منظور: **لسان العرب**، ج4/ ص655. الخياط: **معجم المصطلحات**، ص426. الحفني: **المعجم الفلسفي**، ص156.

جدول العناصر

رقم	الشيء المتزمِّن	المقدار الزمني	الوحدة	المجال أو(السلَّم)	الحركة أو الفعل
1	الناس الذين سألوا يوسف عليه السلام	سبع سنين	السنَة الطبيعيَّة	الزمن الأرضي	الزرع
2	المحرم المحلق لأذًى أو مرض	ثلاثة أيَّام	اليوم الطبيعي	الزمن الأرضي	الصوم
3	السماوات والأرض	ستَّة أيَّام	يوم كوني= 1000 سنة أرضية	الزمن الكوني	الخروج من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل
4	الريح	7ليال+8 أيَّام	الليل+اليوم (بمعنى النهار)	الزمن الأرضي	تعصف على عادٍ
5	الذي عنده علم من الكتاب	قبل ارتداد	ارتداد الطرف	حركة العين بلقيس من اليمن	إحضار عرش إلى الشام
6	نوح عليه السلام	950 سنة	السنَة الطبيعيَّة	الزمن الأرضي	لبثه في قومه

فالعناصر الأساسية المستنتجة والمطَّردة في الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم إذن هي:

1) **الشيء المتزمِّن.**

2) **المقدار الزمني:**

3) الوحدة:

4) المجال أو (السلَّم)

5) الحركة أو الفعل

ويضاف إلى هذه العناصر الأساسية عنصران آخران، غير أنـَّهما ثانويان وغير مطَّردين، وهما بالتالي:

6) التقدير: وهو إعطاء مقدار لفترة زمنية دون الرجوع إلى أيِّ مقياس، وإنـَّما المرجع هو الإحساس الداخلي والشعور بالسرعة أو البطء لهذه الفترة، فهو إذن خاصٌّ بالإنسان وهو زمن ذاتي محض، لا دخل فيه للموضوعية[1].

7) التقييم: هو أن تعطى قيمة كَيفِيَّة ـ لا كمِّيَّة ـ لفترة زمنية معينة، فيكون الجزاء حسب هذه القيمة، وبالنظر إلى ما أنجز فيها من أعمال، بغضِّ النظر عن حجمها.

وإذا تحدَّدت هذه العناصر، فإنَّنا نستطيع أن نعرِّف الأزمنة الثلاثة: المباركة، والنفسية، والنسبية، تعريفاً يأخذ بعين الاعتبار هذه العناصر كلَّها، اتـِّفاقًا واختلافا، ثباتاً وتغيُّراً، فنكون بالتالي قد انطلقنا في تحديد المفهوم من القرآن الكريم نفسه، لا من غيره.

ولنبدأ بالزمن المبارك:

---

(1) وانظر- بورتر: تاريخ الزمان، ص47. و Hall: **La danse de la vie**, p27.

المبحث الأوّل

الزمن المبارك

جاء ذكر الزمن المبارك بالتصريح في آية واحدة في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (سورة الدخان: 1-3).

فقد فضَّل الله تعالى - لحكمة يعلمها هو - بعض الأمكنة وبارك فيها، كما فضَّل بعض الناس وبارك فيهم، وفي هذه الآية يظهر تفضيله سبحانه لزمن من الأزمنة على غيره، ومباركته فيه لأمر يعلمه هو.

ولفظ البركة [1] في اللغة يعني: «النماء والزيادة، فيقال: بارك الله فيك

(1) ينبغي أن نفرِّق بين الزمن المبارك والزمن الحرام، فالزمن الحرام يتمثَّل في الأشهر الحرم، وقد ثبتت حرمتها بصريح القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (سورة التوبة: 36)، وهي كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ». صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، رقم 4294، بسند: «حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ عَبْدِالْوَهَّابِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الزمان. . .». العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «استدار».

ومن الفروق الأساسية بينهما أنَّ الزمن الحرام تتعلَّق به أحكام مثل أحكام القتال، أمَّا الزمن المبارك فلا. =

وعليك وباركك»(1).

وقد تتبعت ورود لفظ «البركة» في القرآن كلّه فوجدته منسوباً إلى الله عزَّ وجلَّ، مختصًّا به في جميع الآيات المذكور فيها، فهو: المبارِك حول المسجد الأقصى(2)، والمبارِك في القرآن وفي الذكر(3)، والمبارِك في أنبيائه(4).

وكون هذه الليلة مباركة أي مفضَّلة، لسبب نزول القرآن فيها(5)، إذ إنَّ الأزمنة والأمكنة كلّها متساوية في ذاتها، لا يفضل بعضها بعضاً إلاَّ بما يقع فيها(6)، والشيء الذي وقع في هذه الليلة هو نزول الكتاب المبارك فيها بدليل

= وينبغي كذلك أن نفرّق بين الزمن المبارك والزمن الديني أو المقدَّس بمفهوم الدراسات الغربية، فالزمن المقدَّس يدرس الأعياد الدينية، ويدخل في التصوّر الديني للزمن عند الفئات المتدينة، مهما كانت ديانتها، كما يدرس قضايا الأزل والخلود، والمفاهيم الزمنية في التصوُّر الديني للآلهة... وقد أجريت عدَّة دراسات في هذا المجال. وانظر مثلاً ـ

ولتر ستيس: **الزمان والأزل مقال في فلسفة الدين**؛ ترجمة الدكتور زكرياء إبراهيم، مراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني؛ المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان؛ 1967م؛ كلُّه.

Attali: **Histoire du temps**, (le temps des dieux), pp 17-24.

Mircea Eliade and others: **Man and time, Time and eternity in indian thought**, Bollingen series 3; Princeton university press, USA; 7 ed: 1973, pp 173-200.

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج1/ص200. **مختار الصحاح**، ص50.

(2) يقول تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ (سورة الإسراء: 1).

(3) يقول تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ (سورة ص: 29).

وقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ (سورة الأنبياء: 50).

وقال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (سورة مريم: 30 ـ 31).

(4) وانظر مادَّة (ب ر ك) في: رشدي الزين: **المعجم المفهرس لمعاني القرآن**، مادَّة برك، ج1/ص189.

(5) الزمخشري: **الكشّاف**، ج4/ص213.

(6) الرازي: **التفسير الكبير**، ج/ص239.

السياق: ﴿حمٓ * وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ * أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾ (الآيات: 1-5).

والسؤال هو: كيف تفسَّر هذه البركة في مجال الزمن؟

هذا ما تفسِّره آية أخرى هي قوله تعالى في سورة القدر[1]: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ * لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ * تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ * سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

وإذا حاولنا أن نحدِّد عناصر هذه الظاهرة الزمنية، فإنّنا سنجدها على النحو التالي:

جدول العناصر الزمنية

العنصر	وجوده في هذه الآية	الملاحظة
الشيء المتزمّن	الإنسان	مقارناً بالذي لا يحضر هذه الليلة
المقدار الزمني	ليلة واحدة (إلى مطلع الفجر)	
الوحدة	ليلة	مقارنة بألف شهر في الزمن العادي
المجال	الزمن الأرضي	
الحركة أو الفعل	التعبّد في هذه الليلة	

(1) كون هذه الليلة هي ليلة القدر هو تقريبا إجماع المفسِّرين. الألوسي: روح المعاني، ج25/ ص113.

وتقدير الناس لهذه الليلة وطولها لا يختلف أساساً.

فالأمر الوحيد الذي اختلف هو إعطاء القيمة لهذه الليلة، فهي تساوي ألف شهر أو تزيد، والقيمة ليست - بالطبع - ماديّة بل هي معنوية، ولو عرضنا هذه المعادلة كميا لَما استقامت، غير أنَّ عرضها كيفيا يعطينا:

ليلة القدر > ألف شهر ⟸ 1/ 367.354 يوما > 83 × 367.354 يوما

وأي منطق في الرياضيات يقبل هذه المعادلة؟!

طبعا لا يوجد، ولا يمكن أن يوجد.

ولكن في مستوى القيمة والجزاء وفضل الله تعالى يمكن أن نجد هذه المعادلة وأكثر منها، والله تعالى ذو الفضل العظيم.

وليس في هذه الظاهرة شيء من اختلاف المجالات الزمنية، أو من أجزاء النظريات الفزيائية، بل هي ظاهرة غيبية محض، يفسِّرها حديث للرسول ﷺ:

روى الإمام مالك في الموطَّأ قال: «حَدَّثَنِي زِيَاد عَنْ مَالِك أَنَّهُ سَمِعَ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: **«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُرِيَ أَعْمَارَ النَّاسِ قَبْلَهُ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارَ أُمَّتِهِ أَنْ لاَ يَبْلُغُوا مِنَ الْعَمَلِ مِثْلَ الَّذِي بلَغَ غَيْرُهُمْ فِي طُولِ الْعُمْرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»**(1).

والزمن المباركَ مثل المعدن أو الحجر الثمين، لا يختلف في طبيعته العامّة عن غيره من المعادن، وإنّما الاختلاف يكون في قيمته، فهذا الزمن قيمته مادية والزمن المباركَ قيمته معنوية.

وفي الحِكم العطائية نصٌّ يفسِّر هذا المعنى بأوجز عبارة وأبلغها، وفيه: «ربَّ عمرٍ اتّسعت آمادُه، وقلَّت أمدادُه، وربَّ عمر قليلة آماده، كثيرة أمداده.

---

(1) وتمام الحديث: «و حَدَّثَنِي زِيَاد عَنْ مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ كَانَ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فَقَدْ أَخَذَ بحَظِّهِ مِنْهَا». كتاب الاعتكاف، دون رقم. العالمية: موسوعة الحديث، مادةَ البحث: «أعمار».

من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن مِن مِنن الله ما لا يدخل تحت دوائر العبارة، ولا تلحقه الإشارة»[1].

ومن الأزمنة التي صحّت الأحاديث بكونها مباركة، نذكر:

1ـ **يوم العيد**: وفي حديث عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: **«كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ الْعِيدِ حَتَّى نُخْرِجَ الْبِكْرَ مِنْ خِدْرِهَا، حَتَّى نُخْرِجَ الْحُيَّضَ فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ، فَيُكَبِّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ، يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَطُهْرَتَهُ»**[2]

2ـ **البكور**: وفي الحديث عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا، قَالَ: وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَةً بَعَثَهُمْ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ»** [3]

3ـ **بكور يوم الخميس**: وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: **«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ، بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ»**[4] .

---

(1) عبد المجيد الشرنوبي: **شرح الحكم العطائية**؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ ط: 1991م؛ ص184. . .
وانظر ـ القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**، فقرة: كيف يطيل الإنسان عمره، ص54 ـ 60.

(2) في صحيح **البخاري**، كتاب الجمعة، حديث رقم 918، بسند «حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ عَاصِمٍ عَنْ حَفْصَةَ».
العالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «بركة».

(3) في سنن **الترمذي**، كتاب البيوع، حديث رقم1133 «حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ عَنْ عُمَارَةَ بْنِ حَدِيدٍ عَنْ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ. . . قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَبُرَيْدَةَ وَأَنَسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرٍ. قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ صَخْرٍ الْغَامِدِيِّ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَلاَ نَعْرِفُ لِصَخْرٍ الْغَامِدِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ؛ وَقَدْ رَوَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ هَذَا الْحَدِيثَ».
العالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «بكور».

(4) في سنن **ابن ماجه**، كتاب التجارات، حديث رقم2228، بسند: «حَدَّثَنَا أَبُو مَرْوَانَ =

وغير هذه الأزمنة التي وردت البركة فيها كثير، وأمـّا الزمن غير المبارَك، فهو يخالف تماما الزمن المبارَك، إذ قيمته أقلّ من قدَره، وأمداده أضيق من آماده؛ وفي القرآن الكريم آيات تفيد هذا المعنى، وهي في مجملها تدور حول موضوع عمُر الكافر، وتصفه بأنـّه غير مبارك، نذكر كمثال لهذه الآيات قوله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ* قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ* قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(سورة المؤمنون: 112-114).

فقوله تعالى: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ يعني - من بين ما يعني -، أنَّ الكفَّار في لبثهم في الدنيا عملوا - من الخير - عملَ من لم يلبث إلاّ قليلاً، ولذلك سمِّيت الآخرة بـ"يوم التغابن"، أي أنَّ الكافر مغبون في قيمة عمله، وبالتالي مغبون في قيمة زمنه.

وتحمل هذه الآية كذلك مفهوم الزمن النفسي، وهو ما سنحاول عرضه في الفقرة التالية:

= مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعُثْمَانِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الْمَدَنِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ...».

العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «بكور».

المبحث الثاني
الزمن النفسي

أوَّل ما يلاحظ في تسمية هذا النوع من الزمن هو إضافته إلى «النفس»، ونقصد بالنفس ذلك الجوهر اللطيف «الحامل لقوَّة الحياة والحسِّ والحركة الإرادية»[1].

وبعيداً عَن التعقيدات التعريفية، وتشعُّب التعاريف بين الفنون، نستعمل الإضافة إلى النفس في بحثنا هذا للدلالة على ذلك الإحساس الذاتي والشعور بمرور الزمن أو بعدم مروره، مع تقدير قدره انطلاقا من هذا الإحساس.

فإذا عُدنا إلى عناصر الظاهرة الزمنية، فإنّنا نجد أنَّ هذا الإحساس والتقدير ما هو إلاَّ من خواصِّ الإنسان، فالزمن النفسي يكون إذن زمنا إنسانيا محضاً، خلافا للزمن المبارك الذي هو زمن متعلِّق أساساً بتقييم الله تعالى له حسب مشيئته وفضله، فلا يضاف الزمن النفسي إلى غير الإنسان، كما لا يضاف الزمن المبارك إلى غير الله.

وقد حاولنا أن نجمع نماذج للآيات التي تدخل فيها النفس الإنسانية: تقديراً للزمن، وشعوراً وإحساساً به. فاخترنا من بينها الآيات الآتية:

1- ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ (سورة المعارج: 4 ـ 7).

2- ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ (سورة الإنسان: 27).

(1) الرازي: التعريفات، ص312.

3- ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ (سورة الأعراف: 187).

4- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾(سورة يونس: 45).

5- ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء: 52).

6- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم: 55 ـ 56).

7- ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ﴾ (سورة الأحقاف: 35).

8- ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ (سورة النازعات: 46).

9- ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: 112-114).

إذا حاولنا أن نرجع إلى الخصائص المشتركة بين هذه الظواهر الزمنية، بالنظر إلى عناصر كلِّ ظاهرة، فإنَّنا نلاحظ ما يلي:

الجدول المقارَن للعناصر الزمنية

العنصر	وجوده في هذه الآيات
الشيء المتزمِّن	الكفَّار في عموم الآيات
المقدار الزمني	مقداران: زمن حقيقي (عمر الكافر)، وزمن مقدَّر
الوحدة	اليوم، السنة، الساعة، العشي، الضحى
المجال أو (السلَّم)	الزمن الأرضي
الحركة	اللبث في الدنيا

فالأمر المختلف فيه هو المقدار الزمني، وسبب اختلافه هو تقدير الإنسان لحجمه تقديراً نفسياً لا حقيقيا.

ومجمل الآيات تسعفنا في تحديد مفهوم الزمن النفسي، وتفصيلها كالآتي:

1) يوماً ثقيلاً:

موضوع الآية الأولى هو يوم الحساب، فطول هذا اليوم مقارنا بالزمن الأرضي هو خمسون ألف سنة، فالمدَّة التي يقضيها المؤمن والكافر في هذا اليوم العصيب هي نفس المدَّة، ولكن الإحساس بها، وتقدير طولها وقصرها يختلف بينهما اختلافاً شديداً.

فالمؤمن يراه يوما قريبا قصير المدَّة، أمَّا الكافر فيثقل عليه ثقلا شديداً، فهو يستطيل «ذلك اليوم لشدَّته»[1] وهوله.

ويفسِّر هذا المعنى حديث رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري قال: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ**[2] **عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا**»[3].

وإمعاناً في الدلالة على طول هذا اليوم على الكافر، وفي التعبير على شدَّته عليه استعمل القرآن الكريم لفظ «الثقل»، مع أنَّ العادة أن يقال: زمن طويل أو قصير، لا ثقيل أو خفيف.

والحقُّ أنَّ القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ

---

(1) الرازي: التفسير الكبير، ج30/ ص124. الكشاف، ج4/ ص488.

(2) لاحظ فعل المضارع المؤكَّد باللاَّم: «ليخفَّف»، وهذا يعني أنَّ اليوم في حقيقته شديد، وإنَّما يخفِّفه الله تعالى للمؤمن رحمة ورأفة به.

(3) روى الحديث بلفظه الإمام أحمد في سنن، باقي مسند المكثرين، حديث رقم 11292، بسند: «حَدَّثَنَا حَسَنٌ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنَا دَرَّاجٌ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ». العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «صلاة مكتوبة».

﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ (سورة الإنسان: 27)، قد استعار الثقل لشدَّة اليوم وهوله[1]، ولعظم وقعه على نفس الكافر، فهو ثقيل ثقلا معنويا على نفسه، لا ثقلا حسيًّا على جسده.

وقد وصف الزمن ـ كذلك ـ بالثقل في قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾ (سورة الأعراف: 187)، وهذا الثقل في «الساعة» إنـَّمَا هو لفقد العلم بها: «فإنَّ المجهول ثقيل على النفس، ولاسيما إذا كان عظيما»[2].

وقد أثبتت أحدث الدراسات الزمنية أنَّ الوقت لا يمرُّ عندما نكون قلقين، ويمرُّ بسرعة هائلة في ساعات الفرح والسرور والنعيم، وهذا المعنى يعرفه الناس بالمراس والإحساس، ونقرأه في مصادر الأدب منذ القديم، ، ومن ذلك قول الشاعر:

أعوام وصل كان ينسى طولها ذكـر النوى فكأنَّها أيَّـام
ثـمَّ انبرت أيَّام هجرٍ أردفـت جـوي أسى فكـأنَّهـا أعـوام
ثمَّ انقضت تلك السنون وأهلها فكأنهـا وكأنهـم أحــلام[3]

والذي أضافته هذه الدراسات هو أنَّ الثقل يسبِّبه معامل بيوكميائي (facteur biochimique) يؤثِّر في الإحساس[4]، إذ إنَّ الإحباط يفرز موادَّ تحدث خللا في التوازن الكيمائي للجسد، فيشعر بالتالي بثقل الوقت عليه.

وهذا - بالطبع - لا يعني إنكار الجانب النفسي في الإنسان، وأنـَّه يقدّر الأشياء، ويميل إليها أو ينكرها، تبعاً للشعور النفسي.

---

(1) : ن، م، ج4/ ص540.
(2) رضا: تفسير المنار، ج9/ ص467. وانظر- القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**، ص8.
(3) الأبيات للشاعر أبي تمام.
الخطيب التبريزي: **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب**؛ دار المعارف، القاهرة، مصر؛ ج1/ ص151-152
(4) Hall: **La danse de la vie**, pp 154-155.

وأضاف المتخصِّص المعاصر في الدراسات الزمنية: إدوارد هول (HALL) في تفسير هذه الظاهرة، أنَّ الساعة الخارجية والساعة الداخلية - البيولوجية - للإنسان تسيران في إيقاع متَّزن، وفي حالة القلق يختلُّ الإيقاع فيشعر الإنسان أنَّ الوقت لا يمرُّ[1]، وأنَّه ثقيل ومملٌّ.

وفي هذا المعنى تذكر دراسة حول الزمن والبرمجة أنَّه: «كلَّما أسرعتُ كلَّما تقلَّص الزمن. وإذا كنتُ خائفا أو حزينا فإنَّ الزمن يمتدُّ؛ أمَّا إذا كنتُ فرحا مسرورا فإنَّني أنسى الزمن»[2].

وأيّ وقت أكثر ضيقا وقلقا وحسرة على الإنسان الكافر من يوم الحساب، وهكذا لن يكون في الزمن أثقل على الإنسان من هذا اليوم العصيب: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ (سورة الفرقان: 26).

إذن هذا هو النوع الأوَّل من أنواع الزمن النفسي، وفيه يحسُّ الكافر بثقل الزمن، ويكون خفيفا على المؤمن؛ أمَّا النوع الثاني فهو خلاف الأوَّل:

2) ساعة من نهار:

في مجمل الآيات الماضية من 4 إلى 9 نرى أنَّ الكافرين يُسألون أو يسألون عن مدَّة لبثهم في الدنيا، فلا يقدِّرون حقيقتها، أمَّا الذين يعلمون حقيقة هذه المدَّة فهم الذين أوتوا العلم من المؤمنين: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم: 56).

فالكفَّار يظنُّون أنَّهم لم يلبثوا في الدنيا إلاَّ: «ساعة من نهار»، أو «قليلاً» من الوقت، أو «بعض يوم»، أو «عشية»، أو «ضحوة»، أو على أكثر التقديرات

---

(1) يقول:
«Le temps ne passe pas quand notre rythme corporel et l'horloge exterieure ne sont pas **synchrones**, le temps ne passe pas signifie, en d'autre terme, qu'on **s'ennuies** ibid, pp 154-155.

(2) Collection: Formation permanente en science humaines, Collection fondée par Roger Mucchielli et dirigée par Lionel Bellenger; seminaire de Philipe Cruellas et Raphael Benayoun: **Le temps mode d'emploi**, Reconquérir son tems... et sa vie, ed 1987, p 9.

«يوماً» كاملاً من أيّام الدنيا.

وهذا التقدير الخاطىء ما هو إلاّ ظنٌّ: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فهو تقدير غير صائب، منشؤه الإحساس النفسي بالمرور السريع للأيّام والليالي، والسنين والقرون، والأعمار والآماد.

والذي جعل هذه الأزمنة تسرع كلّ هذا الإسراع هو كونهم كانوا في لهو ولعب: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا﴾ بالحصر ﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (سورة التوبة: 65)؛ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (سورة الأعراف: 51)، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (سورة آل عمران: 185).

ومن منّا لم يحدُث له يوما أن قضّى لحظات في نزهة مع زملائه، أو أمام مسرحية فكاهية مثلا، وبعد انتهائها قال: «إلهي، كنتُ سعيداً، ولم أكن أتصوّر أنّ الوقت يمرُّ بهذه السرعة»(1). فهذا دليل - من بين الأدلّة - على أنّ اللهو واللعب عاملان أساسيان لتمرير الوقت وقتله.

وقد أثبتت دراسات ميدانية أنّ الغرائز والمشاعر الجنسية (emotions) عندما تثار، فإنّها تكون سببا لتسارع زمنيّ مهول(2)، وقد أُعطيت لهذا التسارع تفسيرات نفسانية وفزيولوجية وعصبية، ومهما يكن فإنّ الذي يقضّي حياته كلّها في بحر من الغرائز يحدث خللاً فاحشاً في تقدير الزمن، وهذا ما يفسّر هروب الشباب والأحداث من وطأة المشاكل باللجوء إلى شتّى أنواع الغرائز، حتّى أكثرها حيوانية، والله تعالى يقول عن هؤلاء: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ (سورة الفرقان: 44). : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف: 175-176).

---

(1) Hall: **La danse de la vie**, p 169.

(2) ibid, pp 171-176.

ومن مظاهر اللهو واللعب: الضحكُ، الذي اتُّخذ علاجا للقلق، إذ يعطي للمرء إحساساً بالسعادة، وبالتالي يخفِّف من وطأة الوقت الثقيل عليه، حتَّى يتسارع ويخفَّ ويمرَّ دون أثر يذكر. فلذلك كان قليله مطلوبا، وكثيره حراماً.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ تُكْثِرُوا الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**»[1]. وما موت القلب إلاَّ جهل بمرور الوقت وبقيمته وقدره، وهروب من تبعات الحياة وآمالها وآلامها.

ولعلَّ ما يقع في العالم اليوم من غزو وسائل الترفيه واللعب والمتعة المفرطة على حسب الجدِّ والعلم والتحصيل، هو من قبيل هذا النوع من وسائل قتل الوقت، فهي تجعل من زمن الإنسان هباء منثورا، ثمَّ تورثه يوم القيامة حسرة وثبورا.

وفي اللغة المستعملة - عند عامَّة الناس - دليل صريح على ذلك، فأنت عندما تسأل إنسانا جالسا في ملهى أو مقهى: ما ذا تفعل هنا؟ فإنَّه يجيبك: أنا أقتل وقتي؟:

«ونظلُّ في المقهى نذبّح عُنوةً عمراً غلام»[2]

إذن مجمل ما في هذا النوع من الزمن النفسي: أنَّ الكافر لا يقدِّر عمره في الدنيا حقَّ قدره، فالكفار وإن عاشوا مائة عام، أو حتَّى ألف عام فإنَّهم: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾.

---

(1) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، تحت رقم 4183، بسند: «حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ خَلَفٍ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُنَيْنٍ عنْ أبي هريرَةَ قال...».

العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «الضحك».

أمَّا القليل من الضحك فجائز اتفاقًا، لأنَّه يذهب الملل ولا يقتل القلب، وله أدلَّة من القرآن الكريم، والسنَّة النبويّة الشريفة.

(2) محمَّد ناصر (الدكتور): ديوان في رحاب الله؛ مطبعة الرغاية، الجزائر؛ ط: 1991م؛ ص29. من قصيدة عنوانها: «عرب الكلام».

3) تقلُّص الزمن

المظهر الثالث من مظاهر الزمن النفسي في القرآن الكريم هو تقلُّص الزمن في حالة الخطر، وبالضبط في حالة توقُّع الموت، وهذا التقلُّص(1) كان مثار انتباه الباحثين في الدراسات الزمنية، حتَّى إنـَّهم أثبتوا أنَّ الموت عندما يحيط بإنسان يجعله يستعرض شريط زمنه كاملاً في ثوان معدودة.

فقد حدث مثلا لقبطان طائرة أن توقَّفت محرِّكات طائرته فجأة، وتساقطت طائرته لمدَّة ثمان ثوان، حتَّى ظنَّ أنـَّه ميِّتٌ لا محالة، غير أنـَّه استعاد التحكُّم في الطائرة، فاستجاب المحرِّك، ونجى من ذلك الحادث. فقال بعد نجاته: «رأيت في بضع ثوان شريط حياتي كاملاً»(2) غير منقوص.

فبين القدر الحقيقي للزمن الذي عاشه في هذه الحادثة: بضع ثوان، والزمن الذي استعرضه: أعوام عديدة، ليس هناك أيُّ تناسب رياضيٍّ، ومن ثمَّ لا يمكن أن يعتبر هذا النوع من الزمن زمنا نسبيا بالمفهوم الفزيائي، بل هو نسبيٌّ بالمفهوم النفسي وفي مستوى الإحساس والشعور لا غير.

وفي القرآن الكريم آية تدعِّم هذا الحكم، وهي تصف لنا إحساس المشرك بالزمن حين حضور الوفاة، فهو يرى عمره كاملا كأنـَّه ساعة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وقد تكون ساعة خاصـَّة أو ساعة عامـَّة ﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾.

وفي آية سورة النازعات إضافة تتمثَّل في الفعل: «يرى»، الذي يفيد تحقُّق الموت والهلاك: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

إذن هذه هي مواصفات الزمن النفسي، وهو كما يلاحظ غير الزمن المبارك، ويختلف عن الزمن النسبي كذلك بكونه زمنا ذاتيا، علاقته كاملة مع الإحساس والشعور والنفس والمجالات الذاتية، وليس مع المقاييس،

(1) ترجمة للفظ: «compression» الذي هو ضدُّ ما يعرف بتمدُّد الزمن: «extension du temps».

(2) Hall: **La danse de la vie**, pp 158-161.

والأحداث الكونية، والمجالات الموضوعية.

وفرق آخر بين الزمن النفسي والزمنين الآخرين هو أنَّ الأوَّل يوصف بالصدق والكذب، وبالخطأ والصواب، فيقال: صدق فلان في تقدير الفترة الفلانية، أو لم يصدق؛ ويقال: أخطأ أو أصاب. أمَّا الزمن المبارك والزمن النسبي فلا يوصفان بالكذب، إذ هما زمنان حقيقيان ثابتان لا شكَّ فيهما.

المبحث الثالث

الزمن النسبي

بعد تعرُّضنا للزمن المبارك، وللزمن النفسي، سنحاول - من خلال عرضنا لعدَّة نماذج مِمَّا نعتقد أنـَّه زمن نسبي - أن نحدِّد المفهوم العامَّ لهذا النوع، ويبدو لنا من أوَّل وهلةً أنـَّه أكثر تعقيدا من السابقين.

والنماذج المختارة هي:

الأنموذج الأوَّل:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (سورة الحجّ: 47).

وقوله: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (سورة السجدة: 5).

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ* فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا* إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا* وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾(سورة المعارج: 4-7).

فإذا حاولنا أن ننظر في جميع العناصر الزمنية لهذه الظواهر، فإنـَّنا نلاحظ أوَّلاً وجود مقدارين حقيقيين، وسببه هو اختلاف مجال أو سلَّم القياس، مع كون الفعل أو الحركة واحدة، والمتزمِّن واحدا، ولنطبِّق جدول العناصر الزمنية على الآيات الثلاث، حتَّى يتبيَّن لنا مفهوم هذا النوع من الزمن النسبي بوضوح أكثر:

جدول العناصر الزمنية

الشيء المتزمِّن	المقدار الأوَّل/ مجاله	المقدار الثاني/ مجاله	الحركة أو الفعل
الإنسان	ألف سنة/ الزمن الأرضي	يوم/ الزمن العِندي[1]	اللبث
ملائكة التدبير	ألف سنة/ الزمن الأرضي	يوم/ الزمن العندي	عروجهم إلى
الملائكة	خمسون ألف سنة/ الزمن	يوم/ الزمن العِندي	العروج
والروح	الأرضي		

ولمصطفى محمود رأي قيم في نسبِيَّة هذا النوع من الزمن، إذ يقول: «جعل اللهُ لِكُلِّ مخلوقٍ زمناً خاصاً به، مختلفاً عن غيره، وهذا ما نجده في القرآن الكريم: فالروح وهو ملَكٌ عظيمٌ، يومُه مقدَّر بخمسين ألف سنة من زماننا (آية المعارج)؛ بينما ملائكة التدبير والتصرُّف يومهم بألف سنة (آية السجدة)؛ وملائكة العندية، الذين هم عند ربِّك، فيومهم مقدَّر بألف سنة (آية الحج») [2].

غير أنَّ الذي يلاحظ عليه أنَّ مجمل الآيات لا تسعفه في هذا التقسيم، فالعروج - مثلا - هو عروج الملائكة والروح معاً، ثمَّ إنَّه كيف يعقل أن يختلف مجال وسلَّم الزمن بين مخلوقين من جنس واحد: الملائكة، حتَّى يعتبر

---

(1) هو نفسه الزمن الأخروي، واختيار هذا المصطلح مستنتج من صريح الآية، وقد أَستعملُ المصطلح الآخر، فلا مشاحة في الاصطلاح.

(2) مصطفى محمود: **من أسرار القرآن**؛ دار العودة، بيروت، لبنان؛ ط: 1976م، ص25. .

زمن ملائكة التدبير أقلّ من زمن الروح عليه السلام بخمسين مرّة؟.

وكذا يلاحظ عليه استنتاجه من آية سورة الحجّ لفظ: «ملائكة العندية»، بينما الآية لم يرد فيها ذكر الملائكة لا تصريحا ولا تلميحاً، وكان الأولى أن يقول: الزمن العندي، لأنَّ الآية مفيدة لمعنى الزمن إفادة صريحة.

والذي أستنتجه للخروج من الخلاف في فهم هذه الآيات [1] هو:

أنَّ وحدة قياس زمن الآخرة هي: ألف سنة من زمن الدنيا. وقد سبق أن أشرنا في المسلَّمات أنَّ القرآن الكريم نزل وفق الزمن الإنساني، أو أحال إليه، وفي هذه الآية أحال إليه الزمنُ العندي، وقاسه به. يوم عندي = 1000 سنة أرضية.

والعندية في هذه الآيات معناها الآخرة والقيامة، والدليل هو قوله تعالى في آية أخرى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الزمر: 34).

فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، يحدِّد من هذا المنطلق النسبة العلميّة بين زمن الدنيا وزمن الآخرة.

أمّا آية سورة السجدة فتذكر أنَّ عروج ملائكة التدبير والتصرُّف يكون في مدَّة مقدَّرة بألف سنة من سني الدنيا[2]، وبيوم واحد من سني الآخرة.

وفي سورة المعارج تعرض الآية مدَّة عروج جميع الملائكة، ومن بينهم جبريل، وذلك «من باب عطف الخاصِّ على العامِّ»[3]:

يوم الآخرة (العندية) = 1000 سنة بالحساب الأرضي

عروج ملائكة التدبير في 1000 سنة بالحساب الأرضي = يوم من أيّام الآخرة

---

(1) ذكر القرطبي أنّه وقع اختلاف كبير في مفهوم هذه الآيات، والتوفيق بينها. **الجامع لأحكام القرآن**، ج18/ ص281-282.

(2) ن، م، ج14/ ص87.

(3) ابن كثير، تفسير، ج7/ ص62.

عروج جميع الملائكة في 50000 سنة بالحساب الأرضي = 50 يوما من أيـّام الآخرة

وينبغي أنـّه نفرّق بين لفظ اليوم في الآيات الثلاث، حتّى لا يقع الخلط في اعتبار مقداره؛ ففي فاصلة آيتي سورة الحجّ وسورة السجدة، نقرأ قوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، وهذه دليل على أنّ المجال هو المقارنة بين تقويمين، وفيهما قدّر اليوم بألف سنة.

أمـّا في آية سورة المعارج، فلا نجد قوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾، فدلّ أنّ معنى اليوم في هذه الآية هو المدّة والوقت[1]، لا تحديد مقدار اليوم الأخروي، ويذكر الزمخشري قولا مفاده أنّ هذ اليوم فيه «خمسون ألف موطنا كلّ موطن ألف سنة»[2]، أي أنّ هذه المدّة طولها: 50 يوما من أيـّام الآخرة، وخمسون ألف سنة من أيـّام الدنيا.

فتبيّن مِمّا تقدّم أنّ هذه الآيات تدلّ دلالة واضحة على نسبيـّة الزمن، وهي نسبيـّة موضوعية ورياضية يمكن عدُّها، لا نسبيـّة ذاتية واعتبارية يستحيل ضبطها كما هو الشأن في الزمن النفسي.

الأنموذج الثاني:

يقول تعالى:

1- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (سورة يونس: 45).

2- ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء: 52).

3- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الروم: 55-56).

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج6/ ص1022. والدامغاني: **قاموس القرآن**، ص506-507

(2) : **الكشّاف**، ج4/ ص488.

4- ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (سورة الأحقاف: 35).

5- ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ (سورة النازعات: 46).

6- ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ * قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة المؤمنون: 112 ـ 114).

تَبَيَّنَ من خلال ما سبق أنَّ هذه الآيات قد تفيد معنى الزمن النفسي، باعتبار تقدير الكفَّار لمدَّة لبثهم في الدنيا تقديرا يخضع للظروف النفسية والإحساس: من لهو، ولعب، وضحك، وتقلّص للزمن...

وسنبيِّن أنَّ هذه الآيات قد تفيد كذلك معنى الزمن النسبي الموضوعي، فيحتمل أن يكون الكفَّار عرفوا حقًّا مقدار اليوم العندي الذي يقدَّر بألف سنة أرضية: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في زمنكم الدنيوي. فهم عندما يُسألون: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾، لا يكون جوابهم إلاَّ بمقارنة الزمن العنديِّ بالزمن الدنيويِّ، ذلك أنَّ الإنسان بمجرَّد موته يخرج «من تقويم زمني إلى تقويم زمنيٍّ آخر»[1]، فهم بالتالي يجيبون حسب ما أَلِفوا، فيكون جدول العناصر الزمنية كالتالي:

---

(1) مصطفى محمود: من أسرار القرآن، ص26.

الجدول المقارن لعناصر الظاهرة الزمنية

الآية	الشيء المتزمِّن	المقدار الأوّل/ مجاله	المقدار الثاني/ مجاله	الحركة أو الفعل
1 ـ	الكفار	عمر كلٍّ واحد منهم / الزمن الأرضي	ساعة من نهار/ الزمن العندي	اللبث في الدنيا
2 ـ	الكفار	عمر كلٍّ واحد منهم / الزمن الأرضي	زمن قليل/ الزمن العندي	اللبث في الدنيا
3 ـ	الكفار	عمر كلٍّ واحد منهم / الزمن الأرضي	ساعة/ الزمن العندي	اللبث في الدنيا
4 ـ	الكفار	عمر كلٍّ واحد منهم / الزمن الأرضي	ساعة من نهار / الزمن العندي	اللبث في الدنيا
5 ـ	الكفار	عمر كلٍّ واحد منهم / الزمن الأرضي	عشية أو ضحاها / الزمن العندي	اللبث في الدنيا
6 ـ	الكفار	عمر كلٍّ واحد منهم / الزمن الأرضي	يوم أو بعض يوم / الزمن العندي	اللبث في الدنيا

والمعلوم أنَّ ألف سنة هي الحدُّ الأقصى لعمر الإنسان في الأمم ـ ولا عبرة بالشواذ ـ، ذلك أنَّ المرء لا يتمنَّى إلاَّ أعلى قدر ممكن، والقرآن يحكي لنا عن بني إسرائيل وعن الكفَّار من المجوس وغيرهم فيقول: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ

ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة البقرة: 96).

ويقال «كانت المجوس يقولون للعاطس: «عش ألف سنة»[1].

ودليل آخر هو عمر نوح عليه السلام، الذي قال عنه تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (سورة العنكبوت: 14).

وإذا قسنا ألف سنة بالزمن العنديّ، فإنَّنا نقول إنَّ هذا الكافر لبث أو عاش «يوما» من أيّام الآخرة، وهذا يفسِّر قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا﴾، أي من أيّام الآخرة.

والذي عاش من هؤلاء زمنا أقلَّ من ألف عامٍ، فإنّه يجيب: لبثنا ﴿بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

هذا عن الأمم السابقة، أمّا الآيات الأخرى كلّها، فهي خاصّة بمشركي العرب، وهي بالتالي خاصّة بأمّة محمّد ﷺ المخاطَبون برسالته، فهؤلاء لا يحتمل في أيٍّ واحد منهم أن يعيش إلى الألف أو ما يقارب الألف، وإنّما أعلى حدٍّ معتبر لأعمار الناس هو: مائة عام. ولا عبرة بالشواذ، الذين يفوقون المائة، فالشاذ يثبت القاعدة كما يقال.

ففي الحديث الشريف: «دَخَلَ أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو الأَنْصَارِيُّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ لاَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ؟ إِنَّمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الأَرْضِ عَيْنٌ تَطْرِفُ، مِمَّنْ هُوَ حَيٌّ الْيَوْمَ، وَاللَّهِ إِنَّ رَجَاءَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ»[2].

---

(1) اطفيش: تيسير التفسير (ط.ج)، ص189.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، في باقي مسند العشرة المبشّرين بالجنّة، رقم 676، بسند: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَابِقٍ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ نُعَيْمِ بْنِ دِجَاجَةَ أَنَّهُ قَالَ دَخَلَ أَبُو مَسْعُودٍ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو الأَنْصَارِيُّ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه...». العالمية: موسوعة الحديث، مادة البحث: «مائة عام».

هذا هو المقدار الأعلى، أمّا معدّل أعمار أمّة محمّد عليه السلام فهي كما وردت في الحديث: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»[1] .

ولعلّ هذا ما يفسّر سبب ظنّهم يوم القيامة أنّهم ما لبثوا في الدنيا: غير ساعة من نهار، أو ساعة من يوم، أو عشية، أو ضحاها بالحساب العنديّ[2] .

فإضافة العشية للضحى في سورة النازعات للدلالة «على أنّ مدّة لبثهم لم تبلغ يوما كاملا»[3] من الأيّام العندية، أي لم تبلغ ألف سنة، كما هو الشأن في الأمم السابقة.

الأنموذج الثالث:

وهي قصّة أصحاب الكهف، وفيها من الدلالات الزمنية قدر كبير، مِمّا يرشّحها أن تكون مجالا للدراسات والتحليلات في مجال الزمن القرآني، وفيها يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا(. . .) قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾(سورة الكهف: 9-26).

استطاع الدكتور ناجي في مقاله أن يعطي تفسيرات علميّة دقيقة في مجال

---

(1) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، حديث رقم 3473، بسند: «حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَارِبِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. . . ».
وقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ».
لعالمية: **موسوعة الحديث**، مادة البحث: «أعمار».

(2) حاولت أن أجد علاقة بين الساعة الزمنية (60) وبين اليوم الطبيعي، وأقارنها بساعة من اليوم العندي، فلم أتمكّن، وكذلك ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار أطول نهار وأقصره، وأطول ساعة وأقصرها. فهذا لا محال مجال خصب للبحث، ينبغي التنبّه إليه ودراسته.

(3) الزمخشري: **الكشّاف**، ج4/ ص559.

النسبية، ولذا سنحاول أن نقتبس منه ملخَّص تحليله، وننقد ما ينبغي أن يُنقد، ثمَّ نضيف إليه ما ينبغي أن يضاف، وهذا الملخَّص يتمثَّل في النقاط الآتية:

● ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الآية: 11): أوَّل ما يسترعي الانتباه هو نومتهم الطويلة التي لم تؤلف حسب الموازين الأرضية، فهي إذن نومة بموازين كونية مجهولة لدينا.

● قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ (الآية: 17): اعتاد المفسِّرون أن يفسِّروا الفجوة بـ: الفجوة المكانيَّة[1]، غير أنَّه ينبغي أن لا نقف على هذا المدلول السطحي لهذه المفردة القرآنية، ذلك لأنَّ الله سبحانه سمَّاها آية: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (الآية: 17)، والفراغ المكانيُّ ـ طبعاً ـ لا يصحُّ أن يسمَّى آية، فهو مِمَّا اعتاد الناس.

● نوع هذه الفجوة لها علاقة بحصول هذه المعجزة العجيبة.

● الراجح أنَّها «فجوة زمنية»، أي أنَّه جلَّت قدرته جعلهم في وضع خاصٍّ، تكون محصِّلة الزمن فيه بالنسبة لهم صفراً (0)، فلا يؤثِّر مرور الزمن عليهم، فثلاثة قرون لم تؤثِّر فيهم، ولا في جسدهم وشكلهم، بدليل إجابتهم للذي سألهم قائلاً: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ؟﴾، ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (الآية: 113).

● «مثلما يتغيَّر البعد الزمني بفعل عامل السرعة في [النظرية النسبية] فإنَّه من الممكن أن يتغيَّر بفعل عوامل أخرى لم تنكرها النظرية».

● قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الآية: 11): كلمة عدد جاءت هنا نعتا للسنين، بمعنى معدودة، فقصد منها التكثير[2]، فيكون مفاد النصِّ القرآني أنَّهم وضعوا في معزل عن الزمن.

● قوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ (الآية: 12): إنَّمَا هو للناس جميعاً، لكي يلتفتوا إلى هذه الظاهرة الكونية والزمنية العجيبة،

---

(1) الزمخشري: **الكشَّاف**، ج2/ ص553، وانظر ـ بيوض: **في رحاب القرآن**، تفسير سورة الكهف، ج2/ ص104

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج10/ ص363.

فيتأمَّلوها، ويكتشفوا أسرارها، وأسرار الأبعاد الزمنية في الكون.

● ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ﴾ (الآية: 19)، ولكن عن ماذا يتساءلون؟.

تجيب الآية مباشرة عن طبيعة هذا التساؤل: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾، جعل علَّة بعثهم هو السؤال عن الزمن الذي قضَّوه في رقدتهم.

والنتيجة التي لخَّص بها آراءه هي: «لَمَّا كان الزمن نسبياً، يختلف باختلاف الظروف التي يقاس بها، فإنَّ حقيقة الزمن الذي قطعه أصحاب الكهف في رقدتهم، يختلف عنه بحسب الموازين الأرضية، التي بلغ بها ثلاث مائة سنة شمسية، كما أشار إليه الحقُّ سبحانه، كما يختلف عمَّا حدَّده أهل الكهف أنفسهم بيومٍ أو بعض يوم بحسب إحساسهم[1]، فهو شيءٌ آخر غير هذا وذاك، لا يعلم حقيقته ومقياسه الدقيق إلاَّ هو سبحانه، ومن هنا جاء قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ﴾ (الآية: 26) أي بحقيقة البعد الزمني»[2].

والذي نستنتجه من هذا العرض، أنَّ في القصَّة عدَّة لفتات تعتبر ضمن مفهوم الزمن النسبي، وهي:

1 ـ في حساب الزمن: توجد موازين أرضية، وموازين كونية مجهولة لدينا.

2 ـ الفجوة التي وضع فيها أصحاب الكهف هي فجوة زمنية، محصلة الزمن فيها تساوي صفرا. أي أنَّهم كانوا في معزل عن الزمن.

3 ـ توجد عوامل أخرى ـ غير السرعة ـ تسبِّب في تغيير البعد الزمنيِّ، لم تنكرها النظرية النسبية نفسها.

---

(1) أقول: لفظ الإحساس هنا لا يعبِّر عن المعنى الحقيقي، إذ قولهم ﴿لبثنا يوماً أو بعضَ يوم﴾، جاء عن تصوُّر دقيق لا عن إحساس نفسي ـ كما يقول المؤلِّف نفسه ـ، وذلك بالنَّظر إلى أثر الزمن في أجسادهم وهيئتهم، ومن هنا جاء خلطه بين الزمن النفسي والزمن النسبي.

(2) الجابي: **أصحاب الكهف والبعد الزمني**؛ ص24 ـ 40.

4 ـ حقيقة الزمن المطلق لا يعلمها إلاَّ الله تعالى.

وإلى أهمية هذه الضوابط والخصائص المميِّزة للزمن النسبي أضيفُ جدولا من جداول العناصر الزمنية، حتَّى تتَّضح الصورة أكثر:

جدول العناصر الزمنية

المتزمِّن الأوَّل	المتزمِّن الثاني	المقدارالأوَّل / مجاله	المقدار الثاني / مجاله	الحركة الأولى	الحركة الثانية
الفتية	قومهم	يوم أو بعض يوم / فجوة زمنية	300 سنة/ الأرضي	لبث الفتية في الكهف	لبث قومهم وعيشهم

فالملاحظ إذن أنَّ هذا النوع من الزمن النسبي، تدخل فيه عدَّة متغيِّرات، ويحمل خصائص إضافية بالنظر إلى النوعين الأولين:

فالمتزمِّن مختلف، والمقدار كذلك، والمجال مختلف أيضا، والحركة مختلفة كذلك. فهذه النسبية نسبِيَّة مركَّبة، فقد اشتملت على نسبِيَّة زمن كانت محصَّلته صفراً إلى زمن أرضي لوجود فجوة زمنية، بخلاف النماذج الأولى التي هي من قبيل نسبِيَّة الزمن إلى زمن آخر في مجال آخر، لا وجود لهذه الفجوة فيها.

ومن خلال هذه الآيات نعود فنقول: ليست النسبية مطلَقة، بل حتَّى **النسبية نفسها نسبِيَّة**، فبينما كان الفيزيائيون يعتقدون أنَّ مفهوم الزمن المطلق أصبح حديثا بعد عيان، وانقضى عهده[1]، وأنَّ الزمن نسبي نسبِيَّة مطلَقة: فهو

(1) Priestley J.B: **L'homme et le temps**; ed. Pont Royal, Paris, France; p 85.

مرتبط بموقعه من المكان، وهو ما عُرف بالزمكان(1)، ومرتبط كذلك بالسرعة وبالكثافة، فتحوَّلنا بذلك من عالم ثلاثي الأبعاد إلى عالم رباعي الأبعاد «conception quadridimentionnelle».

غير أنَّ القرآن من خلال قصَّة الكهف أثبت أنَّ هذا العالَم ليس رباعي الأبعاد بل هو ذو أبعاد أخرى لا نزال نجهلها، وإنـمّا الأبعاد الأربعة جزء من العالَم، فلا يمكن مثلا أن نعزو نسبيـّة لبث الفتية في الكهف إلى بعد مكاني أو إلى بعد زماني، بل الأحرى أن نعزوه إلى بعد أو أبعاد أخرى نجهلها، هذا **أوّلاً**.

وثانياً: إنَّ الزمن نسبيٌّ باعتبار، ومطلق باعتبار: ففي مستوى المخلوقات كلِّها الزمن نسبيٌّ، أمـّا الزمن المطلق فلا يتحقَّق علمه إلاَّ عند الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾، وهو موجود ومتحقِّق بصريح الآية، غير أنَّ البشر يجهلونه، رغم علمهم بالتقدير الأرضي: 300 عام؛ وبتقديره الفجَوي: يوم أو بعض يوم.

ويعضد هذا المعنى كذلك سياق هذه الآية: ﴿ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾.

كما أنَّ قولهم: ﴿ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾، يفيد أنَّ العلم الحقيقيَّ بالزمن المطلق مقتصر على الله جلَّ وعلا، غير أنـّنا نلاحظ على الدكتور ناجي قوله: «جعل علَّة بعثهم هو السؤال عن الزمن الذي قضَّوه في رقدتهم»، فنقول: بل جعلتْ الآيةُ علَّة بعثهم أعمق من مجرَّد السؤال عن مدَّة اللبث، فالعلَّة هي أن يعرفوا جهلهم في مجال العوالم واختلافها أمام علم الله ـ خالقها ـ بها، وهو ما تفيده الآية في عمومها.

---

(1) أجريتُ بحثاً في الشبكة العالمية للاتصال: Internet، حول موضوع الزمكان، وحول ما عرف بالبعد الرابع، فتحصَّلت على بيبليوغرافية مفصَّلة لـ 63 عنواناً (40ص) في تطبيقات هذه النظرية، وهي من الجهات الأربع للعالَم، وأغلبها باللغة الإنجليزية، ولم أحصل على أيِّ بحث باللغة العربية، ولا من أيِّ بلد عربي. وهذا مِمَّا يشير إلى انعدام الدراسات الزمنية في الجامعات والبلدان العربية.

شبكة الأنترنات العالمية: بحث في مادَّة بيبليوغرافي حول مادَّة الزمكان، 63 عنواناً، 40 ص؛ سنة 1996م.

الأنموذج الرابع:

ويتمثّل في قصّة صاحب القرية في سورة البقرة، إذ يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(سورة البقرة: 259).

جدول عناصر هذه الظاهرة الزمنية

المتزمِّــن	المقدار الزمني	الوحدة	المجـــال	الحـــركة
1. الذي مرَّ على القرية	يوم أو بعض يوم	اليوم	الزمن الفجوي	مدَّة الموت والبعث
2. طعامه وشرابه	يوم أو بعض يوم	اليوم	الزمن الفجوي	قضاء المدَّة
3. قومه	مائة عامٍ	العام	الزمن الأرضي	عيشهم ولبثهم
4. حماره	مائة عام	العام	الزمن الأرضي	موته وبعثه

أوَّل ما يسترعي الانتباه أنَّ هذه القصَّة، وما وقع فيها لهذا الرجل ليس أمراً عادياً، بل هو آية من آيات الله، فقد قال تعالى لهذا الرجل: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾، وفي قصَّة سورة الكهف كذلك آية من آيات الله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ﴾ (الآية: 17)، ـ فبينها إذن تماثل ـ.

وفي الآية عالَمان: عالَم قبضَ عنه الزمن: الرجلُ، وطعامُه وشرابـُه،

وعالَم ثانٍ مُدَّ له الزمن فعاشه عيشا طبيعيا: قومُ الرجل، وحمارُه. وبينهما نسبية كبيرة جدًّا:

فيوم أو بعض يوم (في المجال الأوّل) = مائة عام (في المجال الثاني)

فالآية دالَّة على «أنَّ الله قاهر على الزمن، يستطيع أن يقبض المائة سنة عن مخلوقاته فتصير يوماً، أو يمدَّها فتكون مائة سنة، دون أن تبرح مكانها، ودون أن تغيّر نظامها الحركيّ (. . .) وما حدث هو أنَّ الله قبض المائة سنة عن طعام عزرا، فاحتفظ بصلاحيته، ولم يتلف ولم يتسنَّه، وكأنّما لم يمرَّ بالنسبة له زمن، بينما مدَّ الزمان للحمار فهلك وتحلَّل وأصبح رمة، ثمَّ أعاد الله تركيبه وبعثه حيًّا أمام عزرا. وهي آيات تكشف عن سلطان الله القابض الباسط للزمان، دون تقيد بنظام حركيّ ومكان»[1].

والملاحظ أنَّ الذي تسبَّب في قبض الزمن أو مدِّه ليست هي السرعة كما في النظرية النسبية[2]، وإنّما هو أمر غيبيّ مجهول عندنا، ويمكن أن يوصف بأنّه: هو التدخُّل المباشر لله سبحانه، وخرق السنن التي يجري عليها الزمن. وهذا يثبت ما ذكرنا من أنَّ نسبيّة الزمن في القرآن لا تخضع لأبعاد أربعة فقط، وإنّما تخضع لأبعاد أخرى مجهولة لدينا.

ما هذه إلاَّ نماذج للزمن النسبي في القرآن الكريم، وقد ظهرت من خلال هذا العرض أهم الخصائص العامّة لهذا النوع من الزمن، وحاولنا أن نذكر فيه بعض الفروق بينه وبين النوعين الآخرين.

وبالإجمال: الموضوع خصب يحتاج إلى دراسات معمّقة، وإلى محاولات ومحاولات من المختصين في مجالات مثل: الفزياء، وعلم النفس، وعلم الأحياء. . .

---

(1) مصطفى محمود: من أسرار القرآن، ص24 ـ 25.
(2) نيكلسون: الزمان المتحوّل، ص192 ـ 203.

خاتمة الفصل

1 ـ يرتكز مفهوم الزمن النسبي في القرآن الكريم على أسس هي بمثابة المسلَّمات ينبغي الانطلاق منها، وإلاَّ لم يتمَّ تحديد مفهوم نسبِيَّة الزمن تحديداً صائبا. وهذه المسلَّمات هي:

أ) إنَّ الله تعالى لا يتزمَّن.

ب) إنَّ الله عزَّ وجلَّ يحيط بالمخلوقات جميعها في أزمنتها.

ج) إنَّ كلَّ المخلوقات متزمِّنة.

2 – العناصر الأساسية لِكُلِّ ظاهرة زمنية في القرآن الكريم هي خمسة:

أ) الشيء المتزمِّن

ب) المقدار الزمني

ج)الوحدة

د) المجال أو السلَّم

هـ) الحركة و الفعل

3 ـ العنصران الثانويان لِكُلِّ ظاهرة زمنية في القرآن الكريم هما:

و) **التقدير**: وهو خاصٌّ بالإنسان فقط، وبالتالي يعتبر زمنا ذاتيا.

ز) **التقييم** وهو خاصٌّ بالله سبحانه.

4 ـ الزمن الذي ندركه كما هو في الحياة الدنيا: أي الزمن الأرضي الإنساني، هو المرجع الأساسي لِكُلِّ الأزمنة الأخرى، ذلك أنَّ المخاطَب في القرآن هو الإنسان، وكلُّ آيات القرآن جاءت وفق هذا الزمن المرجعيِّ، أو أحالت إليه.

5 ـ إذا اختلف التقييم، تحدَّدت بالتالي قيمة الزمن النوعية لا الكمية أو

الرياضية، فإذا كانت القيمة عالية سمي بالزمن **المبارك**، وإذا كانت بخسة فهو زمن غير مبارك.

6 ـ إذا اختلف **تقدير** الزمن بالرجوع إلى الإحساس الداخليِّ للإنسان، سمِّي هذا النوع بالزمن **النفسيِّ**، ويتمثَّل في أنواع ثلاثة هي:

أ) **الزمن الثقيل**: بسبب الحزن أو القلق، ويكون بالنسبة للكافر في الآخرة. ويقابله بالطبع الزمن الخفيف، بالنسبة للمؤمن لأنَّه يكون يومها في نعمة وسعادة من الله جلَّ شأنه.

ب) **الزمن السريع**: يحسه الكافر حين الموت أو في الآخرة، وسببه: الإغراق في اللهو واللعب والتمتّع...

ج) **تقلُّص الزمن**: ويكون في ساعة الموت، بِأَن تتقلَّص سنوات عديدة في ثوان قليلة، وعكسه هو تمدُّد الزمن.

7 - إذن ففي الزمن المبارك الشيء المختلف هو **التقييم**، أمَّا في الزمن النفسي فهو **التقدير**، وأمَّا **الزمن النسبي** فالمختلف فيه هي **العناصر الأساسية للظاهرة الزمنية**.

8 ـ توجد عوامل أخرى - غير السرعة والكثافة والمكان - تؤثِّر في تغيير البعد الزمني، فأبعاد الزمن النسبي في القرآن هي أكثر من أربعة، غير أنَّنا نجهلها، وإن علمنا بوجودها من خلال آي القرآن الكريم.

9 ـ قد يضع الله تعالى بعض مخلوقاته في **فجوة زمنية**، أي خارج حركة الزمن لمدَّة، ثمَّ يطلقها كما كان الحال بالنسبة لأصحاب الكهف، ولطعام وشراب صاحب القرية في سورة البقرة.

10 ـ الزمن في حقيقته مطلق بالنسبة لله تعالى، نسبي بالنسبة للمخلوقات. والقاعدة هي أنَّ: **نسبيَّة الزمن في القرآن الكريم هي نفسها نسبيَّة**.

11 ـ للزمن في القرآن الكريم مدخل خاص به، ولا يمكن أن يدرس بمداخل أخرى، فدراسة نسبيته دراسة فزيائية أو فلسفية ـ فقط ـ تذهب بكثير من المفاهيم العميقة.

الخاتمـــة

تتشكَّل خصائص الزمن في القرآن الكريم، بالجمع بين خصائص كلٍّ فصل من فصول البحث على حدة، وهي بدورها تأسَّست عن طريق محاولة الإجابة عن الأسئلة التي تصبُّ في الإشكال العامِّ؛ ويمكن أن نصنِّف هذه الخصائص حسب مدخلها إلى أربع مجموعات هي:

أوّلاً ـ خصائص الألفاظ:

1 ـ **الغزارة**: حجم مادَّة الزمن في القرآن الكريم حجم معتبر، ويصعب حصره حصراً شاملاً، وممَّا يدلُّ على هذه الغزارة جدول ألفاظ الزمن.

2 ـ **خواص الألفاظ**: ألفاظ الزمن في القرآن الكريم تتميَّز بالخواص التالية:

أ) تعدُّد الصيغ وثراؤها.

ب) الدقة في التعبير عن المقدار الزمني.

ج) توجد ألفاظ زمنية مباشرة، وأخرى غير مباشرة...

3 ـ **حياة الألفاظ**: ألفاظ المقادير الزمنية في القرآن الكريم ليست وحدة استاتيكية جامدة، أو مقياساً صالحاً لكلِّ سياق ومجال، وإنَّما هي ألفاظ تتأثَّر وتؤثّر، وتتطوَّر مفاهيمها ودلالاتها مع تطوّر إدراك الناس، ومع تقدّم وسائلهم في قياس الزمن؛ ولذلك لا يمكن أن يقال عن أيِّ لفظ من هذه الألفاظ: إنَّه نتاج البيئة الفلانية، أو العصر الفلاني، وسيفقد دلالته بعد ذلك العصر! . بل إنَّ هذه الألفاظ تتفاعل مع كلّ العصور، سمتها الكبرى هي: الخلود.

ثانياً ـ خصائص الأسلوب:

1 ـ البلاغة: تناولَ القرآنُ الكريم ببلاغة معجِزة موضوعَ الزمن؛ فلا تخلو المعاني الكونية في هذا المجال من محسِّنات لفظية، ولا أسلوبية، ولا تعدم الإيقاعَ الموسيقي، ولا التصوير الفني...

فالقرآن الكريم يجمع بين الأسلوب العلمي الدقيق، والأسلوب الأدبي الرقيق.

2 ـ الاشتراك: الاشتراك من أظهر خواص مادَّة الزمن في القرآن الكريم، فهو يتمثَّل في نوعين أساسيين هما:

أ) اشتراك لفظين في معنى واحد: وهو قريب من الترادف، ولكنَّه غير الترادف، إذ لا يمكن وضع لفظ مكان آخر مهما كان قريباً منه في المعنى. ومثال ذلك: اليوم بمعنى الساعة والحين؛ والسنة بمعنى العام والحول...

ب) اشتراك معنيين أو عدَّة معان في لفظ واحد: وهو الغالب في ألفاظ الزمن، سواء المقادير الزمنية أو وحدات التقويم، فاليوم مثلاً يعني: اليوم الطبيعي، والوقت الحاضر، والزمن الماضي، والساعة والحين... والسنَة تعني: السنَة الفلكية، والجدب...

3 ـ السياق والدلالة البلاغية الدقيقة: الملاحظ أنَّ المقادير الزمنية لا يمكن أن تفهم إلاَّ في سياقها العامِّ ضمن الآية التي وردت فيها. فألفاظ الزمن لا تساق لذاتها وإنَّما لتخدم موضوعاً من مواضيع القرآن، أو مقصداً من مقاصده الكبرى، مثل: التوحيد، والأحكام، والقصص.

وألفاظ الزمن ـ كذلك ـ دقيقة في وضعها، بحيث لا يمكن أن يخلف لفظ لفظاً، أو أن يستغني عنه، ذلك أنَّه يقصد من اختيار الألفاظ معانٍ بلاغية ذات دلالات دقيقة.

4 ـ بين التمثيل والحقيقة: بعض المقادير الزمنية في القرآن الكريم سيقت للتمثيل لسرعة الفعل لا لضبط مدَّة معينة، ومثال ذلك: لمح البصر، ارتداد الطرف... وبعضها الآخر أريد بها حقيقتها مثل: سبع سنين، مائة عام... إلخ.

5 ـ المجاز والاقتران: ترتبط أغلب الأزمنة الدالَّة على جزء من أجزاء اليوم بعبادات مخصوصة:

إمَّا بالمجاز المرسل، فيذكر اللفظ ويراد به ما يقع فيه، مثل: الضحى، والعصر. . .

أو بالاقتران بين الزمن وبين العبادة في الآيات الواردة فيها: مثل اقتران الأصيل بالذكر، والسحر بالاستغفار.

ثالثاً ـ خصائص المنهج:

1 ـ المنهج القرآني والمنهج الكوني: منهج القرآن الكريم في معالجة موضوع الزمن، هو نفس المنهج الذي يغمر به الزمن الكونَ والحياةَ، بعيداً عن الأسلوب المقيّد الجافّ.

2 ـ المنهج الإيماني والدراسات الزمنية: إنَّ الآيات الدالَّة على الزمن وأبعاده في القرآن الكريم، دالَّة كذلك على عظمة خالق الزمن ومبدع أبعاده، فلا حاجز يفصل بين البعد الإيماني والبعد الفلكي، بل يكمِّل أحدهما الآخر، خلافاً لِما يلاحظ في عصرنا ـ في مناهج الغرب والشرق على السواء ـ من انفصام عميق بين البعدين؛ فكنتيجة للتعمُّق في علم الفلك والدراسات الزمنية نصل إلى تحديد البعد الإيماني لهذه العلوم.

وهذا يقتضي ـ بالطبع ـ مراجعة المنظومة التربوية في معاهد الشريعة، وفي معاهد العلوم الطبيعيَّة عموماً.

3 ـ المدخل الخاص بالقرآن: للزمن في القرآن الكريم مدخل خاص به، ولا يمكن أن يدرس بمداخل أخرى، ذلك أنَّ هذه المداخل قد تجني على المنهج القرآني، وتغيِّبه في كنفها، فتذهب بالتالي بروعة المنهج القرآني الشامل.

4 ـ غزارة المادَّة والاستقراء: مادَّة الزمن غزيرة جدّاً، وتحتاج إلى بحوث متكاملة لاستقصائها واستقرائها لفظاً لفظاً، وآية آية؛ ولكن ينبغي أن لا نخلط

بين استقراء الآيات كما هو المنهج في هذا البحث، وبين محاولة استقراء كلِّ المعاني معنى معنى، وكلِّ الألفاظ لفظاً لفظاً، وهذا ما يدعو إليه البحث ولا يدَّعي أنَّه توصَّل إلى إنجازه.

رابعاً ـ خصائص الموضوع:

1 ـ **المواضيع**: تنقسم المواضيع المستنبطة من جدول ألفاظ الزمن إلى:

أ) مواضيع تدخل في تحديد المفهوم.

ب) مواضيع تدخل في تطبيق المفاهيم.

2 ـ **إحصاء المقادير**: لا يقدر الإنسان أن يحصي المقادير الزمنية إحصاءً مطلقاً مهما أوتي من علم، والواجب أن يجتهد في معرفتها والقرب من مداها بما أوتي من قوَّة ووسائل، متيقناً أنَّ الإحصاء المطلق للمقادير هو من اختصاص الله وحده: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾.

3 ـ **الدقَّة في التقدير**: لا تخضع مادَّة الزمن في القرآن الكريم إلى المقاييس الفزيائية المتغيِّرة، وليس في القرآن مقادير زمنية يمكن أن توصف بالدقَّة أو عدمها مثل: الدقيقة والثانية واللحظة وما دونها؛ فطبيعة هذه المقادير التطوُّر والتجدُّد والخطأ والصواب، أمَّا القرآن فهو حقٌّ مطلق، ولا يطلب منه أن يخضع لعلوم الإنسان بل دوره هو توجيه الإنسان وهدايته.

6 ـ **صعوبة تحديد المقدار الزمني للفظ**: كثير من ألفاظ المقادير الزمنية غير محدَّدة المقدار، فلا يمكن أن يحدَّد مقدار اللفظ بعدد معيَّن من الوحدات، إذ ليست الساعة ـ مثلاً ـ في القرآن الكريم تساوي60 دقيقة، ولا الحين يحدّد بمقدار معيَّن. وذلك لأنَّ المقصد ليس هو التحديد المضبوط لحجم أو مقدار ذلك الزمن، وإنَّما المقصد هو بيان طوله أو قصره، بعده أو قربه. . .

7 ـ **التداخل**: تتداخل معاني المقادير الزمنية في القرآن الكريم تداخلاً تقتضيه طبيعة الزمن في الكون نفسه، فأحياناً يصعب أن نجد حدّاً فاصلاً بين اليوم ـ مثلاً ـ كوحدة للزمن الدنيويِّ واليوم كوحدة للزمن الأخرويِّ، فهذان

الزمان قد تلاقيا في لفظ واحد هو: **اليوم**. وهذا مِمَّا يميِّز الزمن القرآني ويعطيه بعداً أوسع من بعد الزمن الكونيّ المتناهي.

8 ـ مفاهيم فلكية: سبق القرآن الكريم العقلَ البشريَّ إلى مفاهيم علميّة عميقة حول أصل الزمن، وحول حركة الشمس والقمر، ومن هذه المفاهيم:

ـ إنَّ الأرض كروية الشكل.

ـ إنَّ الأرض تدور حول نفسها، كما تدور الأفلاك المحدِّدة لطبيعة الليل والنهار: الشمس والقمر: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

ـ إنَّ الليل والنهار يوجدان في آن واحد، فليس للشمس سلطان على النهار، ولا للقمر سلطان على الليل، كما كان المعتقد سائداً.

ـ إنَّ الليل والنَّهار خُلقا في آن واحد.

9 ـ مفاهيم إيمانية: بالإضافة إلى هذه المفاهيم الفلكية في موضوع الزمن، نجد مفاهيم إيمانية، منها أنَّ الليل والنهار ليسا مجرَّد ظاهرتين من ظواهر الكون والطبيعة، وإنَّما هما آيتان من آيات الله تعالى، ويتمثَّل ذلك في اختلافهما، وتسخيرهما، وتعاقبهما مكاناً وزماناً. . .

10 ـ القسم بالزمن: أقسم الله تعالى بأجزاء اليوم مثل: الليل، والنهار، والفجر، والضحى، والعصر، والشفق. . . إلخ. وهذا مِمَّا يدلُّ على عظمة ومكانة الزمن عند الله تعالى. وهو ـ كذلك ـ مِمَّا يربط بين علم العقيدة والمفاهيم الزمنية بصلة وثيقة.

11 ـ تسمية السور بالزمن: سمَّى الله تعالى سوراً عديدة بأسماء لأجزاء من اليوم، مثل: الفجر، والليل، والضحى، والعصر. . . وهذا كذلك مِمَّا يدلُّ على قيمة الزمن في القرآن الكريم.

12 ـ الزمن كوحدة للقياس في الأحكام الشرعية: يلاحظ أنَّ كثيراً من وحدات التقويم لها علاقة وطيدة بأحكام شرعية، وأنَّ هذه الوحدات هي أداة لقياس مدَّة حكم، أو تحديد ابتدائه أو انتهائه. . . فالشهر ـ مثلاً ـ تتعلَّق به أحكام عدَّة منها: الصيام، والقتال، والحجّ، والعدَّة، والإيلاء. . . والحول

يتعلّق به حكمان هما: الوصيّة، والإرضاع...

13 ـ بعض الزمن من الدين، وبعضه من أمور الدنيا: بعض المعتقدات في الزمن تدخل في الدين، واعتقادُ خلافها، أو العمل بما يناقضها خروج صريح من الملّة، ومثال ذلك قوله تعالى في النسيّ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾. ونذكر فصول السنَة كمثال لما يدخل في أمور الدنيا، ولا علاقة له بإيمان المرء أو عدمه.

14 ـ التقويم والانتماء الديني: للانتماء الديني علاقة وطيدة ببعض التقاويم، فقد ارتبط السبت ـ مثلاً ـ بتاريخ اليهودية، والجمعة بتاريخ الإسلام، وكذلك الحال في أيّام الأسبوع الأخرى التي لم تذكر في القرآن الكريم، إذ ارتبط بالمسيحية، وكذا أسماء الأيّام في بعض الحضارات القديمة اشتقّ من أسماء الآلهة.

15 ـ قدم التقاويم: بعض التقاويم قديمة قدم العالم، وبعضها غير معلومة النشأة، فقد صرّح القرآن ـ مثلاً ـ بعدد الشهور عند الله يوم خلق السماوات والأرض، وأمّا بعضها فيبدو أنّها حديثة حداثة احتياجات الناس المعاشية مثل الأسبوع، والفصل...

16 ـ وعي الزمن: وعي الزمن في القرآن الكريم ـ وفي الكون كلّه ـ يرجع إلى سببين ومبدأين اثنين هما:

أ) النظام: ولولاه لمَا أمكن أن نتصوَّر شيئاً يسمَّى الزمن، وهي الخاصية التي يتميَّز بها كلّ ما خلق الله سبحانه، وقد ركَّز القرآن عليها تركيزاً شديداً.

ب) التذّكّر والتوقّع: فالتذكُّر هو سرُّ معرفة الماضي ووعيه، والتوقُّع هو سرُّ معرفة المستقبل ووعيه؛ وبدونهما لا يمكن أن نتصوَّر للزمن معنى لا في الكون ولا في القرآن، وقد ركَّز القرآن الكريم أيّما تركيز على هاتين الحاستين.

17 ـ الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل: للأزمنة الثلاثة في القرآن الكريم مكانة خاصَّة، إذ أكَّد على ضرورة وعيها، وبدون هذا الوعي الشامل لا تكمل إنسانية الإنسان، وقد ركَّز القرآن على منهج التعامل مع هذه

الأزمنة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تغليب لزمن دون زمن، وهذه هي وسطية الإسلام في أسمى معانيها.

18 ـ الحدود بين الأزمنة الثلاثة: يحرص القرآن الكريم على كسر الحواجز بين الأزمنة الثلاثة. فيمكن أن تقرأ في آية واحدة جميع أنواع الأزمنة، وتتنقّل بينها بمرونة فائقة، يعجز المرء عن وصفها، دون إحساس بهذا الانتقال.

19 ـ الزمن المتناهي والزمن اللامتناهي: هي لحمة وسَدَى التاريخ والزمن القرآني كله، فتكاد لا تجد آية واحدة في التاريخ لا تشير إلى المصير وإلى الجنَّة أو النار. فكلُّ الأزمنة المتناهية مرتبطة باللامتناهي ارتباطاً وثيقاً؛ ولا يتصوَّر تضادٌّ بينهما كما هو الشأن في بعض الحضارات وفي بعض الفلسفات، بل يخدم الواحد منهما الآخر: فالزمن المتناهي سبب لوجود الزمن اللامتناهي، والزمن اللامتناهي نتيجة للزمن المتناهي.

20 ـ موضوعات التاريخ: أمَّا موضوعات التاريخ في القرآن الكريم فهي مختلفة تمام الاختلاف عن موضوعات التاريخ الكلاسيكي، إذ تبدأ من ما قبل الإنسان، ولا تنتهي إلاَّ في الآخرة.

والقرآن لا يؤرّخ للإنسان بقدر ما يؤرّخ للنبوءات، فمحور التاريخ عنده هو محور تاريخ النبوءات: محمَّد ﷺ؛ وهذا التاريخ يسير في شكل حيوي متشابك.

21 ـ حركة الأفلاك وأثرها في تحديد الزمن: إنَّ حركة الشمس والقمر والأفلاك هي التي تتسبَّب في ظهور الأوقات، ومعرفة الأزمان، وهذا بصريح آيات القرآن، فالزمن إذن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحركة.

22 ـ الزمن وحدة لقياس الحركة: فبالزمن تعرف سرعة الحركة وتباطؤها، وبه يميَّز بين خفّتها وثقلها.

23 ـ الحركة السَّنَنية: تسير الحركة وفق نظام معيَّن، وتخضع لقوانين إلهيَّة مقدَّرة تقديراً محكماً، وهي ما يسمَّى: بالسنن الكونية. وهذه القوانين تضبط الاتجاه والإيقاع الذي يتحرَّك فيه أي مخلوق من مخلوقات الله تعالى في إطار زمنه.

24 ـ **الحركة غير السَّنَنية**: لا يمكن لأي مخلوق أن يسير في إيقاع مخالف للإيقاع الذي كتب له، وبالتالي فإنَّه لا يمكنه أن يخالف الحركة السَّننية في إيقاعها، ومن نماذج ما تظهر فيه هذه الاستحالة: الاستعجال. بِكُلِّ أنواعه بغضِّ النظر عن الدافع إليه.

25 ـ **لِكُلِّ أجل كتاب**: قاعدة في حركة الزمن في القرآن الكريم، فلا يتأخَّر أمر عن أجله، كما لا يتقدَّم أمر عن أجله، وزمن الآجال مقدَّر عند الله في الأزل، وبالتالي فإنَّ استعجال الأجل أو استئخاره مِمَّا يرفضه القرآن.

26 ـ **سهم الزمن**: لسهم الزمن اتجاه يسير فيه، وقد أجمعت الآيات أنَّه يستحيل على أي مخلوق ـ ولو كان نبيئاً مرسلاً ـ أن يتحرَّك في اتجاه زمني مخالف لاتِّجاه سهم الزمن، ومن هنا استحال الرجوع من الحاضر إلى الماضي، أو من المستقبل إلى الحاضر. ويستحيل على الخلق أجمعين أن يخالفوا سهم الزمن فيرجعوا من الآخرة إلى الدنيا، إذ رغم إلحاح الكافرين الطلب، إلاَّ أنَّ الآيات مجمعة على الاستحالة.

27 ـ **نسبيِّة الحركة**: الحركة نسبِيَّة باعتبار سرعتها، فتختلف باختلاف الراصدين، وقوَّة أدوات الاتِّصال، إذ ليس قياس الحركة مطلَقاً.

28 ـ **العناصر الأساسية**: لِكُلِّ ظاهرة زمنية في القرآن الكريم خمسة، وهي:

أ) الشيء المتزمِّن.

ب) المقدار الزمني.

ج) الوحدة.

د) المجال أو السلَّم.

هـ) الحركة أو الفعل.

أمَّا العنصران الثانويان فهما:

و) **التقدير**: وهو خاصٌّ بالإنسان فقط، وبالتالي يعتبر زمناً ذاتياً.

ز) **التقييم**: وهو خاصٌّ بالله سبحانه.

29 ـ المرجعية الإنسانية للزمن: الزمن الذي ندركه كما هو في الحياة الدنيا ـ أي الزمن الأرضي الإنساني ـ هو المرجع الأساسي لِكُلِّ الأزمنة الأخرى، ذلك أنَّ المخاطَب في القرآن وبالقرآن الكريم هو الإنسانُ، وكلُّ آياته جاءت وفق هذا الزمن المرجعيِّ، أو أحالت إليه.

30 ـ الزمن المبارك: إذا اختلف **التقييم**، تحدَّدت بالتالي قيمة الزمن النوعية لا الكمية أو الرياضية، فإذا كانت القيمة عالية سمي بالزمن **المبارك**، وإذا كانت بخسة فهو زمن غير مبارك.

31 ـ الزمن النفسي: إذا اختلف **تقدير** الزمن بالرجوع إلى الإحساس الداخليِّ للإنسان، سمِّي هذا النوع بالزمن **النفسيِّ**، ويتمثَّل في أنواع ثلاثة هي:

أ) **الزمن الثقيل**: بسبب الحزن أو القلق، ويكون بالنسبة للكافر في الآخرة. ويقابله بالطبع الزمن الخفيف، بالنسبة للمؤمن لأنَّه يكون يومها في نعمة وسعادة من الله جلَّ شأنه.

ب) **الزمن السريع**: يحسه الكافر حين الموت أو في الآخرة، وسببه: الإغراق في اللهو واللعب والتمتّع...

ج) **تقلُّص الزمن**: ويكون في ساعة الموت، بِأَن تتقلَّص سنوات عديدة في ثوان قليلة، وعكسه هو تمدُّد الزمن.

32 ـ الزمن النسبي: **الزمن النسبي هو الذي تكون العناصر الأساسية للظاهرة الزمنية فيه مختلفة**، وهي: الشيء المتزمِّن، المقدار الزمني، الوحدة، المجال أو السلَّم، الحركة أو الفعل.

33 ـ أبعاد الزمن النسبي: توجد عوامل أخرى ـ غير السرعة والكثافة والمكان ـ تؤثّر في تغيير البعد الزمني، فأبعاد الزمن النسبي في القرآن هي أكثر من أربعة، غير أنَّنا نجهلها، وإن علمنا بوجودها من خلال آي القرآن الكريم.

34 ـ الفجوة الزمنية: قد يضع الله تعالى بعض مخلوقات في **فجوة زمنية**، أي خارج حركة الزمن لمدَّة، ثمَّ يطلقها كما كان الحال بالنسبة لأصحاب الكهف، ولطعام وشراب صاحب القرية في سورة البقرة.

35 ـ نسبيّة الزمن نسبية: الزمن في حقيقته مطلق بالنسبة لله تعالى، نسبي بالنسبة للمخلوقات. والقاعدة هي أنَّ: **نسبِيّة الزمن في القرآن الكريم هي نفسها نسبِيّة.**

36 ـ الفرق بين الزمن المبارك والنفسي والنسبي: في الزمن المبارك الشيء المختلف هو **التقييم**، **أمّا** في الزمن النفسي فهو **التقدير**، وأمّا الزمن **النسبي فالمختلف فيه هي العناصر الأساسية للظاهرة الزمنية.**

37 ـ ومجمل هذه الخصائص تدلُّ على قدسية الزمن وقيمته ومكانته في القرآن الكريم.

وأخيراً: ظهرت جلياً ضرورة تكثيف البحوث حول الزمن في القرآن الكريم، ومن أمتع البحوث وأوكدها نذكر: الله والزمن في القرآن الكريم، البرمجة في القرآن الكريم، اليوم في القرآن الكريم، زمن الطبيعة في القرآن الكريم، البلاغة في عرض مادَّة الزمن في القرآن الكريم، زمن العبادات والمعاملات في القرآن الكريم، زمن الذكر في القرآن الكريم، عمر الإنسان في القرآن الكريم...

ولعلَّه من المفيد أيضاً أن تجرى نفس البحوث في الحديث النبوي الشريف، وفي الفكر الإسلامي في مختلف عصوره، وتقارن بما توصَّل إليه الغرب من نظريات وآراء.

الحمد لله حمداً كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا... والحمد لله الذي جعل في الأمر كلِّه سعة... ﴿وَمَا بِكُم مِن نِّعمةٍ فَمِنَ اللهِ﴾.

السلام عليكم ورحمة الله

في يوم 6 شعبان 1418 هـ/ 6 ديسمبر 1997 م، تَمَّت مناقشة الرسالة، بالمعهد الوطني العالي لأصول الدِّين (مولود قاسم نايت بلقاسم) بالجزائر، بحضور اللجنة المكوَّنة من:

الدكتور عبد الرزاق قسوم	رئيساً
الدكتور أحمد موساوي	مشرفاً
الدكتور عبد الكريم بكري	عضواً

ونصُّ إعلان النتيجة ـ بحمد الله ـ هو:

«وافقت اللجنة بإجماعها على منح الطالب شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، بتقدير مشرف جدّاً، مع تهنئة اللجنة، والتوصية بالطبع».

الفهـارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

سورة الأنفال (8)

سورة التوبة (9)

سورة يونس (10)

سورة هود (11)

سورة يوسف (12)

رقم الآية	نصّ الآية	الصفحة
23	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾	202
25	﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾	173، 226
26	﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	299، 301
29	﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	251
36	﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾	199
51	﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	153
109	﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾	220

سورة مريم (19)

رقم الآية	نصّ الآية	الصفحة
11	﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾	130
33	﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾	111
39	﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾	258
62	﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾	130، 150
83-84	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا . . .﴾	246

سورة طه (20)

رقم الآية	نصّ الآية	الصفحة
83	﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي . . .﴾	247
114	﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾	245
119	﴿تَضْحَىٰ﴾	135
129	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾	250
130	﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾	140

سورة الأنبياء (21)

رقم الآية	نصّ الآية	الصفحة
23	﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	249
24	﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾	92
30	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾	243
33	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	101

سورة الشعراء (26)

سورة النمل (27)

سورة القصص (28)

سورة العنكبوت (29)

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام والجماعات والأقوام

فهرس الجداول

فهرس الرسوم البيانية

فهرس المصادر والمراجع

1. أبو السعود محمَّد بن محمَّد العمادي: **تفسير أبي السعود المسمَّى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**؛ دار إحياء التراث، بيروت، لبنان؛ د.ت.
2. أبو اليقظان إبراهيم: **فتح نوافذ القرآن**؛ نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر؛ ط2: 1992.
3. أبو جندي، خالد أحمد (الدكتور): **الجانب الفنِّي في القصَّة القرآنية: منهجها وأسس بنائها (نظرية بناء القصَّة الفنية في القرآن)**؛ دار الشهاب، باتنة، الجزائر؛ د.ت.
4. أبو ريدة محمَّد عبد الهادي: **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة زمان ج 10.
5. أبو سليمان، عبد الوهَّاب إبراهيم (الدكتور): **منهج البحث في الفقه الإسلامي ـ خصائصه ونقائصه ـ**؛ المكتبة المكية ـ دار ابن حزم، مكَّة ـ بيروت؛ ط1: 1416هـ/ 1996م.
6. أبو عمَّار عبد الكافي: **شرح الجهالات**؛ مخطوط: نسخ سليمان بن يوسف المصعبي، / و الحجَّة 1241هـ/ 1825م؛ مكـ آل يدَّر؛ 186ق.
7. أحمد أبو سليمان، عبد الحميد (الدكتور): **أزمة العقل المسلم**؛ سلسلة المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ د.ت.
8. إقبال، محمَّد: **تجديد التفكير الديني في الإسلام**؛ ترجمة: عبَّاس محمود؛ مراجعة: عبد العزيز المراغي؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، مصر؛ ط: 1955م.
9. الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيِّد محمود الألوسي البغدادي: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**؛ نشره وصحَّحه: السيِّد محمود شاكر الألوسي؛ إدارة الطباعة المنيرية ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان؛ د.ت.

10. الألوسي حسام الدين (الدكتور): **الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم**؛ المؤسَّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان؛ 1400هـ/ 1980 م.
11. إميل دور كايم: **قواعد المنهج في علم الاجتماع**؛ سلسلة الأنيس، موفم للنشر، الجزائر؛ ط: 1990 م.
12. أمين رويحة (الدكتور): **شباب في الشيخوخة**؛ دار القلم، بيروت، لبنان؛ ط 1972:2 م.
13. ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين بن محمَّد الجوزي القرشي البغدادي: **زاد المسير في علم التفسير**؛ المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان؛ ط: 1404هـ / 1984م.
14. ابن العربي أبو بكر محمَّد بن عبد الله: **أحكام القرآن**؛ تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي؛ دار المعرفة، بيروت، لبنان؛ ط: 1394هـ/ 1974م.
15. ابن العربي محي الدين أبي عبد الله محمَّد بن علي بن محمَّد بن العربي الحاتمي: **رسائل ابن العربي**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصوَّر من ط1: مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، 1361هـ/ 1948م.
16. ابن تيمية أحمد بن محمَّد: **مجموع فتاوى**؛ جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمَّد ابن قاسم بمساعدة ابنه محمَّد؛ المكتب التعليمي السعودي، المغرب؛ د.ت.
17. ابن جزي، أبو القاسم محمَّد بن أحمد الكلبي الغرناطي: **تفسير ابن جزي**؛ تحقيق محمَّد ابن عبد المنعم اليونسي وإبراهيم عطوة عوض؛ دار الكتب الحديثة، عابدين؛ ط: 1973م.
18. ابن جني، أبو الفتح عثمان: **الخصائص**؛ تحقيق محمَّد علي النجَّار؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ 1371هـ/ 1952م.
19. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**؛ ترقيم: محمَّد فؤاد عبد الباقي، ومراجعة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ د.ت.
20. ابن حمودة بوعلام: **مفاتيح اللغة العربية**؛ دار المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ 1992 م.
21. ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد: **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، تحقيق: محمَّد إبراهيم سليم؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ ط: 1992 م.

22. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمَّد: **مقدِّمة ابن خلدون**؛ تحقيق: علي عبد الواحد وافي؛ طبعة لجنة البيان العربي؛ ط1: 1378هـ/ 1958م.
23. ابن سلاَّم يحي: **التصاريف، تفسير القرآن مِمَّا اشتبهت أسماؤه وتصرَّفت معانيه**؛ قدَّمت له وحقَّقته: هند شلبي؛ الشركة التونسية للتوزيع، تونس؛ ط: 1979 م.
24. ابن عاشور، محمَّد الطاهر: **تفسير التحرير والتنوير**؛ الدار التونسية للنشر ـ المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس ـ الجزائر؛ ط: 1984 م.
25. ابن عبَّاس، عبد الله: **تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس**؛ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ط: د.ت.
26. ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل القرشي الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم، المسمَّى تفسير ابن كثير**؛ دار الثقافة، الجزائر؛ 1410هـ/ 1990م.
27. ابن منظور: **كتاب نثار الأزهار في الليل والنهار**؛ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان؛ ط: 1403هـ/ 1983 م.
28. ابن منظور: **لسان العرب المحيط**، أعاد بناءه على الحرف الأوَّل من الكلمة: يوسف الخياط؛ دار الجيل، بيروت، لبنان؛ 1408هـ/ 1988م.
29. اطفيش امحمَّد بن يوسف، القطب: **الدهر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**؛ ط. حجرية؛ د.ت.
30. اطفيَّش امحمَّد بن يوسف: **جامع الشمل من حديث خاتم الرسل**؛ خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: محمَّد عبد القادر أحمد عطا؛ نشر عبَّاس أحمد الباز، المروة، مكَّة المكرَّمة، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ ط1: 1407هـ/ 1987م.
31. اطفيَّش، امحمدً بن يوسف (القطب): **شرح كتاب النيل وشفاء العليل**؛ مكتبة جدَّة ـ دار الفتح، جدَّة ـ بيروت؛ 1392هـ/ 1972م.
32. .اطفيش، محمد بن يوسف: **تيسير التفسير (الجزائر)**، تحقيق: إبراهيم طلاي؛ تحت الطبع، الجزائر؛ 1417هـ/ 1996م؛
33. اطفيَّش، محمَّد بن يوسف: **داعي العمل ليوم الأمل**؛ معدٌّ للطبع: معهد القضاء الشرعي، سلطنة عمان؛ تحقيق: محمَّد باباعمي ومصطفى باجو ومصطفى شريفي.
34. بدوي عبد الرحمن: **الزمان الوجودي**؛ دار الثقافة، بيروت، لبنان؛ ط: 1973م.
35. بقردج و أ ب: **فنّ البحث العلمي**؛ ترجمة زكرياء فهمي؛ مراجعة الدكتور أحمد مصطفى أحمد؛ دار إقرأ، بيروت، لبنان؛ ط4: 1403هـ/ 1983م.

36. البوطي، محمَّد سعيد رمضان (الدكتور): **كبرى اليقينيات الكونية**؛ دار الفكر ـ المكلية، دمشق ـ الجزائر؛ ط8: 1402هـ/ 1982م.
37. بيجوفيتش علي عزَّت (رئيس البوسنة والهرسك): **الإسلام بين الشرق والغرب**، ؛ ترجمة محمَّد يوسف عدس؛ مجلَّة النور، الكويت، ومؤسسة بافاريا، ألمانيا؛ ط1 (بالعربية): 1414هـ/ 1994م.
38. بيوض إبراهيم بن عمر: **في رحاب القرآن: تفسير سورتي مريم وطه**؛ تحرير: عيسى ابن محمَّد الشيخ بالحاج؛ جمعية التراث، القرارة، الجزائر؛ ط1: 1416هـ/ 1995م.
39. التوحيدي أبو حيان: **الإشارات الإلهية**؛ تحقيق وتقديم الدكتور عبد الرحمن بدوي؛ مطبعة جامعة فؤاد الأولى؛ 1950م.
40. الثعالبي عبد الرحمن: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**؛ تحقيق: الدكتور عمَّار الطالبي؛ المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ ط: 1985م.
41. الثميني ضياء الدين عبد العزيز: **التاج على المنهاج**؛ ضبط النصِّ وتصفيف: محمَّد باباعمي ومصطفى شريفي؛ تحت الطبع: وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان؛ 1995 م.
42. الجرجاني علي بن محمَّد الشريف: **كتاب التعريفات**؛ مكتبة لبنان، بيروت، لبنان؛ ط: 1985م.
43. الجعبيري فرحات بن علي: **وإبراهيم الذي وفَّى**؛ د.م.ط؛ د.ت.
44. جودت سعيد: **الإنسان حين يكون كلاًّ وحين يكون عدلا**؛ المطبعة العربيَّة، غرداية، الجزائر؛ ط: 1990 م.
45. جودت سعيد: **حتَّى يغيِّروا ما بأنفسهم**؛ المطبعة العربية، غرداية، الجزائر؛ 1990م.
46. الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح: **تاج اللغة وصحاح العربية**؛ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1404هـ/ 1984م.
47. حاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**؛ تقديم آية الله المرعشي؛ نشر مكتبة المثنى؛ د.ت.
48. حسن ملحم (الدكتور): **التفكير العلمي والمنهجية**؛ مطبعة دحلب، الجزائر؛ 1993م.
49. الحفني عبد المنعم (الدكتور): **المعجم الفلسفي: عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي ـ ألماني ـ لاتيني**؛ دار ابن زيدون ـ مكتبة مدبولي، بيروت-القاهرة، لبنان ـ مصر؛ ط1: 1992 م.

50. حنفي أحمد: **التفسير العلمي للآيات الكونية**؛ دار المعارف، القاهرة، مصر؛ د.ت.
51. الخراسيني عبد الله بن محمَّد بن عامر بن محمَّد بن خنبس النزوي: **فواكه العلوم في طاعة الحيِّ القيُّوم**؛ تحقيق: الدكتور محمَّد ناصر ومهني التيواجيني؛ خدمات الإعلان السريع، مسقط، سلطنة عمان؛ ط1: 1415هـ/ 1994م.
52. الخطابي أبو سليمان أحمد بن محمَّد: **بيان إعجاز القرآن**؛ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن؛ تحقيق محمَّد خلف الله ومحمد زغلول سلام؛ دار المعارف، مصر؛ د.ت.
53. الخطيب التبريزي: **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب**؛ دار المعارف، القاهرة، مصر.
54. الخوارزمي محمَّد بن أحمد بن يوسف: **مفاتيح العلوم**؛ حققه: إبراهيم الأبياري؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ ط1: 1404هـ/ 1984 م.
55. خياط يوسف: **معجم المصطلحات العلميّة والفنية: عربي ـ فرنسي ـ إنكليزي ـ لاتيني**؛ دار الجيل ـ دار لسان العرب، بيروت، لبنان؛ د.ت؛ وهو الجزء السابع من لسان العرب المحيط.
56. دافيد برجامي: **الكون**؛ سلسلة لايف، المكتبة العلمية؛ ترجمة دار الترجمة والنشر لشؤون البترول، بيروت، نشر لايف؛ ط عربية: 1971 م.
57. الدامغاني، الحسين بن محمد: **قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**؛ حققه عبد العزيز سيد الأهل؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
58. دندشي، حسن نمر: **معجم الأبيات الشهيرة**؛ جروس برس، بيروت، لبنان؛ د.ت.
59. الرازي زين الدين محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: **مختار الصحاح**؛ ترتيب: محمود خاطر، تحقيق وضبط: حمزة فتح الله؛ دار البصائر ـ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان؛ ط: 1407هـ/ 1987م.
60. الرازي، الإمام الفخر: **التفسير الكبير**؛ دار إحياء التراث، بيروت، لبنان؛ ط3: د.ت.
61. الرافعي مصطفى صادق: **إعجاز القرآن والبلاغة القرآنية**؛ مكتبة رحاب، الجزائر؛ د.ت.
62. الربيع بن حبيب: **الجامع الصحيح: مسند الإمام الربيع بن حبيب**؛ ترتيب أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني؛ تحقيق أبو إسحاق إبراهيم اطفيَّش؛ المطبعة

العربية، غرداية، الجزائر؛ ط: 1985 م، مصوَّرة من طبعة دار الفتح، بيروت.
63. رجا عبد الحميد عرابي: **الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم**؛ دار الخير، دمشق، سورية؛ ط1: 1415هـ/ 1994م.
64. رشيد رضا، محمَّد: **تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار للإمام محمَّد عبده**؛ دار المنار، مصر؛ ط4: 1373هـ/ 1956م.
65. روزنتال فرانتز (الدكتور): **منهجية البحث عند العلماء المسلمين**؛ ترجمة الدكتور أنيس فريحة، مراجعة الدكتور وليد عرفات؛ الدار العربيّة للكتاب؛ ط4: 1403هـ/ 1983 م.
66. روي بورتر: **تاريخ الزمان (عنوان المجموع: فكرة الزمان عبر التاريخ)**؛ سلسلة عالم المعرفة، عدد 159 (شعبان ـ رمضان 1412هـ/ مارس ـ آذار 1992 م).
67. ريغ دانيال: **السبيل معجم عربي ـ فرنسي، فرنسي ـ عربي**؛ مكتبة لاروس، باريس، فرنسا؛ 1983م.
68. الزركلي، خير الدين: **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**؛ د. م. ط.
69. زريق قسطنطين: **نحن والمستقبل**؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط 1: 1977 م.
70. زكي نجيب (الدكتور): **تجديد الفكر الديني**، دار الشروق، بيروت، لبنان؛ ط: 1402هـ/ 1982 م.
71. الزمخشري : **الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**؛ رتَّبه وضبطه وصحَّحه: مصطفى حسين أحمد؛ مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر؛ ط2: 1373هـ/ 1953م.
72. زيغريد هونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربيّة في أوربة**؛ ترجمة من الألمانية: فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري؛ المكتب التجاري، بيروت، لبنان؛ ط1: 1964 م.
73. السالمي عبد الله بن حميد بن سلوم: **معارج الآمال على مدارج الكمال**؛ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان؛ ط: 1404هـ/ 1984 م.
74. سعيد حوى: **في آفاق التعاليم: دراسة في آفاق دعوة الأستاذ البنا، ونظريات الحركة فيها، من خلال رسالة التعاليم**؛ سلسلة دراسات منهجية هادفة، رقم 5؛

مكتبة رحاب، الجزائر؛ ط: 1408هـ/ 1988م.
75. سليم الجابي: **النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم**؛ مطبعة نضر، دمشق، سورية؛ ط1: د.ت.
76. سميح عاطف الزين: **تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: مجمع البيان الحديث**؛ دار الكتاب، بيروت، لبنان؛ ط 2: 1404 هـ/ 1984 م.
77. سيد قطب: **التصوير الفني في القرآن**؛ دار المعارف، مصر؛ 1956م.
78. سيد قطب: **في ظلال القرآن**؛ دار الشروق، بيروت، لبنان؛ ط11: 1405هـ/ 1985م.
79. السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن: **الأشباه والنظائر في النحو**؛ راجعه وقدَّم له الدكتور فايز ترحيني؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ ط1: 1404هـ/ 1984م.
80. شبر السيِّد عبد الله: **تفسير القرآن الكريم**؛ مراجعة الدكتور عامر حفني داود؛ مطبوعات جمعية أهل البيت، مصر؛ د.ت.
81. شبنجلر أسوالد: **تدهور الحضارة الغربية**؛ ترجمة: أحمد الشيباني؛ منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان؛ د.ت.
82. الشرنوبي، عبد المجيد: **شرح الحكم العطائية**؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ ط: 1991 م.
83. شهود يهوه: **أحيوا إلى الأبد في الفردوس على الأرض**؛ نشر هذا الكتاب: Watchtowr Bible and Tract society, New York, U.S.A, 1985-1990.
84. الصابوني، محمَّد علي: **مختصر تفسير ابن كثير: مختصر لتفسير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي**؛ دار الشهاب - قصر الكتاب، الجزائر؛ ط: 1410هـ/ 1990م.
85. صبحي الصالح (الدكتور): **مباحث في علوم القرآن**؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1964م.
86. طبارة، عفيف عبد الفتاح: **روح القرآن الكريم (جزء تبارك)**؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط 3: 1982م.
87. الطبري أبو جعفر محمَّد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تفسير**

الطبري؛ تحقيق: محمود محمَّد شاكر، مراجعة: أحمد محمَّد شاكر؛ دار المعارف، مصر؛ د.ت.

88. عبد الباقي، محمَّد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ ط 1: 1406هـ/ 1986م.

89. عبدر محمَّد خير الأحمر: **الكون والنسبية بين القرآن والنظرية**؛ مكتبة الأسد، دمشق، سورية؛ ط2: 1994م.

90. عتيق عبد العزيز (الدكتور): **علم البديع**؛ سلسلة في البلاغة العربية؛ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان؛ ط1: 1405هـ/ 1985م.

91. عتيق عبد العزيز (الدكتور): **علم البيان**؛ سلسلة في البلاغة العربية؛ دار النهضة العربية، بيروت، لبنان؛ ط 1: 1405هـ/ 1985 م.

92. العقاد عبَّاس محمود: **التفكير فريضة إسلامية**؛ مكتبة رحاب؛ د.ت.

93. العقاد عبَّاس محمود: **الفلسفة القرآنية**؛ مكتبة رحاب، الجزائر؛ د.ت.

94. العلواني، طه جابر (الدكتور): **إصلاح الفكر الديني**؛ سلسلة محاضرات المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1 ـ 3؛ دار الهدى، عين مليلة، الجزائر؛ د.ت.

95. علي حسن موسى: **التوقيت والتقويم**؛ دار الفكر العربي، بيروت، لبنان؛ 1990م.

96. علي إدريس (الدكتور): **مدخل إلى مناهج البحث لكتابة الرسائل الجامعية**؛ الدار العربيَّة للكتاب، ليبيا ـ تونس؛ 1985م.

97. علي يحي معمَّر: **الإباضيَّة بين الفرق الإسلامية**؛ المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

98. عماد الدين خليل (الدكتور): **التفسير الإسلامي للتاريخ**؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط3: 1981 م.

99. عمر بن الحاج محمَّد صالح با: **دراسة في الفكر الإباضي**؛ مطبعة العقيدة، سلطنة عمان؛ ط: 1407هـ/ 1986م.

100. غازي عناية (الدكتور): **منهجية البحث عند المسلمين**؛ دار البعث، قسنطينة، الجزائر؛ 1405هـ/ 1985م.

101. غربال محمَّد شفيق: **الموسوعة العربيَّة الميسَّرة**؛ مؤسَّسة فرانكلين ـ دار الشعب، أمريكا ـ مصر؛ مصوَّر عن طبعة: 1965م.

102. الغزالي محمَّد بن محمَّد بن محمَّد أبو حامد: **تهافت الفلاسفة**؛ تحقيق الدكتور سليمان دنيا؛ دار المعارف، القاهرة، مصر؛ 1957 م.
103. الغزالي محمَّد بن محمَّد بن محمَّد أبو حامد: **إحياء علوم الدين**؛ تخريج الحافظ العراقي؛ دار الثقافة، الجزائر؛ ط 1:1411هـ/ 1991م.
104. الغزالي، محمَّد: **جدد حياتك**؛ د.م.ط؛ ط: 1375هـ/ 1956 م.
105. الغزالي، محمَّد: **خلق المسلم**؛ دار الشهاب، باتنة، الجزائر؛ ط: 1985م؛ ص 230.
106. الفرَّاء أبو زكريا يحي بن زيَّاد: **معاني القرآن**؛ عالم المعرفة، بيروت، لبنان؛ ط2: 1980م.
107. فولتير: **القدر: قصَّة شرقية**؛ ترجمة: طه حسين؛ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان؛ ط: 1979م.
108. القاضي عبد الجبار: **المغني في أبواب التوحيد والعدل**؛ تحقيق محمود محمَّد الخضري؛ سلسلة تراثنا؛ الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة؛ 1958 م.
109. قباري، محمَّد إسماعيل: **إميل دوركايم: مؤسِّس علم الاجتماع المعاصر نظرياً وتطبيقياً**؛ منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر؛ ط: 1976 م.
110. قدويدر بشار (الدكتور): **مناهج التاريخ الإسلامي ومدارسه**؛ دار الوعي، الجزائر؛ ط1: 1413هـ/ 1993م.
111. القرضاوي، يوسف (الدكتور): **الوقت في حياة المسلم**، الدار المتحدة ـ مؤسَّسة الرسالة، دمشق، سورية؛ ط 6: 1413هـ/ 1992م.
112. القرطبي، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان؛ ط: 1405هـ/ 1985م.
113. قسوم عبد الرزاق (الدكتور): **مفهوم الزمان في فلسفة أبي الوليد بن رشد**، المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ 1986م.
114. القشيري: **لطائف الإشارات تفسير صوفي كامل للقرآن**؛ قدَّم له وحقَّقه وعلَّق عليه: الدكتور إبراهيم بسيوني؛ ط3: 1981م.
115. قصار الشريف: **معاني الحروف في القرآن الكريم**؛ المؤسَّسة الوطنية للكتاب، الجزائر؛ ط: 1984 م.
116. قلعه جي محمَّد رواس (الدكتور) وقنيبي حامد صادق (الدكتور): **معجم لغة**

الفقهاء: عربي إنكليزي؛ دار النفائس، بيروت، لبنان؛ ط2: 1408هـ/ 1985م.

117. كريسي موريسون: **العلم يدعو إلى الإيمان** (Man does not stand alone)؛ ترجمة: محمود صالح الفلكي؛ مكتبة النهضة المصرية، مصر؛ ط2: 1955م.

118. الكندي، سعيد بن محمَّد: **تفسير القرآن الكريم**؛ معدٌّ للطبع، تحقيق: محمَّد باباعمي ومصطفى شريفي؛ وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان؛ 1417 هـ/ 1996 م.

119. لوبوم(Jules Labeaume) ومونتيه (Edward Montet): **تفصيل آيات القرآن ومستدركه**؛ ترجمة محمَّد فؤاد عبد الباقي؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ 1969 م.

120. مالك بن نبي: **شروط النهضة**؛ سلسلة مشكلات الحضارة؛ ترجمة: عبد الصبور شاهين؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ مصوَّر: 1406هـ/ 1986 م عن طبعة 1404هـ/ 1984م.

121. محمَّد بسَّام رشدي الزين: **المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم**؛ إشراف محمَّد عدنان سالم؛ دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان؛ ط1: 1416هـ/ 1995 م.

122. محمَّد ضاهر وتر (الدكتور): **دور الزمن في الإدارة**؛ المطبعة العلميَّة، دمشق، سورية؛ ط. د.ت.

123. محمَّد عمر زيان (الدكتور): **البحث العلمي مناهجه وتقنياته**؛ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر؛ ط4: 1403هـ/ 1983م.

124. محمَّد ناصر (الدكتور): **في رحاب الله**؛ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، غرداية، الجزائر؛ 1991م.

125. محمَّد ناصر (الدكتور): **ألحان وأشجان**؛ نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر؛ 1416هـ/ 1995م.

126. المراغي أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ ط3: 1394هـ/ 1974 م.

127. مصطفى محمود: **القرآن محاولة لفهم عصريٍّ**؛ دار العودة، بيروت، لبنان؛ ط: 1979م.

128. مصطفى محمود: من أسرار القرآن؛ دار العودة، بيروت، لبنان؛ ط: 1976 م.
129. مصطفى محمود، إينشتاين والنسبية؛ دار العودة، بيروت، لبنان؛ د.ت.
130. معتوق فردريك (الدكتور): تطوُّر علم الاجتماع من خلال تسعة مؤلَّفات أساسية؛ دار الطليعة، بيروت، لبنان؛ ط: 1982م.
131. مفدي زكرياء: إلياذة الجزائر؛ وزارة التربية الوطنية، الجزائر؛ ط: 1986م.
132. المناوي، محمد بن عبد الرؤوف: فيض القدير شرح الجامع الصغير؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ ط 2: 1391 هـ/ 1972م.
133. مورجان كريس: من المزولة الشمسية إلى الساعة الذرية (عنوان المجموع: فكرة الزمان عبر التاريخ)؛ سلسلة عالم المعرفة، عدد 159 (شعبان ـ رمضان 1412هـ/ مارس ـ آذار 1992م)؛ الكويت.
134. نفرة التهامي (الدكتور): سيكولوجية القصَّة في القرآن؛ رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، جامعة الجزائر؛ الشركة التونسية للتوزيع، تونس؛ ط: 1974م.
135. نيكلسون إيبن: الزمان المتحول؛ (عنوان المجموع: فكرة الزمان عبر التاريخ)؛ سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت؛ عدد 159، من ص159 ـ 258؛ ط: 1412هـ/ 1992م.
136. الهواري هود بن محكَّم: تفسير كتاب الله العزيز؛ تحقيق: بالحاج بن سعيد شريفي؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان؛ ط 1: 1410هـ/ 1990م.
137. ولتر ستيس: الزمان والأزل مقال في فلسفة الدين؛ ترجمة الدكتور زكرياء إبراهيم؛ المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان؛ 1967 م.
138. وليام أوري: فنُّ التفاوض: اختراق الحواجز في طريق التعاون؛ ترجمة: نيفين غراب؛ الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر ـ كندا؛ ط1: 1994م.
139. ونوكس ريتشارد: الأرض السائحة في الفضاء (عنوان المجموع: فكرة الزمان عبر التاريخ)؛ سلسلة عالم المعرفة، عدد 159؛ شعبان ـ رمضان 1412هـ/ مارس ـ آذار 1992م؛ الكويت.

فهرس المصادر الانجليزية والفرنسية

- Attali (Jaques): **Histoires du temps;** Fayard, Paris, France; 1983.
- Boris G.Kunjetov: **Einstein;** trans Vladimir Talmy; New York, Phaedra, 1970.
- Collection: Formation permanente en science humaines, Collection fondée par Roger Mucchielli et dirigée par Lionel Bellenger; seminaire de Philipe Cruellas et Raphael Benayoun: **Le temps mode d'emploi, Reconquérir son tems... et sa vie,** ed 1987.
- Corbin (Henri) and others: **Man and time,** Cyclical time in Mazadaisme and Islamailism; Bollingen series 3; Princeton university press, USA; 7 ed: 1973.
- De Goeje: **Space, time and life;** E.J Brill, Leiden, 1951.
- Hall Edward. T: **La danse de la vie: temps culturel, temps vécus;** Traduit de L'americain par Anne-lise Hacher; ed. SEUIL, 1984.
- Mircea Eliade and others: **Man and time, Time and eternity in indian thought,** Bollingen series 3; Princeton university press, USA; 7 ed: 1973.
- Paul Procter and others: **Longman dictionary of contemporary english,** Longman - Librairie du LIBAN, LIBAN, 1983.
- Piajet. J: **La psychologie de l'intelligence;** col. U. prisme; ed. Armande colin; Paris, 1981.
- Priestley J.B.: **L'homme et le temps;** ed. Pont Royal, Paris, France.

البرامج والاتصالات الإعلامية

- شبكة الأنترنات العالمية: بحث في مادَّة بيبليوغرافي حول مادَّة الزمن، 68 عنواناً، 40 ص؛ سنة 1996 م.
- شبكة الأنترنات العالمية: بحث في مادَّة علوم القرآن، 22 عنواناً؛ سنة 1996 م.
- شركة صخر لبرامج الحاسب: برنامج القرآن الكريم؛ القاهرة، مصر؛ الإصدار الخامس 5.1: 1995 م. يسير هذا البرنامج تحت نظام PC العالمي.
- العالمية: موسوعة الحديث الشريف؛ 60000 حديث، تخريج الكتب التسعة؛ الإصدار الأوَّل؛ 1415 هـ/ 1995 م.

المقالات

- طه جابر العلواني: الجمع بين القراءتين؛ مجلَّة الإنسان، عدد 13 (شوال 1415 هـ/ مارس 1955 م) ص 54.
- عبد الحميد ناجي (الدكتور): أصحاب الكهف والبعد الزمني؛ مجلَّة الدعوة، تصدر عن كُلِّيَّة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا؛ عدد 11 (1413 هـ/ 1994 م).
- عبد الله حمد المعجل (الدكتور): الزمن البعد الرابع؛ مجلة العربي، عدد 4 (يونيو 1990 م) ص 4.

المحتويـات

الفصل الثاني
المقادير الزمنية في القرآن الكريم

الفصل الثالث
التقويم: اليوم وأجزاؤه في القرآن الكريم

الفصل الرابع

التقويم: تضاعيف اليوم في القرآن الكريم

الفصل الخامس

وعي الأزمنة الثلاثة، والتأريخُ في القرآن الكريم

الفصل السادس

الحركة في الزمن من خلال القرآن الكريم

الفصل السابع

الزمن المبارك، والنفسي، والنسبي



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء ، بناية الأسود
تلفون: Tel: 009611-350331 / خليوي: Cellulair: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم : 2000/10/2000/378
التنضيد : كومبيوتايب - بيروت
الطباعة : دار صادر ، ص.ب. 10 - بيروت

MAFHŪM AL-ZAMAN
FI
AL-QURʿĀN AL-KARĪM

Par

M. Mousa Babaʿmī

Revus par

Ahmad Musāwī



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI

MAFHŪM AL-ZAMAN
FI
AL-QUR'ĀN AL-KARĪM

Par

M. Mousa Baba'mī

Revus par

Ahmad Musāwī





DAR AL-GHARB AL-ISLAMI